مواطن لشعوب الاسلامية به آستها

12

ث جربرة إعرب -١-عسيد

محمود ش

المكتب الإسلامي



محمود پیش کر

المكتيب الإسلامي

ب المصرباتيم المصرم

الحمد لله رب العالين والصلاة على سيد المرسلين محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه الأخيار ومن دعا بدعوته وسار على دربه إلى يوم الدين وبعد :

فقد تعطي الفكرة العامة عن منطقة صورة لها على غير حقيقتها وترسم لها صفة بعيدة عن واقعها والبقعة التي تعرف بقفرها يخيل للمرء أنها لاتنتج حبا ولا تنبت زرعا والبلاد التي تفلب عليها سمة الفقر يظن الإنسان أنه لا ماء فيها ولا شجر ولكن لو جال فيها لتغيرت فكرته ولو درسها لتبدل ظنه وتبدد ما كان في مخيلته وإن الأرض التي سمع بغناها ، أو رأى مشهدا من خضرتها ونعيمها يحسب أنه لابور فيها ولا سنوات عجاف تمر عليها ولو انتقل إليها لوجد فيها عكس ما اقتنع به وغير ما عبد فيها و

كانت الفكرة الراسخة في ذهني أن منطقة حوران من بلاد الشام بقعة يسودها الجدب ويقل فيها الخير يظما أهلها إذا اشتد الحر ويتناول قاطنوها ماء الشرب من بركر يجمعونها من مياه المل تتأسن مع الزمن ، وتنسخ بالاستعمال وتصبح رنقاً بعد صاف ، ومما زاد هذه الفكرة رسوخاً وجعلها اكثر ثبوتاً أني كنت

انتقل من دمشق إلى درعا مسافة اكثر من مائة كيل فكنت لاادى إلا منظراً واحداً رتيباً الايكاد يشذ الرضاً سوداء قاحلة لاخضرة فيها ولا ظلّ تعتورها بعض الآكام من صخور تبدو اكثر سواداً تزيد المنظر جدباً افتمله العين وتعيل إلى الإغفاء وهي التي تريد أن تتملى بالمناظر وتتعشق الجمال وفي خلق الله كل جمال وفي إبداعه كل بديع اوقد ترى بعد فترة مطر أو نتيجة طل الصباح شويكات خضر نبتت على جانبي الطريق فكانت ملء العين وهيمن الشوك وهذا كل ما يتغير من رتابة المنظر ووحشة الدرب وتبقى أنيسة الطريق مبددة سواد المشهد المنا إضافة إلى الحشائش والزرع في أعوام الخير والتي لاتستمر إلا مدة بسيطة حتى يلفحها الحر وتصبح هشماً تدروه الرياح .

وزرنا مرة وادي الأشعري في حوران فتغيرت فكرتي عن المنطقة وتبدت صورتها المائلة في ذهني سابقاً . إنه وادر ينخفض فجاة بعمق مائة متر تقريباً ويتقعر في الأسفل قليلاً ، وتبدو طبقات الصخر على جانبيه متعاقبة لايزيد سمك الطبقة الواحدة عن متر ، طبقة كلسية بيضاء تعقبها اخرى بازلتية سوداء ، ومن أعلى كل طبقة كلسية ينمو صف من القصب يحيط بالوادي كشريط أخضر ومن أعلى كل طبقة سوداء ينبجس رذاذ من الماء يلف الوادي بخط فضي وتتقاطر ذرات الماء على أوراق القصب لين السفل منها فتتناثر وهكذا إلى أسفل الوادي حيث تتجمع هناك على شكل بحيرة صغيرة تتحرك مياهها ببطء لتصب في النهاية في نهر اليرموك . ويداعب النسيم أوراق القصب فيكشف بحركته عن بياض كانت قد سترته خضرة القصب . وتنعكسس اشعة الشمس على قطرات الماء المتناثرة فتبدو وكأنها شهب متساقطة ، وتسمع الطير تصدح خلف العيون ووراء عيدان القصب ولها غناء كما لحركة القصب ألحان ولخرير المياه صوت،

ولم يكن بوسعي أن اصف جمال المنظر ، والتفت إلى احمد الأصدقاء بجانبي فإذا بعينيه تفرورقان بالدموع ، إذ جالت الصورة في نفسه ولم يستطع أن يصورها بقلمه فاستجاب الدمع ولبت العين وجادت بما تملك وما استطاع إلا أن يقول : لو رأيت همذا المنظر على قطعة أو لوحة لما صدقت أنه من بلادي ، ولو كان في بلد يعوزها المنظر لجعلت منه دعاية لها ولكانت على جنباته اجمل الحدائق العامة والمتنزهات .

ويعتقد كثير من الذين يعيشون خارج الجزيرة العربية ان بقاعها كلها مقفرة وأن أراضيها كلها صحارى مجدبة تغطيها الرمال التي تذروها الرياح أو تنكشف التربة عن صخور فتبقيها جرداء أو تبرز نتوءات صخرية بركانية تشكل حرات وعرة تزيد فيصعوبة المواصلات وتعيق الانتقال وإن وجدت بينهذه التضاريس تجمعات بشرية فهي واحات صغيرة تقوم على ينابيع قليلة المياه تنبجس من قاع منخفض وهي التي أوجدت الواحة وقامت عليها بعض الاشجار المعدودة لاتتعدى المنخفض ولا تزيد عن مساحته .

ولو تجول الإنسان في ربوع الجزيرة لوجد واحات كشيرة تتجاوز المنخفضات وتمتد على طول الأودية رغم جفافها، إذ تضرب أشجار النخيل بجنورها في الأعماق وتأخذ منها الرطوبة وتستطيع معها الحياة إضافة إلى تحملها الجفاف لطبيعة سعفها وعدم خروج أي جزء من الماء منها والاحتفاظ بقسممنه في ليفهاونستطيع أن نقول إن أشجار النخيل تشكل احيانا غابات حقيقية في كثير من البقاع هذا مع العلم أن نهاية الأودية التي تغيض في الرمال تتشبع التربة هناك بالماء وتكون قابلة لقيام الزراعة ، وقد تتفجر منها عيون لميل طبقاتها فالاحساء وعيونها والخرج وبحيراته منها عيون لميل طبقاتها فالاحساء وعيونها والخرج وبحيراته والأفلاج وينابيعها كلها مجال لقيام البساتين ومراكز لأعمال الزراعة ، هذا إضافة الى اللبقاع التي تقع عند اقدام المرتفعات

وتقوم فيها الزراعات والأراضي العالية التي تستفيد من كشرة الرطوية والأودية التي تقوم بين الجبال وتنفجر فيها الينابيع واراضي تهامة وواحات العارض وسدير والوشم والقصيم ، ثم هناك الإفادة من المياه الجوفية الكثيرة التي خلفتها الحقب التاريخية المطيرة التي أصبحت تستخرج بواسطة المحركات الآلية أو تتدفق مياهها من تلقاء ذاتها بسبب الضغط وميل الأرض هذه كلها بقاع كست أرض الجزيرة بالخضرة وأعطت المار عليها صورة غير التي كانت في ذهنه وهو بعيد عنها ونستطيع أن نقول إن أرض الجزيرة العربية فعلا بقاع صفراء ولكن فيها نقط وخطوط خضر تتسع وتزداد مع الزمن لتصبح جنات .

وإذا كانت البلاد المعتدلة بحاجة إلى مناطق مرتفعة يصطاف فيها الناس ويقضون فصل الحر فيها يتمتعون بمناخها العذب ونسماتها المنعشة وارتفاعها الشرف وروعة مناظرها إذا كان هذا في البلاد المعتدلة كسويسرة مصيف أوربا ولبنان مركز اصطياف الشرق فان البلاد الحارة هي أكثر حاجة الى الصايف وسكانها أكثر رغبة في قضاء فصل الصيف في المرتفعات المعتدلة المناخ والبقاع التي يملؤها سحر الطبيعة .

إن سكان الجزيرة العربية هم بأشد الحاجة الى المصايف في بلادهم يقضون فيها فصل الحر اللافح ويتخلصون من وقت الصيف اللاهب الذي يسوده الجفاف وتنقطع فيه اقل النسمات مما يجعل الهواء خانقاً محبوساً • وفي الجزيرة بقاع مرتفعة في الغرب يعتدل فيها المناخ وتمتلىء بالخضرة وتكثر فيها المناظر ، ومن أكثرها أهمية منطقة عسير التي ستكون عندما تصل إليها يد العناية والتحسين من أهم المصايف ، فارتفاعهايزيد عن ٢٠٠٠م ومن يجتازها لايتصور نفسه أنه فوق بقعة في خطوط عرضها بل وفي الجزيرة العربية نفسها .

إن منطقة عسير لاينفك نسيمها المعتدل يهب ينعش النفس ويحمل النشاط، وإذا كان فصل الشتاء يميل الى البرد إلا أن الرطوبة الموجودة في الجو تجعل البرد أخف وطء من برد الصحارى والمناطق الجافة الأخرى في الجزيرة، وفي الوقت نفسه تجعل الخضرة دائمة تركن إليها النفس والمياه متوفرة فتانس بها العين على حين تكون غيرها من البقاع قد احرقت الشمس كل نبات وتركته حطاماً وازالت كل أثر للماء .

إنالذي ينهب الىعسير تتغير الفكرة التىفي نفسهوالصورة التي فيمشاعره عن الجزيرة العربية ،إذ يرى الخضرة تحيط به من كل جهة ويرى الماء ينسابببطء أمام ناظريه وتنفتح النفس وتشرق وتبتهج الحياة بتلك المناظر الخلابة فمن يرتقى ذروة جبل السودة ويتجه الى الفرب يرى أمامه شدة في الانحدار تسايس السفوح الفربية كلها دون ذراها ولا يمكن أن يصعد ألمرء عليها أو ينتقل من تهامة الى عسير إلا عن طريق عتبات معروفة ومناطق موصوفة حفرتها مياه الاودية التي منت رؤوسها الى قرب الاودية الاخرى التسابة نحو الشرق ٠٠٠٠ ورغم هذه العتبات فلا يجتازها الإنسان متسلقاً إلا على أربع ثم يرى بعد ذلك أودية خضر اشتدت خضرتها حتى غدت قريبة من الزرقة وتجاري امتداد السيول وشعيباتها وقد تبدو في بعض الاحيان صفحات الماء من خلال هذه الخضرة تلمع كالفضة تحت أشعة الشمس وقتالأصيل إذا كشفتها نسمة ريح أو أظهرتها أراض مكشوفة وترى فوقها طبقات بيضاء من رطوبة الجو حتى لتبدو سحباً بيضاء فوق البحر وتخرج من خلالها أشعة الشمس النهبية على شكلمروحة ساحة عملها ملء الرؤية وتسقط الشمس ببطء تحت الافق وكانها تغيب دونك وأنت شاهد عليها وإذا كانت رطوية الجو قليلة في الصباح بدت زرقة البحر واضحة المالم . وحيثما أجلت الطرف اعترضت ناظريك خضرة واشجاد وملأت الجو بهجة وإشراقاً وإن كانت تتخللها مرتفعات تبدو عارية في المناطق الشديدة الانحدار وتبدو صخورها جرداء وسوادها داكن وبخاصة إذا كان الوقت بعد منتصف النهار إذ تقع في ظلل النرا والمنحدرات فتزيدها عتمة وتمتد الجبال في الشرق أمامك ويقل ارتفاعها مع بعدها وتقل خضرتها باستمرار مع نايها حتى تغيب في الأفق ويتمد بصرك عيداً حتى يختفي المنظر في ذهنك برمال الربع الخالي ٠٠٠ وتبدو السماء أكثر زرقة والرؤية أكثر وضوحاً لقلة الرطوبة .

وتتوالى المرتفعات والأودية حتى تقسو على السالك الطرق تغيب في الأفق ويمتد بصرك بعيداً بعيداً حتى يختفي المنظر في ذهنك وحصوناً منيعة تعتو على الفازي وتمتنع على الطارق.

هذه مصايف الجزيرة العربية في المستقبل بعد أن تمسحها يد الإعمار وترعاها يد الإصلاح .

* * *

الله كالكارِّ الكارِّ في الجُه غرافية

الفصل الأول التضاريس

تمتد في غربي بلاد العرب سلسلة من الجبال ، من اليمن جنوباً إلى العقبة شمالاً ، وهذه السلسلة تخترقها أودية وشعاب كثيرة ، يشر ق بعضها وبعضها يغر ب ، وليست هذه السلسلة على درجة واحدة من حيث الارتفاع فمنها الشامخ ومنها المنخفض ، ومنها مسطح القمة له فراع واسعة فيها سكان ، ومنها ما هو مؤلل أصلع القمة خال من النبات ومن وسائل الحياة،

هذه السلسلة تسمى الحجاز ، ويعلل المتقدمون التسمية يأنها حجزت بين الغور ـ وهو منخفض متصل بالبحر ـ وبين نجد ـ وهو أعالي الجزيرة المرتفعة ـ ذات الأرض السهلة التربة الكثيرة النبات عندما يجودها الغيث ويطلق على هذه السلسلة أيضاً اسم الطود ولكنه يخص جنوبها من قرب مكة حتى اليمن وقد يطلق على الطرف الجنوبي الشرقي اسم الجبل الأسود وعلى القسم الشمالي حجاز المدينة • كما يسمى القسم الجنوبي أيضا باسم السراة وقد يقال فيه السروات لأن كل قسم فيه ينسب إلى قبيلة ويدعى سراة، أما القسم الشمالي فقد يطلق عليه اسم الشرة وخاصة الجبال الواقعة بين عسفان والمدينة •

والسراة: سراة الفرس أعلى متنه ، جمعه سروات ، وقال الأصمعي: الطود جبل مشرف على عرفة ينقاد إلى صنعاء يقال له السراة ، وإنما سمي بذلك لعلوه ، وسراة كل شيء ظهره يقال: سراة ثقيف ثم سراة فهم وعدوان ، ثم سراة الأزد ، وقال قوم: الحجاز جبال تحجز بين تهامة ونجد ، يقال لأعلاها السراة، كما يقال لظهر الدابة السراة ،

وعسير جزء من هذه السروات تمتد شمال بلاد اليمن حتى سراة الحجاز، وقد اختلفت كلمة عسير تاريخياً ومكانياً، فإذا كان قديماً قد أطلق اسم جرس على المنطقة التي تسمى اليوم عسير فإنها قد حملت فيما بعد اسم قبائل متحالفة أقامت في المنطقة وعرفت باسم عسير و وقد أصبح من المعروف عند الكثير ممن كتب عن بلاد عسير أن اسمها مشتق من العسر لصعوبة مسالكها وكثرة تعاريجها لأن هذا الاقليم يضم جبالاً شامخة الذرا مترامية الأطراف تتخللها أودية وشعاب وعرة المسالك ملتوية المآتي وإذا كان هذا الاسم فيما مضى يشمل منطقة صغيرة نسبياً حيث منازل تلك القبائل المتحالفة إلا أنه توسع اليوم وشمل البقاع التي وصل إليها حكام تلك البلاد أثناء توسعهم وامتداد نفوذهم والتي وصل إليها حكام تلك البلاد أثناء توسعهم وامتداد نفوذهم

يقول أمين الريحاني في كتابه « نجد وملحقاته »:

(في شبه الجزيرة جبال غير أجا وسلمى ، وغير جبال اليمن وعمان تستحق أن تنعت بالزمردية ، هناك جبال عسير

وقد كساها الاخضرار، فضخمت فيها الأشجار، وغزرت المياه، وتنوعت الثمار، هي جبالعسير الغنية بكنوزها الدفينة، ناهيك بهوائها، وهو في اعتداله مثل هواء الطائف، وبمناظرها وهي أروع من مناظر اليمن، وهي أحصن الجبال للدفاع، ورجالها من صفوة العرب في البأس والبسالة).

وعسير اليوم هي المقاطعة الجنوبية الغربية من المملكة العربية السعودية تمتد على مساحة واسعة وتضم أجزاء من تهامة وأقساماً من جبال السراة وسفوحها الشرقية .

ا" - تهامة: وهي منطقة السهول الواقعة على طول ساحل البحر الأحمر حتى السروات وتضيق هذه المنطقة في الشمال حتى تكاد تنعدم تماماً وتصبح الجبال محاذية لساحل البحر الأحمر مباشرة، ولذا فإن منطقة تهامة في الحقيقة تبدأ من جنوب جدة ويزداد اتساع منطقة تهامة كلما اتجهنا جنوباً نحو جيزان وتصبح تهامة عسير أكثر اتساعاً وتتواجد فيها أراض زراعية كبيرة على جوانب أوديتها إذ تمتاز بوجود طبقة طينية على سطحها في الجزء القريب جداً من الجبال وكذلك تمتاز بتواجد الطمي في الجزء الذي يليه قبل منطقة الساحل والتي تكون تربتها رملية في الجزء الذي الله قبل منطقة تهامة رسوبية منقولة بواسطة مياه الأودية الآتية من الجبال فإن تربتها تتدرج بشكل واضح من المرتفعات إلى ساحل البحر بحيث تتميز بالآتى:

آ ـ تتواجد الأراضي الحجرية بالقرب من الجبال • ب ـ تتواجد أراضي الطمي على جوانب مجاري الأودية وتعرف باسم « الحرون » وفيها بعض الحرار والغياض وهني غنية بالمراعي وفيها بعض الجبال من غير السروات •

ح _ تتواجد الأراضي الرملية كلما اقتربنا من الساحل حيث توجد سبخات ساحلية يصل عرضها أحياناً إلى ٤ كيلو مترات ، وفي القسم الشسمالي منها حرار بين ميناءي الشقيق والقمحة .

د ـ تتواجد الأراضي الملحية بجوار الشواطىء و

وشواطىء تهامة قليلة التضاريس غير صالحة لرسو السفن وبخاصة الكبيرة منها لكثرة الجزر الصغيرة التي تكثر في البحر الأحمر ومنها المرجانية • وتمتد شواطىء تهامة عسير بطول أكثر من ٣٠٠ كيل ، ويتبعها ما يقرب من مائة جزيرة غير مسكونة ما عدا أكبر تلك الجزر ، وأشهرها جزيرة فرسان ، وتوجد بقرب تلك الجزر مغاصات اللؤلؤ •

ولعله من المفيد أن تتحدث شيئاً عن جزيرة فرسان التسي. تبعد عن جيزان مسافة ستين ميلا بحريا ، وهي جزيرة صخرية يصل طولها إلى مائة كيلو متر وعرضها إلى الثلاثين • ويزيدعدد سكانها على خمسة آلاف نسمة ، وتشتمل على بلدة فرسسان قاعدة الجزيرة ، ويتبعها عدد من القرى منها : قرية المحرس وهي واحة فيها أشجار النخيل ويزيد عددها على ستمائة وألف نخلة •

وقرية القيصار وهي واحة موفورة المياه العذبة ، ويمتج ماؤها من آبار صخرية قريبة الغور قليلة العمق ، وتعتبر مكاناً لنزهة أهل قرسان ، وفيها من أشجار النخيل ما يزيد على تسعة الأف نخلة .

ويزيد عدد قراها على العشر وعدد موانئها على الستة وأشهر الموانىء مرسي تبُنتة وموقعه في الجنوب الشرقي من جزيرة فرسان •

ويتبع جزيرة فرسان الجزر الآتية :

جزيرة السقيد: وتقدر مساحتها بنصف مساحة جزيرة فرسان، وتقع إلى الشمال الشرقي منها، بينهما شريط مائي قليل العمق تخوضه الجمال ولا يزيد عرضه على كيلو متر واحد، وغالب تربتها رملية، وتتوفر فيها المياه العذبة، وتحمل قاعدتها الاسم نفسه « السقيد » وفيها من النخيل ما يقرب من اثنتي عشرة ألف نخلة.

جزيرة زفاف : ويبدو أنها تحوي على النفط في طبقات أرضها .

جزيرة قماح: وفيها قرية آهلة بالسكان فيها عدد من أشجار النخيل •

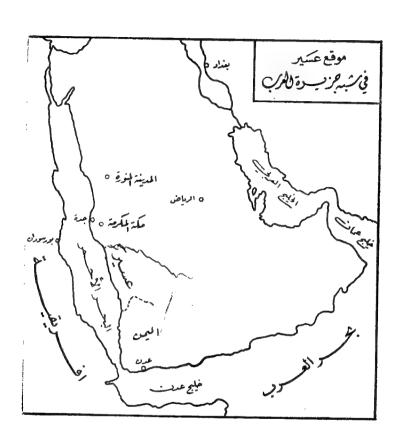
وسكان جزر فرسان من تغلبوكانوا قد تنصروا فيالقديم،

ولهم كنائس في الجزر ، ولكنها قد خربت جميعها بزوال الدين النصراني منها ، وهم أهل بأس وشجاعة ، ويحملون التجارة إلى بلاد الحبشة في العام مرة واحدة ، ويد عي بعضهم أن سكان فرسان ينتسبون إلى حمير ، وفي الجزر جبل يقال له جب ل الكنيسة يقال إنه كان فيه آثار بناء قديم زال منذ عهد قريب ،

٢ - السراة : وهي جبال مرتفعة يزيد علوها عملى • • • ثُمَّ مَ ، ويُصلُ فَى جَبِلِ السودة شمال مدينة أبها إلى ٣١٣٠ م وهي جزء من الدرع العربي ذيالصخور البلورية والتيلاتحويّ على مياه جوفية مختزنة فيها لأنها غير منفذة لايتسرب الماء إليها ، ولذلك تقل فيها الينابيع ، وإن وجد بعضها فانما بسبب تفتت بعض صخور الغرانيت التي حوت بعض الماء أو في رواسب الأودية والمنخفضات وكلاهما قليل • وهذه الجبال جزء من السروات التي كانت وجبال إفريقية على الشاطيء الثاني للبحر الأحمر والتي تمتد من مصر وحتى الصومال كتلة واحدة أصابتها عدة انكسارات ارتفعت نتيجتها الجبال على جانبي الغور الذي ملأته المياه وعرف باسم البحر الأحسر ، وكانت المرتفعات على شكل مدرجات لتوالى الانكسارات التي خضعت لها المنطقة ولذا فالجبال تميل بشدة نحو البحر في الغرب بينما تتحدر ببطء نحو الهضبة الداخلية في الشرق ، ويكون انحدارها العام نحو الشمال الشرقي • والمسال الشرقي المسال الشرقي المسال الشرقي المسال الشرقي المسال الشرقي المسال المسال

وتعتبر هذه الجبال موزعة للمياه بين تهامة في الغربوأودية أخرى تسير نحو الشمال الشرقي أو إلى الشرق ، ولا نجد في المنطقة الأوديةالطولية التي نراها في الحجاز لعدم وجود انكسارات في هذا الاتجاه تجري فيها الأودية .





الفصل الثاني

المنساخ

الناخ: يختلف المناخ بين تهامة والسراة نتيجة الاختلاف في الارتفاع إذ تكون الحرارة مرتفعة في منطقة السهول صيف ويبلغ معدلها ٤٤ درجة مئوية ، وتكون هذه الحرارة مقرونة بالرطوبة مما يجعل تحملها صعباً ويشعر المرء بكثير من الضيق إذ يتصبب العرق منه باستمرار ، وكذا تتراوح نسبة الرطوبة بين ٨٥ ـ • ٩٠/ ، أما في الشتاء فلا تنخفض درجة الحرارة عن ١٧ درجة مئوية ، وتكون الرطوبة بين ٣٠ ـ ٠٠/ ،

أما المناطق الجبلية فالحرارة تكون معتدلة فلا تزيد عن ٢٨ درجة مئوية في الصيف ، وتنخفض إلى ٣ درجات في الشتاء ومع ذلك فلا يشعر الإنسان بالبرد الشديد رغم الارتفاع الكبير إلا أن الرطوبة تجعل البرد غير قارس كما هو الحال في المناطق الصحراوية التي تمتد إلى الشرق منها •

وتهب على عسير في الصيف الرياح الموسمية سواء الغربية منها أم الجنوبية الغربية فالأولى تصل إلى المنطقة من المحيط الأطلسي وتسبب سقوط الأمطار فوق هضبة الحبشة وعندما

تجتازها تمر فوق مناطق منخفضة ثم فوق البحر الأحمر فتحمل معها بعض الرطوبة فعندما تصطدم بجبال عسير تسبب هطول المطر بينما لاتسبب تهطالاً فوق تهامة لحرارة المنطقة فتقل معها الرطوبة النسبية ولكنها تسبب العواصف الرملية ولذا تعرف هناك باسم الغيرة وغالباً ما تكون في نهاية الصيف وبعد الزوال حتى غروب الشمس • أما الرياح الجنوبية الغربية فتأتي مسن المحيط الهندي وتكون في أوائل الصيف وتشير البحر الأحمر وتهيجه فترتفع الأمواج فيه ، ولا تسقط إلا أمطاراً قليلة لأنها تقع في ظل القرن الافريقي كما أن جبال اليمن تكون قد أفقدتها أكثر حمولتها ، ولا ينال تهامة منها شيئاً •

كما قد تصل آثار البحر الأبيض المتوسط إلى المنطقة وتسبب سقوط بعض الأمطار الشتوية • أما البحر الأحمر فأثره ضعيف جداً لضيقه وانخفاضه وانحصاره بين المرتفعات ، وينحصر أثره في زيادة رطوبة المنطقة وشحن بعض الرياح المارة فوقه ببعضها •

نجد أن الأمطار تقل في تهامة ويتراوح معدلها بين ٥٠ ــ ٢٥٠مم سنوياً وتزداد في المرتفعات ويتراوح متوسطها بين ٢٥٠ ــ ٥٠٠ مم في العام ثم تعود إلى التناقص في الشرق إذ ما نصل إلى نهاية منطقة عسير إلا وتكون الأمطار قد نقصت عن ٥٠ مــم في العام ونكون قد وصلنا إلى الصحراء ٠٠

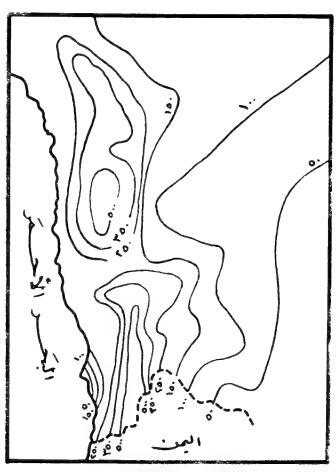
ولكن هذه الأمطار تتوزع على أشهر السنة كافة مما يجعل

الخضرة دائمة في المنطقة وإن كانت أكثر الأمطار تهطل في فصل الصيف بسبب الرياح الموسمية التي تكلمنا عنها ففي مدينة أبها يكون معدل الأمطار خلال أشهر السنة على الشكل التالى:

| ٠٨ مم ٠ | آب | ٠ مم ٠ | كانون الثاني |
|----------|----------------|---------|--------------|
| ۰ مم ۰ | ايلبول | ۰۰ مم ۰ | شباط |
| ٠٠ مم ٠ | تشرين أول | ٠ مم ٠ | آذار |
| ۰۸ مم ۰ | تشرين ثاني | ۰۰ مم ۰ | نیسان |
| ٠ ٤ مم • | ۔ كانون أول | ٠٤ مم ٠ | أيار |
| , | | ۲۰ مم ۰ | حزيران |
| | | ٠ ١٠٠ | تموز |

ولما كانت أكثر الأمطار تهطل في فصل الصيف لذا نستطيع أن نقول إن موسم الأودية الرئيسي إنما هو نهاية الصيف حيث تنعقد الغيوم وتهطل الأمطار وتجري السيول •

وإن قسماً من مياه السيول يذهب بالتبخر لشدة الحرارة وبخاصة في تهامة بينما لايضيع إلا القليل منها في التسرب إلى باطن الأرض بسبب صخور المنطقة الصلدة والتي لاتسمح للماء بالتسرب داخلها إذ أنها بلورية وغير منفذة .



مصور يوضح معــدل الأمطار السنوي في منطقة عسير

الفصل الثالث

الأودكة والميكاه

الاودية : نستطيع أن نقسم الأودية في عسير إلى قسمين:

ا - اودية تهامة: وهي أودية قصيرة المجرى تنحدر بسرعة نحو الغرب حيث تنتهي في البحر، وتتلقى المياه من الامطار المساقطة على جبال السراة حيث تتجمع في شعاب تجتمع مياهها في وادر كبير، وقد تختلط مياه الأودية المجاورة أثناء الفيضان وبخاصة في المنطقة المنخفضة التي تقع قريباً مسن شاطىء البحر ويزيد عدد هذه الأودية على الثلاثين وادياً ولنذكر أهمها من الجنوب إلى الشمال و

وادي حرض: وادر قصير، يتلقى المياه من السفوح الغريبة السراة اليمن، ويسمى بأسم بلدة حرض اليمنية التي تقع على مجراه الأعلى وقد قال ياقوت الحموي: حرض، بفتحتين، وهو في اللغة الذي أذابه الحزن: وهو بلد في أوائل اليمن من جهة مكة، نزله حرض بن خولان بن عمرو بن مالك بن حمير فسمي به، وهو اليوم بين خولان وهمدان (١)، وقال الهمداني:

⁽۱) - معجم البلدان .

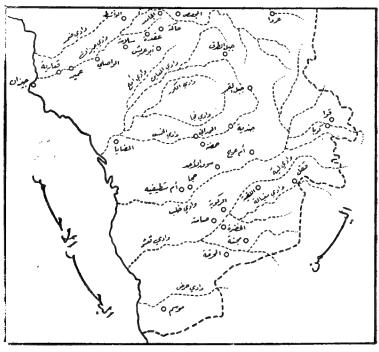
حرض: وهو وسط من الأودية وله فرعان: فالجنوبي منهما من الشقيقة وما اكتنف المحجة ومنها إلى حرض من بلد عنذر وبلد حجور إلى المباح فالمرير، والشمالي منهما نقيل مطرق ومااكتنف المسيل منه من بلد عنذر وبلد بني شهاب بن العاقل إلى معين الحنش حتى يلتقي بالفرع الثاني بالسرين فيقحمان كلاهما اللصاب(١) وهو أعلى وادي حرض ويمده الشعاب يمنة من بلد خولان ويسرة من بلد همدان، ويصب إلى السقيفتين، ويسقي ما أخذ هذه البلاد إلى البحر(٢) •

وادي تعشر: ويتلقى المياه من سفوح جبل أبو منار الغربية وتأتيه ثمانية أودية كلها من ميسرته وهي: امغاوية ثم الملح الذي تجتمع إليه بقية الشعاب وهي: بومغيرة بوقعبول بوحسين مسطوب بومنوره بو معجانة ويعرف في أعلاه باسم وادي وعلان وأما عن اليمين فيتلقى مياه الأودية والشعاب المسابة من جبال الرميح وقرن قبول وجبل جحفان وأهم الأودية هي: القصب افحوص لية بوثميرة مغياله دياب بمعرج المقماري بومنورة بوحشيش ويقدر ما يحمل هذا الوادي الكبير وادي تعشر به وكألف متر مكعب من الماء في العام و

⁽١) اللصاب: الخانق .

⁽٢) صفة الجزيرة العربية ص ١٢٥ منشورات دار اليمامة .

وتقع على أطراف هذا الوادي عــدد من القرى مشــل: صامتة ، اللقية على وادي لية ، وقفل علىوادي مغيالة، والركوبة قريباً من التقاء واديي لية ومغيالة ، والخضراء جنوبي صامتة .



مصور يوضح اودية جنوبي تهامة عسير

وادي خلب: ويمد رأسه حتى بلاد اليمن ، ويكون طويل المجرى ، وتأتي روافده من سراة خولان ، وأشهر روافده دهوان سرانة به مجاره به ذهبان ، ويقدر ما يحمله من الماء سنويا كسابقه وادي تعشر وهو ٤٥ ألف متر مكعب ويأتي مثلها من روافده ، ويتسع مجراه عند مصبه كثيراً حتى تضيع مياهه في رماله ، وتقع على واديه القرى التالية: أم شطيفية وجحا وسوق الأحد وأم عرج وكوبا ، ويصب جنوبي جبل المقعد ،

وادي الخمس: وتجتمع إليه مياه أودية الفجا والربساح والكور والمعاين والأملح ومقاب، وهو يعادل الأودية السابقة من حيث حمولته، وأكثر الأودية تنحدر من جبل القمر الذي يبلغ ارتفاعه ٧٠٥م وجبل الطرف الذي يعلو ٥٤١م٠

ومن القرى الواقعة في حوضه: المضاياجنوبي شرقيجازان وقاعدة بلاد الحكامية • والحوراني على العدوة اليمنى من وادي الخمس وهي من قرى المسارحة •

وادي جازان : ومآتيه من غيلان جبل بني رازح بن غيلان وأشراف رُغافة بلد عامر في أرض بني جماعة ، ومساقط عنم وتقترب رؤوس أوديته العليا من شعاب وادي خلب العليا ، ومن الأودية التي تدفع مياهها نحو : أبو الجرع ومسيال وعوجبة ومشرف وقصبة .

ومن قراه سلامة وعقدة والقعارية والمجصص والواصلي •

وقد أقيم عليه سد لحجز المياه من أجل الري • وإن لـم يكن هو أكبر وادر في تهامة إلا أنه من الأودية التي يمكن الإفادة منها كما أنه يعادل بقية الأودية الكبيرة ويصرف ٤٥ ألف م من الماء كل عـام •

وادي ضمد: ويتلقى من غيلان جبل بني رازح بين غيلان وأشراف رغافة كوادي جازان وتأتيه مياه وادي جورا وكلاهما تنحدر إليهما سيول جبل فيفا وجبال بني مالك وجبال الحشر .

ومن القرى التي تقع في حوضه الواسط وتقع على عدوته الجنوبيــة .

وادي صبيا: وتأتيه مياه وادي قصي من جهة اليسار كما يرفده من جهة اليمين وادي نخلان الذي يجري بين العكوة الشامية من جهة اليمين والعكوة اليمانية من جهة اليمين والعكوة اليمانية من جهة اليمين والعكوة جبلان •

ومن المدن الهامة صبيا التي يحمل الوادي اسمها ، وظبية التي تقع إلى الجنوب منها •

وادي بيش: وهو أكبر أودية تهامة عسير، ويشكل نصف دائرة إذ تبدأ شعابه الأولى من جبال الحشر وجبال بني مالك وجبال السراة كوادي الدفاع ووادي الضبعة ووادي القاعة وتتجه نحو الشمال الغربي ثم يأتيه وادي العوراء ووادي راكان

ويتجه عندها وادي بيش نحو الجنوب الغربي فتأتيه الروافد عن يسراه وادي عكاش وقرى وغوان وشهدان ووساع ويتجه نحو البحر ليصب شمال وادي صبيا وعلى مقربة منه •

ويقدر مايصرفه من المياه خلال العام ١٥٥ ألف متر مكعب و وتكثر القرى في مجراه الأسفل أبو الطيور وقلبية والجارية والقشة وييش ويقول ياقوت الحموي: بكيش: بالشين المعجمة: من مخاليف اليمن ، فيه عدة معادن ، وهو واد فيه مدينة يقال لها أبو تراب ، سميت بذلك لكثرة الرياح والسوافي فيها ، وهي ملك للشرفاء بني سليمان الحسنيين •

وادي السر: وهو واد صغير ٠

وادي بيض: ويرفده من جهة اليسار وادي جوان ثم وادي سمسرة •

وادي رملان: ويوازي وادي بيض •

وادي عتود(١): وهو من الأودية الكبيرة مشل جازان وتعشر ، وتأتي مياهه من السراة إذ يرفده من جهة اليمين وادي

⁽۱) يوجد واديان يحملان هذا الاسم أحدهما يتجه نحو الشمال الشرقي حيث يرف وادي بيشة ، والآخر هذا الذي نتكلم عنه ويجري في تهامة ويصب في البحر الأحمر ، ولا يفصل بين الواديين سوى منطقة صغيرة تقع فيها قرى العضاضة وآل يزيد وتعتبر منطقة تقسيم المياه بين السيلين .

ضلع الذي يمتد برأسه حتى قريباً من مدينة أبها ثم تأتيه مياه وادي مرابا المجتمعة من أودية الفينة وحرملة ومرابا وكلها أودية تقترب في مجاريها العليا من وادي خبيبي الذي هو أصل وادي أبها حتى لايفصلها عن بعضها بعضاً سوى العقبات • وتقع عليه بلدة الدرب •

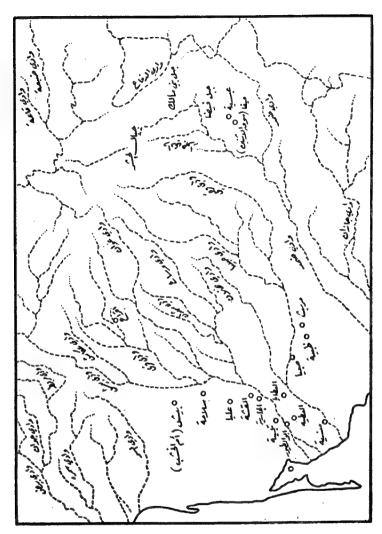
وادي ريم: وهو طويل المجرى أيضاً تأتي مياهه من السراة ومن غربي السودة وقريباً من مجرى وادي حلي الأعلى •

وادي عرمرم: وهبو واد صغير .

وادي حلي: وتأتي مياهه من جبال السراة من السفوح الغربية لجبل السودة ، ويتجه نحو الشمال الغربي فيرفده وادي قض الذي يتغذى أيضاً من جبل السودة ، ثم يرفده وادي تيه من جهة اليمين أيضاً • وتقع في واديه رجال ألمع ومحايل البحر وحملى •

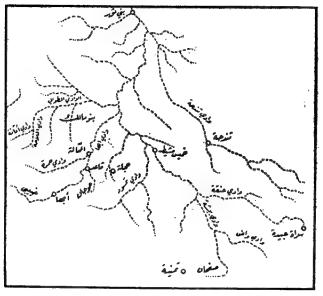
ب ـ اودية السراة : وهي أودية أكثر طولاً وتتجه نحو الشمال الشرقي حسب الميل العام للمنطقة ويتجه بعضها نحو الشرق ، وجميعها تغيض مياهها في الرمال ، وأهمها :

وادي بيشة: وهو أهم الأودية ، وأكثرها طولاً ، وأغناها روافداً ، يبدأ من شرق تمنية ويعرف هناك باسم صفحات،ويكون اتجاهه نحو الشرق ثم ينحرف نحو الشمال ويعرف باسم وادي المربع ويأتيه من اليمين وادي واض ويعرف بعدها باسم بيشسة



مصور يوضح اودية تهامة عسير الوسطى

ويستمر في اتجاهه نحو الشمال حيث يرفده من جهة اليمينأيضاً وادي عنقة الذي يأتي من سراة عبيدة ويكون مجراه هذا في بلاد قحطان ، ویدخل بعدها بلاد شهران حیث تقوم علیه مدینةخمیس مشيط وبعدها يرفده من جهة اليسار وادى عتود الذي تجتمع إليه المياه المتساقطة على المنطقة الواقعة بين أبها وبلاد قحطان . ثم تأتيه مياه نهر حجلة عن اليسار أيضاً كما تأتيه سيول أخرى من اليمين ويتابع مجراه نحو الشمال حيث يرفده وادي أبها وهو وادر طويل يأتي من السودة ويعرف هناك باسم خبيبي وعندما يصل مدينة أبها يعرف باسمها ويرفده وادي جوحان من اليمين عند قاعد كما يأتيه وادي حمرة من اليسار ويرفده عند بلدة المحالة ويتابع مجراه نحو الشمال حيث يجتمع بوادي بيشة الذي يحتفظ الوادي باسمه ثم تأتيه مياه الوادي الطويل الذي تجتمع فيه مياه وادي أتانة ووادي ملاحة ويتلقيان المياه من جبل السودة وجبل تهلل ، وكذا أودية بني مالك التي تأخذ المياء من جبل تهلك وكذا وادي عبل ، كما يتلقى وادي بيشة سيولاً عديدة عن اليمين وعن الشمال • ومن أشهر الأودية التي تأتيه عن اليمين وادى تنوحة الذي يمد رأسه نحو الجنوب حتى قريباً من سراة عبيدة وتأتيه سيول كثيرة ثم يرفد وادي بيشة جنوب شرقي بني ثور ، كما تصل وادي بيشــة سيول من اليسار . ويتابع مجراه بعد بلدة بني ثور وهنا تأتيه أكثر الروافد من جهة اليسار بسبب ميل المنطقة العام إذ أن السيول التي تجري على يمناه تتجه نحو وادي تثليث ، فتصب فيه مياه بلاد بالأسمر وبالأحمر وبالقرن ، وأهمها : وادي تر ج الذي يجمع مياه عدة سيول ويصب في وادي بيشة عند الحيفة • ووادي هرجاب وهو من الأودية العظيمة في بلاد شهران ، ويرفد وادي بيشة قدرب الحيفة أيضاً • واعتباراً من واعر قبل الحيفة بقليل يدخل بيشة



مصور مجرى وادي بيشة الأعلى

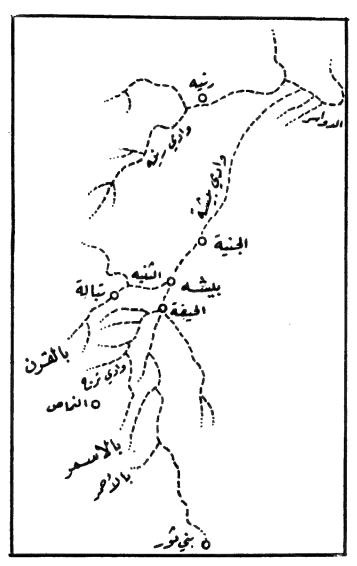
مجراه الأسفل وعندها تقوم مزارع النخيل في مجراه بينما من قبل يكون مرتفعاً ولا يصلح لزراعة النخيل وإنما لزراعة القمح ومجراه الأعلى يعرف الشعف بينما الأسفل يسمى بالسعف لقيام

زراعة النخيل • ثم يرفده عند الصبحي وادي تبالة الذي يتلقى المياه من بلاد غامد ويعرف في مجراه الأسفل باسم الثنية • وبعد ذلك يمر الوادي من بيشة ويتابع اتجاهه نحو الشمال الشرقي حيث يلتقي مع وادي رينة ويفيضان معا في الرمال باتجاه وادي الدواسر •

يبلغ طول وادي بيشة ما يزيد عن ٣٥٠ كم من بدايتهوحتى بعد الجنينة بقليل ولكن يستمر بعدها ما يقرب من ١٠٠ كسم في الرمال ٠

وادي تثليث: وهو يصفي الأمطار التي تتجه إلى جهسة الشرق من بلاد بطون قبيلة قحطان ، كما أنه منتهى عدة أوديسة مهمسة تصفي قسسماً من بسلاد قبيلسة شهران ، ويتجسه نحو الشمال الشرقي ، وينتهي عند الرمال المعروفة باسم المختمية بقرب وادي الدواسر ، وإذا جرت فيضانات كثيرة يمكن أن يتجاوز السد الرملي ويصل إلى وادي الدواسر كما حدث عام ١٣٣٦ هوقد أغرق آنذاك عدة قرى •

يمتد وادي حمضة نحو الجنوب أكثر من غيره من الأودية التي تشكل وادي تثليث ويرفده من اليسار وادي العرين ثـم وادي المسيرق الذي يتألف من ثلاثة أودية كبيرة وهي الشيق والسليل وخيبر وتلتقي في حفاير الثفن مع وادي تثليث ، ثم يرفده وادي القاعة ، ومجرى الوادي تملكه قحطان ما عدا وادي المسيرق والقاعة فإنهما ملك شهران ،



مصور وادي بيشــة فيمجراه الأوسط والأسفل ــ ٣٤ ــ

أما الأودية التي تتجه من السراة إلى الشرق فهي : وادي حبونه ووادي نجران •

المياه المعدنية: توجد في تهامة بعض المياه المعدنية بسبب أن المنطقة انكسارية ، والمياه المعدنية ليست سوى مياه دخلت إلى باطن الأرض خلال صدوع وارتفعت حرارتها كما حللت بعض المعادن الموجودة في التربة وبخاصة المواد الكبريتية لسهولة انحلالها ثم انبثقت هذه المياه مرة أخرى بسبب ضغط الأبخرة الناتجة عن الحرارة الأرضية وتندفع البراكين في المناطق الانكسارية ويكون في شقوقها من المياه المعدنية كما يكون في الانكسارات ، وإن كانت الانكسارات سبب وجود البراكين إلا أن المياه المعدنية قد تكون في مناطق انكسارية كما قد تكون في مناطق بركانية ومن أشهر هذه العيون في تهامة عسير:

العين الحارة: جنوب شرقي جيزان وعلى مسافة ٥٠ كم منها بين الأودية العليا التي تكون وادي خلب ، وتظهر أبخرتها من بعيد على شكل دخان أبيض وتنبجس منها صخور بركانية ، وتنساب مياهها لتصب في وادي خلب • ومياهها حارة لدرجة الايتحملها جسم الإنسان •

الوغرة: وتقع شرق العين الحارة بمسافة خمسة كيـــلو مترات ومياهها حارة أيضاً كسابقتها •

البزة: وتقع شرق جيزان بمسافة ٥٣ كم وقريبة من مجرى وادي جازان ، ومياهها حارة وتنساب بين بساتين النخيل لتصب في الوادي .



مصور يوضح أودية عسير

البزة: على اسم سابقتها وتقع شمال شرقي جيــزان على مسافة ٥٠ كم أيضاً وتصب مياهها القليلة الحرارة في شهـــدان الذي يرفد وادي بيش ٠

وغرة بني مالك: بين جبال فيفا وجبال بني مالك قريباً من الحدود اليمنية ، وترفد مياهها وادي ضمد ، ويقصدها الناس سواء من اليمن أم من سكان تهامة ، وقد بني عليها حوضان أحدهما للرجال والآخر للنساء ، وهي تبعد عن جيزان مسافة ١٦٠ كم ٠

الفصل الرابع

التبات والحيوان

النبات الطبيعي . يقول الهمداني عن نبات عسير « بين روض وشجر عرى (۱) وعضاه مطعمة وعضاه شوكة وحشائش وزهور وأنوار ، فأما الحشائش ففيها أكثر حشائش العقسار ولكن أهلها البدوية لايعرفونها وإنما يعرفها الحكيم من الناس من أهل صناعة الطب ، وكل جنس من هذه الضروب لاتحصر فنونه غير أن العرب قد تميل إلى أسماء الرجال وإلى أسماء العضاه الشائكية والمرتعية لما فيها من الخشونة والحدة والصلابة والصبر على قلة المياه وعدم الري فمن أسمائهم طلحة وسمرة وعوسجة وعرفطة وقتادة وعلقمة وحدقة وشبرمة وطرفة و ٠٠٠» (۲)

« ولقد كان سكان السراة يعتمدون على أشجار بلادهم ونباتاتها في أكثر ما يحتاجون إليه في شؤون حياتهم ، فمن بعض ثمار الأشجار يتخذون أسلحتهم كالقسي والنبال وأواني أكلهم وشربهم ورحالهم وسقوف بيوتهم، ومن ورقها وقشور جذوعها ما يصلحون قربهم وأنحاءهم ، ومن

⁽١) شجر عرى : ينبت من تلقاء ذاته وهو النبات الطبيعي.

⁽٢) صفة الجزيرة العربية ص ٢٧٦.

نباتاتها ما يتخذون منه أدوية لمرضاهم أو سماً لقتل أعدائهم من الوحوش الكاسرة والطيور الجارحة ٠٠٠٠(١) » •

كما ويستفاد من النباتات لحفظ التربة من الانجراف عند سقوط الأمطار • والنباتات كثيرة منها ما هو أشجار عالية ومنها ما هو حشائش فصلية منها ما ينبت في الجبال والأماكن المرتفعة ومنها ما ينمو في الأودية والبقاع المنخفضة ، وأهمها:

الطلح: من أنواع الأكاسيا، ويوجد في المناطق المنخفضة وينمو حتى ارتفاع ١٧٠٠ م كما يوجد في الأودية، ويقطع في فصل الخريف وهو قوي فاذا أتى عليه الشتاء فرغ لبه وانتخر ولم يعد صالحاً لما هو له من سقوف البيوت وغيرها .

العرعر: وأوراقه دائمة الخضرة ، وله ثمر صغير كالحمص ولكن لايستفاد منه ، وإنما يستفاد من جذوعه كأخشاب قوية ، وهو نبات كبير ، وهو كثير بالسراة .

الزيتون البري : ويسمونه العثتم وهو يكثر في أبها وبلاد بالقــرن •

الإسحل: وهو من النباتات الصحراوية ، ويشبه الأثل ، وينمو في السهول .

 ⁽۱) سراة غامد وزهران له حمد الجاسر ص ۳۷۲ عن التكملة
 الصاغاني .

الإلب: وهي شجرة شائكة كأنها الأترج ومنابتها ذرا الجبال •

الشُعب: شجرة ظلهاكثيف ، لاثمر لها، وتنبت في المرتفعات . الجوز: شجر عال كثير الأغصان وأوراقه عريضة وثماره معروفة .

السوجر: وهو نبات الصفصاف ويكثر في الأودية · الرقعة: وهو شجر كبير يشبه الجوز ·

السرو: ينبت في الجبال حيث يتحمل البرد وأوراقه أبرية وتتخذ منه القسى •

السدر: وهو شجر النبق وأوراقه عريضة ، يرتفسع إلى عشرة أمتار ، وهو كثير الظل ، يكثر في بطون الأودية وبخاصة في السفوح الشرقية .

السمر: نباتات صحراوية ترتفع إلى مترين ونصف المتر، وأخشابها جيدة للبوقود •

الضرو: نبات ضخم ، يستعمل في أعمال النجارة ، وكان يستفاد منه في صنع الآنية المنزلية .

اللبخ: من أشجار الجبال .

النبع: من أشجار الجبال أيضاً •

ومن الحشائش والنباتات القصيرة :

البكشام : عطر الرائحة ، طيب الطعم ، يستاك بقضبه ،

وإذا قطع خرج منه سائل أبيض ، ويدق ورقه ويخلط بالحناء ، يسود الشعر .

الحكاق : له ثمرة تشبه المشمش تستعمل في الدباغة ويرتفع بقدر نصف متر •

الحرمل: نبات صحراوي ، ينمو بالقرب من الماء ، ويصل ارتفاعه إلى نصف متر •

الخزام: له ثمرة تأكلها الغربان، وتألف نبتته أسراب النحل و الخطر: يستعمل لتخصيب الشعر، وقد يمزج مع الحناء و الرتم: حشائش ترعاها الأغنام و

المرار: شوك صغير كالعصفر •

القرظ: ويستعمل للدباغة ، وترعى الأغنام والماعز أوراقه، ويصل ارتفاعه ٢ ــ ٣ م ، ويستعمل للوقود .

العرفج: نبات مر المذاق يصل ارتفاعه إلى ٣٠ سم وسيقانه رفيعة ٠

العثرب: ينمو على أطراف الأودية وعلى حدود المناطق الزراعية ، وترعاه الإبل .

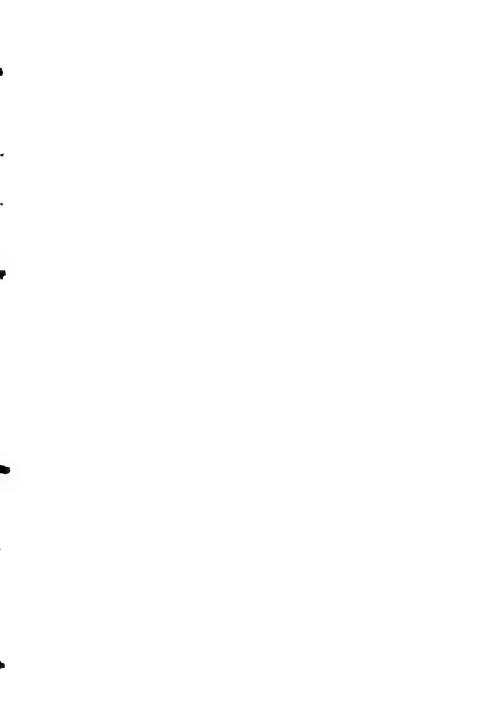
الطرف: نبات قصير يستعمل لحشو الوسائد والمساند و الضرم: نبات يصل ارتفاعه إلى المتر، طيب الرائحة، تأكله الأغنام، وتعافه الإبل، وله ثمر يشبه ثمر البلوط و الشذا: ينبت بالسراة وتتخذ منه المساويك و

الزقوم: يرتفع إلى ٦٠ سم ، وأوراقه صغيرة ، مر المـــذاق وفيه أشواك تعلق بأصواف الأغنام أثناء مرورها فوقه كما تلصق بثياب الانسان .

الزو"ان : نبات يشبه نبات القمح ويعرف في بلاد الشـــام باسم «زيوان» •

الشوحط: نبات يصل ارتفاعه إلى متر واحد ويوضع فوق أخشاب السقوف، بينها وبين الطين.

الحيوان: كانت الحيوانات قديماً أكثر منها الآن إذ أن كثرة السكان واستعمال آلات الصيد الحديثة وتغير المناخ كل ذلك أدى إلى قلة الحيوانات وانعدام بعضها ، فقد كانت الأسود تكثر في المنطقة وتشتهر أسود وادي بيش وأسود وادي عتود،أما الآن فقد انقرضت وإن كان السكان يتحدثون عن وجود بعضها، وتوجد الضباع والذئاب والنمور في المناطق القليلة السكان ، وتوجد الأرانب والنيص ومن وكذلك قلت الظباء والوعول ، وتوجد الأرانب والنيص ومن الزواحف تكثر الأفاعي والحرباء ،



البائر الأي الشككان



الفصل الأول

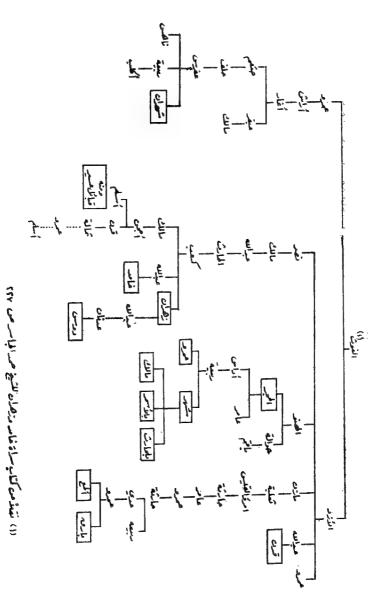
نِسَبُ إِلِشُ كَان

مُكنت لسراة منذ القديم ، وكان من قاطنيها من باد واندرست آثاره ، وكان منهم من جلا عنها وارتحل منها ، وكان منهم من انصهر مع من غلبهم على بلادهم • فقد قيل: إن العمالقة قد عمروها حتى انقرضوا منها ، كما قيل : إن الانباط قد انطلقوا منها إلى أطراف جنوبي بلاد الشام ، وقيل إن بني ثابر قد عاشوا فيها حتى جاءتهم الأزد وقد تفرقت في الأرض بعد خراب ســــد مأرب فحطت رحال بعضهم فيها ، وغلبوا قاطنيها ، فأقاموا فيها ، وانتسب المغلوب للغالب ، ونُسب أهلها الجُندد إليها تمييزًا لهم عن بقية إخوانهم وتعريفاً لهم بمثقامهم فيقال : أزد السراة كما يقال أزد عُمَان ، لأنها كانت قبيلة كبيرة لايسع أفرادها مكان واحد ، ولا يكفي حيواناتها مرعى واحد . وكانت بطونها قـــد خرجت من مستقرها وتريد الاستيطان واختيار المكان فكان لابد لها من أن تقاتل أقواماً سبقتها وجماعات حلت في أماكن طيبة وبقاع خصبة ، وانطلقت أكثر البطون تخاصم وتخاصم ، ولــم يرق لأزد السراة أن ينصروا إخوانهم في قتال خزاعــة فسموا شنوءة لشنآن بينهم وتباغض وتبرؤ^(۱) وعرفوا من بعدها باسم أزد شنوءة وهم بنو الحارث بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد كما أقامت معهم بعض البطون الأخرى •

وتحالفت بعض البطون مع بعضها بعضاً ومع من جاءها مع غيرها حليفاً أو زائراً مستضيفاً أو مستجيراً رديفاً فشكلت قبيلة واحدة فاختلطت بذلك بعض الأنساب وضاع بعضها الآخر حتى لم يعرف إلا أنه من القبيلة الجديدة المتحالفة كقبيلة عسير التي أعطت المنطقة إسمها •

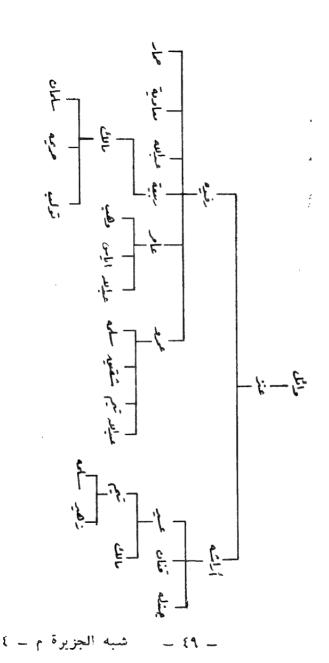
وإن اختلف في هذا النسب اليماني ، هل عسير من أسلم ابن عمرو بن ثمالة بن قرن أم تنتسب إلى أسلم أخي قرن هذا وهما ابنا أحجن بن مالك بن كعب بن الحارث بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ؟ كما هو موضح في الجدول الآتي :

⁽۱) أزد شنوءة قبيلة سميت لشنآن بينهم والنسبة شنائي، وشنىء له حقه أعطاء إياه وبه أقر" أو أعطاه وتبرأ منه ، وتشانؤوا تباغضوا «القاموس المحيط» مادة شنأ ،



وهناك من المؤرخين من يعتبر عسير رجــلاً ينتمي إلى. العدنانيين فالهمداني أبو عبد الله محمد بن الحسن المتوفسي ٣٣٤ هـ يقول في الجزء الأول من كتابه « الإكليل » بعد أن ذكر أسماء عشائر من خولان، ولئلا تلتبس بقبائل عنز بن وائل فلنذكر لنسب عنز بن وائل أو ولد عنز بن وائل على ما خبرني به بعض. من يصالبهم من جنب رفيدة وإراشة ، فأولد رفيدة ربيعةومعاوية وعامراً وعبد الله وعمراً وحماراً ، فأولد ربيعة مالكاً ، فأولد مالك-حريمة وتولباً وسلمان ، فأولد عامر بن رفيدة عبد الله ووهبـــاً وإياساً ، فأولد عمرو بن رفيدة سلمة وشقيقاً وتيماً وعبد الله ، فأولد إراشة بن عنز بن وائل عسيراً وقناناً وجندلة ، فأولد عسير مالكا وتيما فأولد تيم زهيرا وسلمة ومنهم بنو شيبة وعضاضة وبنو اللقاح • وهكذا جاء عن النسابة هشام بن محمد بن السائب الكلبي مثل ماجاء عن الهمداني في رفع نسب عسير إلىعدنان(١) وذلك حسب الجدول الآتي:

 ⁽١) انظر تاريخ عسير في الماضي والحاضر لمؤلفه هاشم بن سعيد النعمي •



وكذلك فقد روى المؤرخ حسين بن أحمد بن عبد الله الضمدي من علماء المخلاف السليماني للقرن الثاني عشر الهجري أنه عسير من عدنان ولكنه روى له نسباً غير الذي ذكره الكلبي والهمداني حيث قال: همو عسير بن عبس بن شحارة بن غالب أبن عبد الله بن عك بن عدنان وهو ينقل ذلك عن عدة علماء من علماء الأنساب منهم أبو الحسن أحمد بن محمد الاشاعري في كتابه « التعريف بالانساب » وكما روى ذلك السيد الإمام محمد بن عبد الله المشهور بأبي غلامة في كتابه « روضة الألباب » والملك الأشرف الغساني في كتابه المعروف « طرفة الأصحاب » وأبو عبد الله النسابة في كتابه « الموسون بالفلك المشحون في انساب القبائل والبطون » ثم هناك كتاب « جواهر التيجان في أنساب عدنان وقحطان » .

وهنا لايهمنا كثيراً انتسب عسير إلى عدنان أم قحطان ؟ إذ عندما جاءت القبائل اليمانية إلى المنطقة كانت تقيم فيها قبائل تنتمي إلى عك بن عدنان وحدث قتال بين الطرفين وإذا كانت قد انتصرت اليمانية على العدنانية إلا أن الثانية لم تغادر أماكنها نهائياً ولا زالت من مواطنها تماماً وإنما اختلطت مع الزمن بالغالبين عن طريق الحلف والمصاهرة والموالاة ، وغلب على الجميع اسم عسير • وإن كان كثير من الناس من يحب الانتماء للغالب ولهذا انتسبوا إلى الأزد •

أما ما خرج عن مسمى عسير من القبائل التابعة لها فبعضهم من قحطان من بني الحجر بن الهنو بن الأزد وهم رجال الحجر أي قبائل بالأحمر وبالأسمر وبنو شهر وبنو عمرو وبلحارث وبنو مالك كما هو موضع في الجدول الوارد في الصفحة ٤٧ من هذا الكتاب •

وقد كتب الشيخ عبد الرحمن الحاقان بعض البحوث التاريخية عن منطقة عسير جاء فيها ما يلي:

١ - قبائل شهران بن عفرس ، وناهس بن عفرس ، وهم بلا شك من قبائل خثعم ، وقد وقع في نسبهم اختلاف كما وقع في نسبه من بني نمار بن في نسب غيرهم ، فمن المؤرخين من يزعم أنهم من بني نمار بن نزار ، والذي نعتقد أنه صحيح أنهم من القبائل القحطانية ، ويدخل فيهم من القبائل العدنانية بنو مالك (أهل تمنية) وبنو شيبة (أهل المسقى والقرعاء) فإنهم من عنز - كما ذكر الهمداني - ويدخل فيهم أيضاً (العواسج) ويسمون الآن (العواشز) وهم أهل مدينة جرش وهم من (حمير) ويدخل فيهم (كود) وهم من (عنسز) .

٢ ـ قبائل جنب بن سعد وهم شریف وسنحان • ومنهم (عبیدة) وقد ذکر بعض المؤرخین أن عبیدة اسم لأم هذه القبیلة، وهي عبیدة بنت مهلهل بن ربیعة التغلبي الذي نزح إلى بـ لاد (جنب) في زمن حرب البسوس ، وقد ذكر بعض النسابة أن

قبيلة (جنب) أجبروا مهلهلاً على تزويج ابنة عمه منهم وفي ذلك يقول مهلهل :

أنكحها فقدها الأراقم في (جنب) والحباء من أدم لو (بأبانين) جاء يخطبها

خضب أنف خاطب ما بدم

وفيهم من القبائل العدنانية بنو رفيدة بن أراشد من (عنز)، ويطلق عليهم الآن (رفيدة) ويوجد في جبال رفيدة في تهامــة جبل عظيم يسمونه (مهلهل) • ويسكن السراة أيضاً (بنو بشر) وقد وقع في نسبهم اختلاف ، فمنهم من ينسبهم إلى (الأزد) ومنهم من يزعم أنهم من (بلحارث بن كعب) وآخر قبائل المنطقة شرقاً لجنوب قبائل وادعة وهي قبيلة أزدية، أما قبائل تهامة عسير، فيبتدىء غرباً للشمال من قبائل المجاردة وبارق ، فإن هاتين القبيلتين (أزديتان) وكذلك قبائل آل (مبوسى) في محايــل • وربيعة المقاطرة والصوالحة ثم المنجحة وهذه القبائل (أزديـة) ثم يليهم قبائل (رجال ألمع) وألمع اسم لجدهم ، وهو من القبائل القحطانية • وهم تسع قبائل كالآتي : بنو ظالم • بنو قطبة • بنو العوص • البناء • بنبو شحب • بنو زيد • وأهل صلب • بنو جونة • بنو قيس • ويذكر بعض المؤرخين أن أهل صلب وبني زيد يقال لهم (بنو بكر) • وبنو قيس ، وبنو جونة يقال لهم (بنو مسعود) وهؤلاء القبائل الأربع يزعم البعض بأنهم من القبائل العدنانية .

أما قبائل السهول ، فهم كالآتي : أهل المضة ، والفهر ، وآل سليمان • والمساردة من عبيدة ، والحباب من سنحان ، وأهل قبائل أهل العين وتثليث والأمواه ، فهم من الجحادر من قحطان وقبائلهم كالآتي : آل سعد • آل عاطف • المشاعلة • آل الجمل ويتفرع منهم آل سويدان وآل مسعود وغيرهم (١) •

ورغم مافي هذه البحوث من ملاحظات فإن منطقة عسير اليوم تضم مناطق أوسع من البقعة التي تقيم فيها قبيلة عسير وأشهر القبائل في المنطقة كلها:



⁽۱) رحلات في عسير يحيى ابراهيم الألمي ص ٢٩ ـ ٥٠.

الفصل الثاني

قبيلةعسير

قبيلة عسير حلف مسن القبائل ذات الأصدول المختلفة ، ولكن كثرتها من أزد السراة وفيها عناصر من قحطان وشهران وهذا أمر طبيعي بالنظر إلى رابطة الجوار وضرورات الاختلاط الناشىء عن الغلبة والسلطان والمصاهرة والولاء ، وإن ارجاع أنساب القبائل العربية المعاصرة إلى أصولها أمر من الصعوبة بمكان عظيم نظراً للاختلاط الذي حصل خلال الزمن الطويل في أنساب القبائل وهجراتها وتحالفها ويذكر الهمداني في «صفة الجزيرة العربية » أن قبيلة عسير يمانية تنزرت •

وأهل عسير أشد العرب نفرة من الأجانب ، وأبعد العرب عن المدنية ، كانوا في الماضي قبائل مستقلة بعضها عن بعض ، بل معادية بعضها لبعض ، ولا يزال في الجهة الشرقية الجنوبية من أولئك الأعراب الذين يسلكون مسلك الأقدمين في الاستقلال والقتال ، فهم لا يدينون لصاحب اليمن ، ولا لصاحب عسير ، ولا لصاحب نجد والحجاز وذلك كما يقول الريحاني في كتابه و نجد وملحقاته » •

وعمير أربعة قبائل كبرى هم « بنو مغيد » و « علكم »

ويقال لهما ولد أسلم ، وهما شوكة عسير وأكثرهم عدداً ، و « ربيعة رفيدة » و « بنو مالك » وجميعهم يعدون على وجه التقريب مائة ألف أو يزيدون .

وتمتد منازلهم شرقاً إلى قبيلة شهران « قرية حجلة » وما حاذاها ، وغرباً إلى منازل قبيلة ألمع ومشارف الجبال ، وجنوباً إلى منازل قبيلة إلى منازل قبيلة بالأحمر أو المكان المعروف بالدرجة وهو السهب الممتد إلى مواطن قبيلة بالأحمر ، أو بعبارة أخرى تمتد من جبل (تمنية) وعقبة القرون من جهة الجنوب إلى وادي (تية) وعقبة شعار في الشمال ، فطولها يبلغ خمسين كيلو متراً ، وعرضها بين منازل رجال ألمع فطولها يبلغ خمسين كيلو متراً ، وعرضها بين منازل رجال ألمع في الغرب وسهوب بلاد شهران في الشرق يصل إلى أربعين كيلو متراً ،

آ - بنو مغيد : إحدى قبائل عسير ، وتضم عدداً من البطون يحدها من الشرق بنو مالك ومن الغرب بنو زيد أحد بطون ألمع، ومن الشمال علكم، ومن الجنوب بنو مازن وهم فرعمن علكم ، ويوجد لها فروع خارج المنطقة هذه كآل يزيد الشعف حيث يقيمون جنوب بني مازن ، وهناك قبيلة بني ثكمار وتعرف لدى العامة باسم « بدو ربيعة » وتقطن قرب درب بني شعبة على طريق أبها - جيزان ، وتنقسم هذه القبيلة إلى قسمين : قسم يسكن السراة والآخر يقيم في تهامة وهو في الواقع يتبع بني

مغيد ، ويفصل بين القسمين جبل يطل على تهامة بارتفاع كبير ، ويعرف باسم جبل الطور .

ويعتبر بنو مغيد أن لهم الحق في حمل لواء عسير ولعل ذلك بسب كون آخر أمراء المنطقة منهم ، وقد يسبب هذا بعض المنافسات ، وحلت المشكلة في النهاية بأن يحمل هذا اللواء مندوب من قبل الحكومة .

ويصل تعداد بني مغيد إلى أكثر من عشرة آلاف نسمة ويصل عدد قراهم إلى الستين قرية ، ولكل قرية نائب يرشحه أهل القرية للمحافظة على العادات والتقاليد ، ويمثلهم في كل شأن يخص القرية أو القبيلة •

وهم أربعة أفخاذ هي :

ويذكر ابن كثير في كتابه «البداية والنهاية» أنه كان ليزيد بن معاوية خمسة عشر ولدا ذكراً هم : معاوية ، وخالد وأبو سفيان وأمهم أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وعبد العزيز وأمه أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر ، وعبد الله الأصغر ، وأبو بكر ، وعتبة ، وعبد الرحمن ، والربيع ، ومحمد

ويزيد ، وحرب ، وعمر ، وعثمان وهؤلاء أمهاتهم أمهات أولاد • وله من البنات خمس هن : عاتكة ، ورملة ، وأم عبد الرحمن ، وأم يزيد ، وأم محمد •

ويقول ابن كثير: وقد انقرضوا كافة فلم يبق ليزيد عقب. والواقع أن رأي ابن كثير غير مقبول إذ من المستبعد أن ينقرض نسل خمسة عشر ذكراً فلم ينجب أحدهم في حين كان يتزوج الواحد منهم عدة نساء وإنما الذي يبدو صحيحاً أن قيام دولة بني العباس وملاحقة الأمويين ومنهم أبناء يزيد وأحفادهم قد جعلهم يغادرون المنطقة التي كانوا فيها وهي دمشق ويتجهون إلى مناطق ثانية فلم يعد يعرف لهم أثر في منطقتهم التي نشؤوا فيها وبخاصة أن هذا لم يحدث بعد مدة طويلة من أيام يزيد إذ دارت الدائرة على بني أمية ولم يمض على وفاة يزيد أكثر مسن ثمانية وستين عاماً فقد يكون بعض أبنائه لا يزالون أحياء ،وعندما وصلوا إلى مناطقهم الجديدة التي حلّوا فيها لم يشتهر أمرهم فيها إذ لم يعر ُّفوا على أنفسهم خوفاً من بطش السلطة بهم وهي التي تدين بالولاء لخصومهم بني العباس كما أن التاريخ لم يؤرخ _ مع الأسف _ إلا للأمراء والملوك فنسيهم عندما أعلنوا عن أنفسهم وقت ضعفت سلطة بني العباس • وقد تكون أسر أخرى تنتمي إلى يزيد في جهات ثانية ، ولهذا عندما قال ابن كثير بأنهم قد انقرضوا كافة فلم يبق ليزيد عقب فهو صادق مع نفسه إذ لم

يسمع حتى أيامه بأحد ينتمي إليه في منطقته دمشق أو بآخر طارت شهرته في منطقة ثانية .

٣ ــ آل عبد العزيز .

٣ _ آل وازع .

٤ - آل مغيد الوطى ومنهم آل الشرف وآل يزيد شعف .

ويعتز بنو مغيد فيقولون عن أنفسهم مغيد الخطى .

ب علكم: وهم ستة أقسام منهم : بنو مازن ، وبنو المقرن ، وأهل القصير ، وآل المقرن ، وأهل القصير ، وآل سعيدي وتلادة عبدل ، وتفتخر علكم فتقول عن نفسها علكم الهـول .

حدربيعة ورفيعة: فربيعة أربع عشائر هي: تيهان، وآل شدادي ، وبنو غنمي ، وآل عاصم • وتقول ربيعة عن نفسها «ربيعة مساكة الحرب» •

ورفيدة خمس عشائر هي : آل الحارث ، وأهل طبب ، وأهل الغال ، والتلادة ، والرفقتين .

د بنو مالك: وهم أهل الصمت ، وهم ثمانية أقسام أشهرها: آل يعلى ، وبنو منبه ، وآل الحبشي ، وبنو رزام ، وآل المجمل ، وآل رميان ، وبنو ربيعة ، والتلادة أيضاً .

ويتبع عسير عدد من القبائل الصغرى دون الأولى في المركز الاجتماعي وذلك بسبب قوة الشوكة والشكيمة ، كما أنها هي تختلف فيما بينها ، كما لها فروع في المناطق الثانية وبين القبائل التي تقيم في البقاع الأخرى من السراة كشهران وقحطان ورجال الحجر ، وأهم هذه القبائل :

١ - البلاحطة : وهم الذين يستجدون بمديحهم ومع هذا فيعرفون بالكرم وحسن الضيافة •

٣ سناعة النسيج الغيوض : وهم كالأجراء ، ويعملون في صناعة النسيج اليدوي ، فيغزلون وينسجون وبر الحيوانات وشعرها على شكل فرشات مستطيلة .

٣ ـ الهتمان: وهم من الطبقات الوضيعة ، ولا يعترفون بالجميل ، ويعرفون باسم « الهتوم » ، ويعتبر هذا الاسم سبة وعار وكلمة شتيمة .

٤ ـ الكحلة: وهم ذو مستوى رفيع ومع هذا فالقبائل
 القوية لا تناسبهم ولا تصاهرهم •

ه ً _ الدواسر : وهم غير القبيلة العربية المعروفة ذات الحكانة والمنعة وأصل هؤلاء من الأرقاء ٠

٦ العبيد: وهم الذين يحملون لون البشرة الأسود •
 وجرت العادة ألا تتزوج بطون عسير القوية مع هذه القبائل التي تتبعها للاختلاف في المستوى الاجتماعي •

كما جرت العادة في سائر بلاد السراة وشهران وقحطان أن يكون لكل قبيلة في السراة أتباع من القبائل في تهامة ، ومن أشهر هذه القبائل التي تقيم في تهامة وترتبط مع قبائل عسير هي :

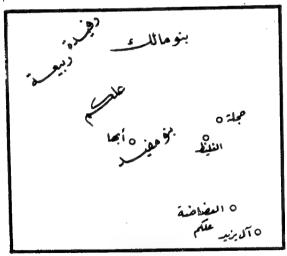
آ للنُضَيَّبُون : ويتبعون بني مغيد .

ب ــ أم نفلة : ويتبعون علكم •

ح ـ سكان وادي مربة : ويتبعون بني مغيد وعلكم .

د - ربيعة اليمن: وتحسب من ملحقات بني مغيد ، وتقيم في وادي ضلع إلى الجنوب الغربي من مدينة أبها وحتى التقائه بوادي عتود التهامي ، ولا تزال أقرب إلى البداوة ، وتعيش على الرعي ، ولا يزال عندها بعض العادات الغريبة وإن زال أكثرها وبقي بعضها في الخفاء ، وأهمها الحفلات التي تقوم أثناء عملية الختان التي تتم بسلخ الجلد ، ويحضرها الرجال والنساء على حد سواء وبخاصة الفتيات الأبكار ، وتتم العملية والمختون عار ، ولا يختن إلا من بلغ سن الرجال ، هذا إضافة إلى الاختلاط .

ولا يضع الرجال على رؤوسهم شيئاً بينما تضع النساء قبعات من القش على رؤوسهن وفي الوقت نفسه فالقبيلة أهل كرم وضيافة م



توزع بطون قبیلة عسیر ۲

العادات الاجتماعية عندقبائل عسير

ينقسم أهل عسير إلى قسمين: « القبيلي » وهمو الذي يمت بصلة الى قبيلة عظيمة ذات نسب وقوة ، وهو مزارع بالدرجة الأولى ، و « الطرف » وهوغير الأصيل ويمتهن حرفة بشكل عام والأطراف أنواع منهم الصناع ، والبلاحظة وهم أدنى الأطراف ، والغيوض ، والهتوم ، ولا يصاهر « القبيلي »الأطراف فلا يزو جهم ولا يتزوج منهم ، ولكن الزواج يتم بين الأطراف بعضهم مصع بعض ، وان كان بعضهم يشعر باعتلاء مكانته على بعضهم الآخر ، وهم يعترفون بضعتهم أمام القبليين ، وعدد الأطراف قليل إذ لا تتجاوز نسبتهم ه/ فقط ،

ومن العادات المميزة عند قبائل عسير والملاحظة •

1 - الختان: ويسمى « تطهير » ، ويعمل للشاب الذي يراد ختنه ملابس خاصة ، وتشكيلة معينة في الشعر ، ولا تتم عملية الختان إلا بعد أن يتجاوز الشاب سن البلوغ ، وتتم بين جمع غفير من أبناء قبيلته وأخواله وأقارب أسرته جميعاً سواء كانوا من قبيلته أم من غيرها ، ويختن أمام الأشهاد ، والغرض من ذلك إظهار شجاعة الرجل المختون ، ويعلم "قبل إجراء العملية له أبياتاً من الشعر قد تصل في بعض الأحيان إلى الثلاثين بيتاً وتسمى « قاف » تتضمن مديحاً لأهله وأخواله وإظهار محاسنهم

وإبداء مناقبهم • ويقد م الأخوال في هذه المناسبة مبلغاً من المال لوالد ابن أختهم ، ويسمى هذا المبلغ «جود»، وهم أشد حرصاً على تقديم مبلغ أكبر حتى يشملهم المديح ، وحتى لا يحملهم ابن أختهم شيئاً من العار فيما إذا أبدى تخوفاً أو اضطراباً لأن من الشائع أن الولد يشبه أخواله ، ومن القديم قيل «كادت المرأة أن تلد أخاها» ، وقد بدأت هذه العادة تقل وتضمحل ، وإن بقيت واضحة عند « بدو ربيعة » و « بدو وادي مربة » وبشكل أكثر قسوة وأشنع عيباً •

الجمال كثير في عسير والصداق قليل ، ولهذا كانت الأسواق تغص براغبي الزواج ، وكثيراً ما يدور هذا الحديث بين زو"ار المنطقة وضيوفها ولكن يظهر أن قلة الصداق إنما هو لأهل المنطقة لا لسواهم ، ولا يختلف الجمال كثيراً عن بقية المناطق ، ونساء السراة على العموم تغلب في وجوههن الاستدارة ، ويتميزن عن أهل التهائم بإشراق اللون وصفرته ، والاعتدال في قاماتهن ، وشعورهن على العموم حالكة السواد لهن في تصفيفها وضفرها وضاعة خاصة ،

ومن العادات الشائعة أن البنت لا تتــزوج حتى تبلغ سن الخامسة والعشرين من عمرها لأن أهلها يريدون أن يستفيدوا منها في المزارع •

والصداق ليس من نصيب الفتاة وإنما من حظ والدها وفيه أحياناً من الطمع الشيء الكثير .

ومن الشائع أن يتعرف الشاب على فتاته قبل عقد النكاح في إحدى المناسبات من زواج أو ختان أو في الأسواق ، خاصة وأن المرأة لا تغطى وجهها •

وينفق الرجل الكثير من المال في زواجه ، خاصة في كسوة أهل خطيبته قبل أن تنتقل إلى داره والعار والويل للزوج الذي لم يفعل ذلك ، والذين يكسوهم عادة إخوة وأخوات العروسس وخالاتها وأعمامها وعماتها وما أكثرهم إن كان الزوج غريباً أو غنيساً .

ويعطي والد الفتاة ابنته بعض الحاجيات أثناء انتقالها بينما يقدم رجلها في المستقبل الحلي من مجوهرات وغيرها •

وللمرأة مطلق الحرية في اختيار الزاوج فإذا ما تقدم لخطبتها أحد وغالباً ما تراه ولم يعجبها أبت وامتنعت بكل صراحة ، ولا تقع أية محاولة من ذويها لحملها على القبول والاستجابة ، وهن صريحات في قول لا أو نعم ، وحتى لو حصل الرضا ثم لم تستطب معاشرته تترك بيت الزوجية وتقول : « شَنَيَتُهُ » أي كرهته ، ولا يحصل في الغالب اعنات من الزوج ودعوى بالنشوز، ويكون له إذ ذاك حق المطالبة بما دفع في صداقها ، فإن رد " إليه ويكون له إذ ذاك حق المطالبة بما دفع في صداقها ، فإن رد " إليه ويلا جعل ذمة له عليها ، ويكون على حد تعبيرهم «في رأسها كذا» يسدونها من صداقها في زواجها الجديد إن كان ،

ومما هو متعارف في عسير نوع من الزواج يسمونه «زواج السر» ومعناه أن يقع في أشد خفاء ، أي دون إعلان وتشهير بالعقد ، وهو أكثر ما يقع مع الثيبات وممن يخشى نفور زوجة أخرى لديه أو ممن ليس له إقامة طويلة في القرية وغالباً ما يكون قصير الأجل (١) .

وعندما يريد الرجل أن يأخذ زوجه من دار أهلها يسير مع عصبة من أهله وذويه • ويقيم عادة حفلة ولجماعته وأقاربه ، وبعد هذه الحفلة يقبوم الشاب ببعض الألعباب وتسمى «سمرة » وتستمر حتى الفجر ثم يتفرقون • وفي اليوم التالي تأتي النساء من القرى المجاورة ، وهذا اليوم هو أحسن الأيام عندهن ، حيث تلبس النساء فيه أحسن الملابس وأجملها ، وقد تتاح للفتيات منهن فرص للزواج قد لا تتاح في غير هذا اليوم •

ومع ما يشاع – كما ذكرنا – من كثرة وجود الفتيات الراغبات في الزواج ، فإن كثيراً من الرجال ما يقعد بهم الحظ ولا يجدون الذي يفتشون عنه حتى إن بعضهم قد أنشد وقد ضاق ذرعاً بقعود حظه:

إن أبها وعرسها كالمعيدي في المشلَ زعم البعض انها خير نزل لمن نزل

⁽۱) في ربوع عسير محمد عمر رفيع ص ٣٤ طبعة عام ١٧٧٣هـ - ١٩٥٤ م - دار العهد الجديد للطباعة بالقاهرة .

خدع الناس قولــه زخرف القول من نقل

٣ - الدعوات والمناسبات: قد يدعو المرء أقاربه دعوة خاصة ، وقد تكون بمناسبة زواج ، أو ختان ، أو أية مناسبة أخرى فيأتي المدعوون في اليوم المحدد مع عدد من جماعتهم، وكل يحمل بندقيته و يوم كانت تحمل البنادق ومسموح بذلك وعند اقترابهم من قرية المضيف يكون الداعون في انتظارهم وفي أيديهم أيضاً بنادقهم فيتبادلون الطلقات النارية تعبيراً عن الحب بينهم ، وعندما تبقى بين الجماعتين مسافة قصيرة يتوقف إطلاق النار ، ويبدأ الترحيب بالكلام ٠٠٠٠٠ ويرد المدعوون على الترحيب بما يسمى « المردودة » وهي عبارة عن كلام يوضحون فيه سبب قدومهم ويبينون المبلغ الذي يحملونه ووقع منازل أهل القرية يوماً في بيت صاحب الدعوة ثم يتفرقون على منازل أهل القرية

وحتى يقوم صاحب الدعوة بواجبه ، عليه أن يقد م أنواع الطعام جميعها ، وقد يتحمل الكثير من الديون بهذا السبب ، بل هو الشائع لفقر المنطقة النسبي •

والكرم الزائد عن الحد هو السائد بينهم وكأن كل شخص يحاول اثبات وجوده بين جماعته وأفراد قبيلته به •

١٤ الراة: لا تحتجب المرأة في عسير أي لا تغطي وجهها ،
 وإنما لباس الحشمة هو الشائع بين النساء جميعاً ، وهن يعملن مع

الرجال في الحقول وهذا شأن أكثر المناطق الزراعية خاصة وقت الحصاد وجني المحصول ٠٠٠ وتعمل المرأة مع الرجل في شؤونه كلها إضافة إلى عملها الخاص الموكلة به وهو تدبير المنزل ، وفي جلب الماء وإحضار الحطب ، وقلما تعمل المرأة في الخياطة إذ أن هذه المهنة من اختصاص الرجل .

ومن الأسماء الشائعة في المنطقة زهرة ، وظبية ، ونجمة ، وملك ، وليلمي ٠٠٠٠

وتلبس النساء سراويل وقمصان ، وغالباً ما تكون القمصان سوداء محلاة على الصدر بأشكال من التطريز اليدوي بالحرير المختلف الألوان ، وتضع المرأة على رأسها خارج منزلها سواء في الحقل أم في السوق قبعة من سعف النخل أو من القش تقيها من أشعة الشمس ، وتسمى « الطفشة » ، وتكون على شكل دائروي مجوفة في وسطها لدخول الرأس ، وتشد خصرها بحزام من الجلد ، وقد يكون من الفضة وتجعل المرأة المتزوجة فوق رأسها خماراً أسود ، بينما تكتفي الفتاة البكر بمنديل أصفر اللون أو أحمر منقطاً بالسواد وتربطه أسفل الرقبة ، وتتطيب النساء بأنواع من الأطياب كالريحان ويكثرن منه على الرأس ويعرف باسم «معكس» .

والمرأة عند البدو أكثر مشاركة للرجال في أعمالهم حتى في التجارة والسفر على ظهـور الإبل ، وتلبس البدوية إزاراً من قمـاش مصبوغ بصبـاغ أرزق ورداء من النوع نفسه ، كمـا تضع على رأسها القبعة « الطفشة » وإن كانت أصغر مقياساً مـع طول في التجويف الخاص بالرأس ، وقد تسير مسافة طويلة دون نعل .

ويعمل سكان القرى في الزراعة ، وفي تربية الحيوان ، وكثيراً ما يكون مركز الرجل حسبما يملكه من أرض أو من عدد قطيع الحيوان ، ويعمل البدو في الرعي فقط ، ولذا فهم يملكون ثروة حيوانية أكبر خاصة من الأغنام .

وقد اتجه عدد غير قليل من السكان اليوم إلى العمل في وظائف الدولة ، وانصرف أبناؤهم نحو المدارس وتحصيل العلم الرجل : كان الرجل حاسر الرأس أما الآن فقد أصبح يضع على رأسه « الغترة » وذلك منذ أن أصبحت المنطقة جزءاً من المملكة العربية السعودية ، ويلبسون في الشتاء العباءة ويسمونها « الشملة » وتتخذ من أصواف الأغنام ، وتحاك إلى ما تحت الركبة بقليل حتى لا تعيق الحركة ، ويضعون على أوساطهم « الجنابي » وبعضها ما يحلى بالفضة ، وتوضع داخل غمد من الجلد يسمى « معيّرة » وبعضها ما هو معقوف الرأس ومنها ما هو مستقيمه ، أما الثياب الأخرى فهي عادية ، الشوب المعروف في المنطقة كلها وإن كان يبدو هنا قصيراً قليلاً ، ولونه أبيض ، بينما ثوب المرأة أحمر أو أسود .

الألعاب: يصطفون متراصين على شكل صفوف، يتوسط الصف الأول حملة الطبول والدفوف ويواجههم ملحن الغناء فينشد ما يريد ، وتقرع الطبول والدفوف على ترجيعه ، ويردد اللاعبون في الصفوف ماقاله مع القفز وضرب أرجلهم على الأرض واقفين مرة وسائرين أخرى في شكل دائروي ، وقد يواجههم أحياناً رجل آخر حاملاً « جنبيته » وقد استلها من غمدها، ويقفز بخفة ويصيح بكلمات عالية لا يفهمها الغريب عادة لأنها باللهجة المحلية ،

التعاون: وأجمل ما في عسير التعاون الذي يسود بين أهلها ويبدو هذا في مساعدة الشخص الذي تحل به نازلة أو تصيبه نكبة إذ يسرع أفراد القبيلة والقرية إلى التعويض عنه وبناء بيته إن تهدم وإعطائه ما فقد ، وتبدو في استقبال أهل القريبة للضيف القبادم إلى أحد أبنائها مهما كان وضعه الاجتماعي ويتقدمهم كبير القبيلة ومعه الوجهاء يرافقون المضيف يرحبون بالضيف ويسيرون معه إلى البيت الذي سيحل فيه ، كما تساعد القرية المضيف في إنزال ضيوفه وإكرامهم ودعوتهم ، خاصة إن كان عددهم تضيق به دار المضيف وحالته ، وهناك لجنة قبلية منتخبة في كل قرية وغالباً ما يكون عددها ثلاثة أفراد تقوم بجمع عشمر محصول الأرض من المزارعين ، وهذا الناتج يكون للغزو وقرى الضيف ومساعدة المحتاج وإطعام أبناء السبيل ويصرف كذلك للمسجد وتجهيز الموتى الفقراء وحفر الآبار ،

كسا يبدو التعاون في مساعدة بعضهم بعضاً في البناء والحصاد وجني الموسم ومساعدة من يقعده الفقر عن الزواج، ويسعون لعدم رفع المهور ويعاقبون من يغالي في الصداق.

وكانت هناك بعض العادات السيئة وقد زالت ولله الحمد ومنها ما يتكبده الذي يموت له بعض أفراد أسرته فينزل عنده العديد من الرجال للعزاء ويسمون ذلك « الفراش » فيذبح لهم كل ما يملك أو أكثره خلال الأيام الثلاثة التي يبقون في داره ومنها ما يأخذه بعض أكابرهم باسم المسؤولية وقد انتهت أيام هذا كله ه

الصفات: ويمتاز أهل عسير بالشجاعة وثبات الجأش عند اللقاء ، ويحبون اقتناء السلاح كسا يرغبون في الانخراط في صفوف الجيش إذ يعرفون بالطاعة التي يتركونها إن أصابهم ضيم أو لحق بهم أذى •

اللهجة: لأهل عسير لهجة خاصة وهي تغيير بعض الأحرف وقلبها في اللفظ ومنها:

قلب الجيم ياء فيقولون : ياء ، مسيد ، ريـــال بدلا ً من جاء ، مسجد ، رجال .

وقلب النون راء فيقولون : حلي بر يعقوب بدلاً -ن حلي بن يعقوب •

وقلب ال التعريف أم فيقولون: اممعي ،

امناصر ، امقضية بدلاً من ألمعي ، والناصر ، والقضية ، ليس من البر الصيام في المسفر « ليس من البر الصيام في السفر (١) »

قلب الكاف شيئاً وبخاصة لمخاطبة الأنثى فيقولون : ماحالش وحال أبوش ؟ ويقصدون كيف حالك وحال أبوك ؟ • ويستعملون كلمة « ثـم » بدلاً من « هنالـك » بشكل طبيعي •

كما يستعملون الجمل الاعتراضية ومعظمها دعائية للمخاطب .

⁽۱) حديث شريف رواه كعب بن عاصم الأشعري ، قسال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « ليس مسن امبر المصيام في امسفر » مسند الإمام أحمد ٥/٣٤).

الماكزبشرية عندقبائل عسير

ابهسما: لعل من أشهر مراكر المنطقة كاملة «أبها» وهي حاضرتها، ومركز قبائل عسير وقاعدة بني مغيد، تقع في الجانب الشرقي من جبال عسير، في وهدة بين جبال جرداء، وتتوسط الوهدة ربوة تسمى « رأس أملح » حيث أقام الأمير محمد بن عائض قصره المسمى « شذا » حيث يشرف من طرف الشمالي الغربي على منطقة فسيحة تعرف باسم « البحار » وكذا من الشرق على منطقة منبسطة يقوم فيها السوق الاسبوعي، وبهذا يمكن الدفاع عنه ه

ويوجد فيها واديان أحدهما اسمه « وادي أبها » أو « التعثير ُبان » والثاني اسمه «ضباعه» ويجريان إن كان التهطال غزيراً ، وقد يتدفق الماء فيهما عدة أيام ، ومعظم آبار البلدة في هذين الواديين وأعذبها بئر « نعمان » وبئر « التجلية » ، ويعرف وادي أبها قبل وصوله المدينة باسم « خبيبي » ،

ومدينة أبها بلدة غير قديمة فهي غير معروفة في التاريخ (١) وإنما الذي عرف إنما هو وادي أبها فعندما انشئت عرفت باسمه ،

⁽۱) كماورد أنها كانت معروفة في التاريخ منذ القديم وباسم « ابقا » أو « ايفا » أو « هيفا » وأن الابل التي كانت تحمل هدايا بلقيس لسيدنا سليمان كانت منها .

وضمت عدة أحياء حملت اسم الوادي ، وبدأت تنمو عندما اتخذها على بن مجثل قاعدة له .

وتحيط الجبال بها من كل جهة ، وقد أقيمت على قممهاقلاع تحمي المدينة إضافة إلى حمايتها من جهة الغرب بسبب صعوبة الانتقال من تهامة الى السراة والذي لا يتم إلا عن طريق عدد من العقبات لا يرتقيها الانسان إلا بكثير من الصعوبة •

ومن أهم هذه القلاع المحيطة بها:

١ - قلعة ضلع: وهي تتحكم بوادي ضلع حيث العقبة
 المعروفة بهذا الاسم •

٢ - قلعة ذرة: وتقع على جبل ذرة الذي يقع شمال شرقي قلعة ضلع ، والقلعة القائمة على هذا الجبل حفرت تحتها بيوت داخل الصخر .

٣ ـ قلعة شميسان: وتقع شمال مدينة أبها وتتحكم في الطريق الشمالية القادمة من عقبتي «شعار» و «الصماء» • وقد وصلت هذه القلاع مع بعضها بعضاً بطرق جبلية ممهدة وبخاصة أيام المتصرف التركي محي الدين باشا •

تقع أبها على ارتفاع ٢١٧٠ متر عن سطح البحر مما يجعل الضغط الجوي منخفضاً الأمر الذي يجعل القادم اليها يشعر بالتعب وبخاصة من يأتي من منطقة قليلة الارتفاع ويستمر هذا عدة أشهر حتى يتعود على مناخها العذب وهوائها العليل •

وتتألف مدينة أبها من عدد من القرى أقيمت على طول مجرى وادي أبها وتمتد باتجاه سيره من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي ، وهذه القرى هي :

اً ــ المناظر : وهي أصل المدينة واليوم حي من أحيائها ، وكانت في الأصل قصراً للأمير عائض بن علي بن وهاس ثم أقيم على انقاضه قصراً للأمير سعيد بن عائض سمي بقصر مازن .

٢ - المفتاحة : وهي أول الأحياء من جهة الغرب وتقع إلى الشرق من الوادي ، واختط علي بن مجثل قلعته فيها .

٣ ــ القرى : وتلي المفتاحة •

٤ - النعمان:

٥ ـ الربوع: وكانت تقام فيها سوق يوم الأربعاء فسميت بها على عادة أهل تلك المنطقة •

7 سندا: وفيها القصر الذي بناه الأمير محمد بن عائض عندما نقل مركز حكمه من بلدة « ريدة » إلى أبها ، وفيها الآن قصر الحكم ومركز البرقيات واللاسلكي ، وقد أقيم قصر الحكومة على أنقاض الثكنة العسكرية العثمانية .

أما إلى الشرق من حي المناظر فتوجــد القرى أو الأحياء الآتيــة :

١ ً ـ البديع:

٢ - الخشع:

٣ _ النصب:

\$ المقابل: كان قصراً للأمير سالم بن عبد الله بن ابراهيم عايض ومنه سمي الحي ، وعلى أنقاضه أقام الأمير محمد بن عائض قصراً لم تزل أطلاله ماثلة ، مقابل قصر باشوات متصرفية عسير وهو الحي الوحيد القائم على الجانب الغربي من الوادي، وقد كان يسكن فيه متصرف عسير سليمان شفيق الكمالي ، ثم محي الدين باشا من بعده ، وكان جسر يربط بين هذا الحي وبقية الأحياء وعند ملتقى وادي أبها بوادي «جوحان» المنحدر من الجبال والعقبات الواقعة جنوبي أبها وعلى مقربة من قريتي الجبال والعقبات الواقعة جنوبي أبها وعلى مقربة من قريتي عميقة أمكن للأسماك أن تتوالد فيه و

وعند هذه الغدران كان يوجد قبر ينسب لذي القرنين وقد هدم يوم دخلت الحملات الإخوانية من جيوش نجد المنطقة ويقول الهمداني « إنه عثر على هذا القبر في رأس الثلاثمائة من الهجرة » وذو القرنين هذا هو يماني وليس الاسكندر المقدوني وقد اختلف في نسب هذا الرجل اليماني فمنهم من قال : هـو الهميسع بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان و

ومنهم من قال : هو الصعب ذو القرنين السيار بن مالك ابن الحارث الأعلى بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان .

ومنهم من قال : هو الصعب بن عبد الله بن مالك بن سدد

أبن حمير الأصغر وقد نسب هذا القول الأخير إلى علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس •

ويزيد عدد سكانأبها اليوم على خمسة وعشرين ألف نسمة . وبيوتها من الطين والحجارة وقد يتفرد بعضها بنوع واحد من مادتي البناء هاتين ، وقد بدأ العمران الحديث يكثر فيها يومنا بعند يوم .

ومدينة أبها عقدة مواصلات هامة فهي تتصل مع:

أ ـ تهامة : عن طريق يتجه من أبها نحو الجنوب الغربي إلى عقبة ضلع ومنها إلى وادي « عتود » إلى « القصبة » و « درب بني شعبة » و « صبيا » و « جيزان » وإن لم يكتمل هذا الطريق بعد تعبيداً إلا أنه من مشروعات المنطقة .

ب - القنفدة: عن طريق عقبة شعار .

ج ـ ر مجال: عن طريق عقبة الصماء .

د ــ الحجاز : عن طريق بلاد بالأحمر وبالأسمر وبني عمر ر وغامد وزهران فالطائف .

ه ـ شهران : حيث تبعد عن بلدة خميس مشيط دس كم فقط . و _ اليمن : عن طريق تمنية إلى بلاد قحطان ووادعة ثـم إلى صعدة ، وهي طريق وعرة •

ريعة : بلدة عمرها الأمير عائض بن علي بن وهاس عام

٨٦٠ هـ ، واتخذها مقرأ له وملجأ ، وهي الآن تحت يد ورثته ،
 وقد دمرها الأتراك ١٢٩٠ هـ ، وسموها « حيدة » • وتقـع إلى
 الغرب من مدينة أبها •

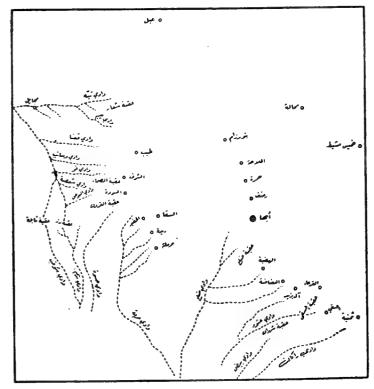
حرملة: بلدة عمرها الأمير يحيى بن عبد الرحمن بن علي عام ١١٢٢ هـ ، وهي الآن تحت يد ورثته من آل عايض ، وقد دمرها الجيش السعودي أثناء احتلاله عسير عام ١٣٤٠ هـ ٠

طبب : وهو واد حملت المدينة التي بنيت عليه اسمه ، وتقع في بلاد ربيعة رفيدة وقد اتخذها محمد بن عامر المعروف بأبي نقطة قاعدة له .

المسقى: وقد أصبحت مركز المنطقة عندما اتخذها الأمير سعيد بن مسلط قاعدة له عندما ثار على حكم محمد بن عبد المعين بن عون عام ١٢٣٧ هـ •

السودة : قرية تقع إلى الغرب من أبها تتبع قبيلة علكم ، وقد بنيت على ارتفاع ٢٥٠٠ م على قمة جبل فهي من أعلى قرى

عسير ، وهذا ما يجعل مناخها عذباً ، وتحيط بها المروج من كل جهة ، وقد أصبح اسم هذه القرية يتردد على الألسن في المملكة كلها لما فيها من جمال الطبيعة .



مصور المراكز البشرية في قبائل عسير

الفصل الثالث

رجكال ألمكع

وهم أكبر القبائل في تهامة ، وأكثرها عدداً إذ يبلغون مائة ألف أو يزيدون ، وهم في تهامة كعسير في السراة ، وتقع بلادهم في الجهة الغربية من منطقة عسير يحدها من الشمال منطقة محايل ومن الجنوب بلاد بني شعبة وهي بلاد جبلية غالباً ، ويقسمون إلى قسمين:

ألمع الشام: أو ألمع الشمال ويقدرون بثلث العدد الكلي كما لا تزيد مساحة منازلهم عن هذه النسبة ومركزهم بلد « الشعبين » وفيها الدوائر الحكومية •

وألمع اليمن أو ألمع الجنوب وهم الثلثان وكذا تشمل مساحة بلادهم ، وأهم قراهم بلدة « رُجال » وقد كانت هذه في أيام خلت مركز المنطقة ، وهي أكبر من قرينتها « الشعبين » بخمسة أضعاف على الأقل ، وإن كان لانتقال مركز المنطقة إلى « الشعبين » أثر واضح في اتساعها ونموها •

ولطبيعة الأرض في هذا التقسيم شكل بارز يتمثل في عقبة «رز» التي تقع بين المدينتين فمن ينظر من ذروتها باتجاه الشمال

يجد أرض ألمع الشام تنحدر نحو الشمال مع سير وادي «حلي » وفروعه ، ومن يتجه نحو الجنوب تظهر له أرض ألمع اليمن تميل نحو الجنوب مع سير وادي « ريم » و « عرمرم » •

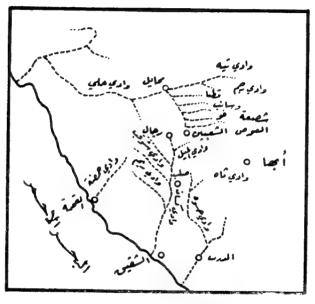
ومن الأودية المشهورة: «حلي» و « سانب » و «الشصعة» و « العوص » وهي من روافد « حلي » إضافة إلى « تيّه » و « رجم » و « قضا » و « فو » ثم هناك روافد وادي « ريـم» وهي « رجال » و « الميل » و « شوقب » و « ثاه » و « حسوه » ثم وادي عرمرم •

ولما كانت القرى قليلة السكان لا تتسوفر فيها الحاجيات الأساسية لذا فالأسواق تقام في المنطقة حيث تتجمع جموع كبيرة من الناس ، وتعرض فيها البضائع فيشتري السكان ما يحتاجون إليه ، واليوم المقرر للسكان معروف في القبائل كلها ، فالأحد في « الشعبين » ، والاثنين والخميس في « رُجال » ، والسبت عند « آل صلب » ، والثلاثاء في « ريم » (ثلوث ريم) ، والأربعاء في « البنا » (ربوع البنا) •

وتبنى القرى في قمم الجبال لتأخذ نصيبها من البرودة واعتدال الجو في ذلك المناخ الحار الرطب ، ولتكون في موقع حصين في تلك البقعة التي عرفت بالقتال بين القبائل ، وقد تحف بها الجبال التي تكون فيها مراكز للمراقبة •

ومن الأشجار المنتشرة في المنطقة « الأثب » وهو يشبهشجر

الكينا في شكله ، والنبق ، والثعب ، والشقب ، والتمر الهندي ويسمونه « حُمر » وحمرار ويشبه التمر الهندي ، والجميز ويسمى البراء ، ويزرع السكان الذرة والدخن بكثرة وكثيراً من المحصولات الزراعية الأخرى •



الأودية في بلاد رجال ألمع

وتتكون رجال ألمع من عدة بطون هي:

١ ــ بنو قيس بن مسعود : وتقع منازلهم في سفوح جبل
 قيس ووادي حسوة ، ويبلغ عددهم خمسة عشر ألفاً ، ولهم حمل

اللواء في الحرب ، وهم من العدنانيين ، ومن أشهر عائلاتهم آل عبد المتعال .

٢ ــ بنو جونة: ومن أوديتهم «كسان» و « ريم » ويبلغ عددهم اثني عشــر ألفاً أو يزيــدون ، ويقال لهــم ولبني قيس « بنو مسعود» •

٣ ـ بنو ظالم: وتقع منازلهم على وادي «حلي » ويزيد عددهم على خمسة عشر ألف ، وينحدر معظمهم من الأزد القحطانيين ، ومنهم آل الحفظي ، وحاضرتهم مدينة « رُجال » •

٤ ــ بنو قطبة: ومواطنهم في أعالـــي وادي ((حلـــي » » وتعتبر قرية « الشعبين » من مراكزهم ، ويقـــدر عددهم بعشرة آلاف ، وهم من الأزد ، ويقال لهم ولبني ظالم أمرفقة أي الرفقة .

ه ـ بنوزید: ومنازلهم فی وادی «حسوه » وفی سفوح الجبل الذی یفصل بین وادیی «حسوة » و « مربة » ، ویقدر عددهم بعشرة آلاف ، وهم من العدنانیین من تغلب .

٦ - آل صلب: ومراكزهم في وادي «كسان » ويقدر عددهم بعشرة آلاف ، ويطلق عليهم اسم قبيلة بني بكر ، وأحياناً يشمل هذا الاسم بني زيد أيضاً .

٧ ــ بنو شحب : ومنازلهم على عدوتي وادي « ريم » ،
 ويصل عددهم إلى خمسة عشر ألفاً ، ويرجعون بأصولهم إلـــى
 الأزد •

 Λ سديدة : ومن أودية هذه القبيلة « ريم » و « عرمرم » ويبلغ عددهم عشرة آلاف نسمة وهم من الأزد •

٩ ــ بنو العيص : كما يطلق عليهم آل العوص ، ويقيمون
 في وادي « العوص » ووادي « شصعة » وهما من روافد وادي « حلي » •

١٠ ــ البنا : وتقع منازلهم على ضفاف وادي «حلي » ولا يزيد عددهم على عشرة آلاف .



توزع قبائل رجال المع

العادات الاجتماعية عندرجال ألمع

تشتهر قبائل رجال ألمع بالكرم الذي يصل إلى حد الاسراف لكثرة الذبائح التي تقدم للضيف ، ومن أشهر الأطعمة المعروفة لديهم « العريكة » ، وتشتهر بها المنطقة كاملة ، وهي بر وسمن وعسل ، ويتفنن الأهالي بصناعة أشكال عدة منها ، ثمم هناك « الثريف » وهو دخن ولبن وسمن ، وهناك « الحنيذ » •

وحالة السكان المادية دون الوسط بشكل عام .

ومن العادات الاجتماعية المعروفة والتي لهـــا طابــع مميز موضوع الزواج والختان •

فالزواج يتم بعد أن تحصل الموافقة على الفتاة ، تذهب جماعة من أهل الرجل قد تتجاوز الثلاثين أحياناً إلى أهل الفتاة ، ويسمى هذا الجمع اسم « مُعرَّسة » ، ويكون أهل الفتاة قد استعدوا لذلك ، وذبحوا الذبائح ، وخرجوا إلى ظاهر الدار يستقبلون أهل الرجل ، وقد يصطفون صفاً واحداً أو اثنين على جانبي الطريق ، وما أن يهل "أهل الرجل حتى يرتفع صوت من المستقبلين « ارحبوا يا إخواننا وارحبوا » ويردد بقية المستقبلين بعده العبارة بصوت مرتفع ، ويجيب الضيوف « سلمتم والسلام عليكم » ثم يتصافحون ، ويسير الجمع إلى بيت ولي أمر الفتاة ، ويبيتون عنده ، ويتناولون في داره طعام العشاء ، ثم طعام الفطور ويبيتون عنده ، ويتناولون في داره طعام العشاء ، ثم طعام الفطور

في الصباح ، ثم يتوزعون في بيوت القرية ضيوفاً لمدة يوم كامل، ثم يعودون إلى قراهم أو إلى بيوتاتهم إن كانوا من القرية نفسها، وبعد مدة يأتي أهل الفتاة إلى أهل الرجل ضيوفاً ويعاملون بالمعاملة نفسها ، وعندما يتم الزفاف يذهب مع الفتاة عدد مسن النساء وأهل القرية ، وتعرف النساء المرافقات باسم «حوادي»، ويسمى الرجال المرافقون لها «مثر وسحة »، ويساعد الرجل بأن يدفع له أصدقاؤه وأقرباؤه وغيرهم معونة مادية ومساعدة مالية تعينه على إتمام حفلة الزفاف والولائم لأهل عروسه ،

أما الختان فيجتمع له الناس قبل يوم من العملية ، وعادة ما يكون اجتماعهم بعد العصر ، وتقام العرضات ، وتحدث ألعاب شعبية في الليل وتسمى « السسمرة » ، وفي الصباح يعود الناس للاجتماع ، ويكون أمام الشاب الذي ستجرى له عملية الختان ، فيختن أمامهم ، والويل لأهله من العار إن هو تألم أو أبدى أية حركة ، ولهذا فإن الأهل يأبون أن يختن ولدهم قبل بلوغ سن الخامسة عشرة من عمره وقد يزيد ، وبعد الختان يرجع الناس إلى بيت الوالد مغنين فتكون الذبائح قد أعدت والطعام قد هيىء ، ويقدم أخوال المختون بعض المال ويسمى « قكد ، ويعمل لهم استقبال ، ويخطب أحدهم بعد الاستقبال ، ويسمون ويعمل لهم استقبال ، ويخطب أحدهم بعد الاستقبال ، ويسمون يومها السابع وإن كانت تتم العملية بحفل نسائي مشهود ،

ويعرف التعاون في رجال ألمع كما يعرف في المنطقة كلها ، فيساعدون بعضهم بعضاً في بناء البيت وسقفه والحائط على البستان الزراعي ، وقد يجتمع أهل القرية جميعاً لهذا العمل ، ويتم بيوم واحد ، وهذا بلا أجر ولا منة ، بل إنهم يأتون بطعامهم معهم حتى لا يكلفون صاحب البيت شيئًا .

وكذا عند المصائب، فإذا ما فقد أحدهم عزيزاً ، اجتمع عنده أياماً ثلاثة يأتونه في الصباح وكل يحمل معه أرغفة من الخبز وطعاماً ليتمكن من إضافة الغرباء الذين يأتونه من خارج القرية ، وبعد هذه الضيافة عند صاحب العزاء ينتقل الضيوف الغرباء إلى أهل القرية ليقوموا أيضاً بواجبهم بدورهم فكأن التعزية عامة لأهل القرية ٠

وأهل قرية « رمحال » يسمون الجلوس للعزاء « فراشاً » فبعد أن ينتهوا من الدفن يذهب المشيعون إلى بيت المتوفى ويتلاحق بهم من لم تسعفه ظروفه بالمشاركة في التشييع وهناك توزع عليهم أقراص خبز الذرة والدخن يأتي بها أولياء المتوفى وجيرته مشفوعة بالقهوة ٠

ويستمر العزاء على هذه الحالة ثلاثة أيام في نهايتها يقرؤون ويهالمون ، ويختتم الحفل بدعاء للميت وتوزع على من حضر أعواد الريحان الطرية(١) •

⁽١) في ربوع عسير محمد عمر رفيع ص ٩٠٠

ومن العادات التي لها حرمة عندهم وعند قبائل عسير أيضاً رعاية السمي والالتزام نحوه بحقوق لا تجب للغير ، وذلك إذا وللد لأحدهم ولد وطمع أبوه في محالفته لشخص ذي مقام في القبيلة أو في غيرها من أحلافها سماه باسمه وكنيته ولقبه وبعث إليه يخبره بذلك وعندئذ يكون المسمى باسمه ملزماً بإكسائه وزيارته وإذا كبر عند حليفاً ، له ما للحليف من حقوق وواجبات(١) .

اللباس: الملابس بسيطة وعادة ما تكون مئزراً إلى منتصف الساق ، وصدرية ذات أكمام ، والرؤوس حاسرة وإن بدأت تتغطى ، والشعر طويل ومرسل دون قص أو ضفر ، ومفروق من الوسط ، ومحاط بإكليل من النباتات ذات الرائحة ، أو بسير من الجلد محلى أحياناً بالفضة ، ويضعون الريحان في الوسط ويسمونها «غرارة» ، ولا بد من الجنبية (المُعبَرَة) في الوسط ،

أما النساء فقريب لباسهن من لباس الرجال ، فقميص أو فستان يلبس وإزاء يأتزرن به وغالباً ما يكون من النوع الغالي ولهن تباه كبير في ذلك • ويستعملن من الحلي « الخلخال » ويسمونه « حجل » و « الدملج » ويلبسونه في العضد ، ويخرقن أنوفهن لتحلى بخزام من الفضة ويسمونه (بالزمام) ويدثرن

⁽١) المصدر السنابق ص ٩٥.

رؤوسهن بالخمر ويسمونها « مقالم » ، وغالباً ما تلبس نساء القرى القبعات « الطفشات » ، ويستعمل بعضها وهي النسوع الطويل كحقيبة تضع فيه المرأة المكحلة والمشط والمرآة وما إلى ذلك .

المراة: ليس على المرأة سوى شؤون البيت إلا ما ندر أما الاحتطاب وجلب الماء فهو على غيرها وكثيراً ما يكون من حظ الفقيرات أو الموالي وهم كثير في قرية « رجال » أما في بقية القرى فتقوم المرأة ببعض هذه الواجبات خاصة وأنهن مافرات بينما في قرية « رمجال » وأهل الثراء فيضعن الخمر •

والكرم معروف وصوت الهاون يدوي في الحفلات وبيوت الكبار باستمرار وأكواب القهوة تدار على الضيوف دئماً •

ويستعملون كلمة أهريت بمعنى أرسلت .

مید بمعنی أرید .

سُعُيُلٌ بمعنى صغير ٠

سُعُيُّلة بمعنى صغيرة •

ويستعملون ليس للنفي وقد لا يستعملون ما فيقولون لست مبدأي ما أريد •

العيُ مرَان والمراكِز البشريَّة

تبنى البيوتات عادة بالأحجار حيث هي المادة الأولية التي تقدمها الأرض بسخاء ، أما السقوف فتبنى بالأخشاب والتراب وذلك لوفرة الأشجار وصلاحية أخشابها للبناء • وغالبا ما تكون النوافذ صغيرة رغم عدم وجود البرد ولكن ذلك أصبح فنا نبع عن كثرة الحروب في المنطقة ولكن الأبنية الحديثة بدأت تظهر في القرى الكبيرة ، وإن كانت قليلة والتطور بطيئاً ، وإن مما يعيق التطور السريع ويحول دونه عقبة « 'رز » وعقبة « الصماء » حيث لا تجتازهما إلا الدواب وبشكل بطيء مع الحذر الشديد وبخاصة إذا ما انهمرت الأمطار وجرت السيول •

والأبنية تتألف عادة من طابق أو اثنين سوى قرية « رجال ». فتتعدد الطوابق وتصل إلى خمسة أو ستة • ولما كانت المرأة همها الأول البيت وواجبها تدبير شؤونه فإظهاره بمظهر الجمال إنما يدل على ذوق المرأة ومهارة صاحبة البيت • لذا نرى البيوت ملونة من الداخل بمختلف الألوان ، ومزينة بالنقوش ، ومرتبة عليها الرفوف التي تحمل أدوات المطبخ بشكل أنيق ، حتى السقوف مزخرفة وملونة ، وأرض البيت عليها دوائر ومخططة بالطين ، ومن أشهر مراكز تجمع السكان هي :

۱ ــ « رُجال » ، وهي حاضرة القرى وقبائل ألمع المختلفة.

وتقع في صدر وادي «كسان »، وتبنى بيسوتها علسى ضفتيه وترتفع فوق بعضها بعضاً على السفوح ، وتصل في ارتفاعها إلى ستة أدوار ويمتلك كل دور إنسان ، ولطبيعة الارتفاع على السفح كثيراً ما يكون السطح مدخلاً لبيت آخر ، ونوافذها ضيقة ، ولا يختلف فن بنائها عما ذكرناه آنفا في قبائل ألمع كلها ،

وهي قرية حديثة لا يزيد عمرها على الألف عام ويقال: إن أول من بني فيها رجل من اليمن من مدينة « بيت الفقيه » ويسمى موسى بن خثعم وينتسب إليه آل الحفظي ، كما أن من أحفاده رجلاً يسمى الشيخ بكري ويعتبره آل الحفظي جدهم الأعلى لذا تسمى أحياناً بقرية الشيخ بكري • وهذه الأسرة أكثر الأسر شهرة ، وأبناؤها أهل علم ، ولهم موهبة بالشعر وللواحد منهم حق لقب « الفقيه » ولو كان جاهلاً •

يبلغ عدد سكان القرية اليوم ما يناهز ١٥٠٠ نسمة ، وهي مركز بني ظالم .

٢ ــ الشعبين: وتقوم عند ملتقى وادي « العوص » بوادي «حلي » وعلى السفوح الجبلية المشرفة عليها ويطلق هذا الاسم في الأصل على شعبين صغيرين من مآتي وادي حلي المشهور يسمى أولهما الأحد ويعرف الشاني باسم صوله • ولا يزيد سكانها على ١٥٠٠ نسمة ، ويقوم السبوق فيها يوم الأحد ، وهي مركز بني قطبة وفيها الدوائر الحكومية التي تشرف على قبائل ألمع وهذا ما جعلها تنمو وتتسع •

وتبنى بيوتها من الحجارة ، ولكن أدوارها قليلة قلما تتجاوز الثلاثة ، ويرجع تأسيسها إلى عام ١٣٨٨ هـ يوم دخــول محمد رديف باشا عسير .

ويفصل بين هاتين القريتين عقبة « رز » التي سبق أن تحدثنا عنها .

٣ ــ البتيلة: وهي حاضرة بني قيس بن مسعود ، وهي جنوب « رُجال » وعلى مقربة منها في مرتفع جنوبي وادي الميل •
 ٤ ــ كسان: وهي مركز قبيلة بني جونة •

٥ ــ قرية الجوز : مركز قبيلة البنا في المرتفع القائم بين واديي « شصعة » و « فو » من روافد وادي (حلي) •

٣ ــ ثاه : وهي مركز قبيلة بني زيد في مرتفع قــرب وادي
 « ثــاه » •

٧ ــ غنمة : حاضرة قبيلة العوص ، على مرتفع قرب وادي
 العوص •

۸ – الكرى: حاضرة آل صلب ، وتقابل « ثلوث ريم »
 على الجهة اليسرى لوادي « كسان » •

٩ - غمرة: حاضرة قبيلة الشديدة في مرتفع غربي قريـة
 « رجال » تقريبا •

١٠ ــ ثلوث ريم : حاضرة بنو شحب في المرتفع بين واديي
 « ريم » و « شوقب » •



المراكز البشرية في بلاد رجال المع

ومن القبائل الموجودة في تهامة أيضاً •

١ - قبائل بارق: وتقع منازلها حول بارق التي هي حاضرتهم ، وتنحدر هذه القبائل من أصل قحطاني من الأزد، عدا عدة بيوت منها تنتمي إلى الاشراف ويطلق عليهم السادة ، ويقدر أفراد هذه القبائل بخمسين ألفاً .

ومن أهم أوديتهم وادي بارق ومآتية من جبال إثــرب وريدان ، وينحدر إلى الغرب حتــى يصب في وادي حلــي بن يعقوب ، وترفده عدة أودية وادي شرى و « خبت آل حجري »•

وهم عدة بطون منها: آل سباعي – آل حجري – آل سالم – آل جبلي – آل موسى – آل عــرام – آل صعبان – آل رايان – حميضة – المهاملة .

٢ ــ قبائل محايل: وهم عدة قبائل تتبع بلدة محايل. وهذه البلدة حديثة العهد تعود إلى أيام حكم الوالي العثماني محمد رديف باشا عام ١٢٨٨ هـ الذي أقام عدة قلاع لا تزال ماثلة إلى الآن، وهي تقع على ضفاف وادي « تيه » الذي يرف وادي «حلي» ومن هذه القبائل:

آل موسى: وتقع منازلهم على وادي « تيه » ، وحاضرتهم مدينة محايل ، ويقيم قسم منهم على الساحل الجنوبي من حلي ابن يعقوب ، ويقدر عدد أفراد هذه القبيلة بخمسين ألفاً ، ويلقب شيخها عادة باسم « امخالد » أي الخالد وأغلب أفرادها من العدنانين .

آل مشول: وتقع منازلهم على وادي « مر"ة » ومآتية من قمم جبال بالأسمر وبالأحمر وينحدر نحو تهامة حتى يصب في وادي حلي بن يعقوب •

آل الدريب: ويتبعون محايل •

الريش: ويتبعون محايل أيضاً ، وتتبعهم القبيلتان السابقتان •

آل مسمر : ويقدر عددهم بعشرة آلاف ٠

بنو توعة: وتقع منازلهم جنوبي محايل وحاضرتها القاعد . قبائل المنحجة: ويقيم أفرادها على وادي عسلان ، وهـم من البدو . ويتبع قسم منهم الفحمة ، ويقدر عددهم بأربعين ألناً.

٣ ـ قبائل قنا والبحر : ومساكنهم على ضفاف وادي قنا،
 وهم خليط من العرب ، ويقدر عددهم بخمسين ألفاً .

٤ ــ بنو شعبة: ويقيمون في جنوبي تهامة عسير وحاضرتهم الدرب وتعرف بدرب بني شعبة • هذا بالاضافة إلى قبائل تانية تعيش بين هذه القبائل بعضها لا يزال يعيش بــدوياً ، وبعضها الآخر مستقراً •

أودية تهامة عسيي



قبائل تهامة عسير

الفصل الرابسع

رجكال الحجكر

الحجر هو ابن الهنو بن الأزد ويقصد برجال أربع قبائسل هي : بالأحمر ، وبالأسمر ، وبنو شهر ، وبنسو عمسرو وتقيم في السراة شمالي سراة عسير كما أن قبائل أخسرى تتبعها وتقطن تهامة ، ويقدر عدد القبيلة بـ ٤٠ ألفاً ٠

١ ـ بالأحمر: وتقع منازلها على ضفاف أودية عبل وصبح وبيحان والماوين ، وتتجه نحو الشرق لترفد وادي بيشة وبطونها كثيرة تزيد على ستة وثلاثين بطناً ، ومركزها بلدة الماوين ، ويقدر عدد أفرادها بثلاثين ألف نسمة، ومعظمهم يقيم في السراة .

٢ بالأسمر: وهم إلى الشمال من بالأحمر وأهم أوديتهم وادي « يعا » ويأتي من أعلى السراة وتأتيه الروافد وتسير مياهه نحو الشرق لترفد وادي بيشة ، وحاضرتهم آل خريم أو اثنين بلأسمر لأن السوق يقام فيها يوم الاثنين لذا عرفت بهذا الاسم وتبدأ بلادهم من وادي « عبالة » وتلثا هذه القبيلة يقيمون في تهامة ، ويقدر عدد القبيلة بأربعين ألفاً •

٣ ــ بنو شهر : وأشهر أوديتها وادي تنومة ويأتي مــن أعالي السراة باتجاه الشرق ليرفد وادي ترج المشهور والــذي يقال: إن الأسود كانت تكثر فيه ، هذا ما أورده الهمداني في كتابه « صفة الجزيرة العربية » وأهل المنطقة يقلبون الجيم ياء لـــذا يلفظونه « تري » وأخيراً تؤول مياه وادي ترج إلى وادي بيشة.

أما وادي تنومه فترفده عدة أودية منهـــا « سدوان » و « نحيان » و «منعا » وغيرها من الروافد .

وينقسم بنو شهر إلى قسمين رئيسيين همـــا « سلامان » و « بنو الاثلة » وكل من هذين القسمين يتألف من عدة بطون •

وحاضرة هذه القبيلة « النماص » واسمها القرية ، وسميت بالنماص لوجود شجر النمص فيها وهي بلدة يسكنها آل العسبلي أمراء بني شهر ، منذ أيام الحاكم العثماني محمد رديف باشا عام المبحت مركز بني شهر إذ بني فيها مركز للحكومة ، وفي الجنوب الغربي من بلدة النماص توجد أعلى مرتفعات البلاد حيث يرتفع جبلان يعرفان باسم « تللتحصص » ، ويوجد فوقهما أغلب الأحيان قطع من السحاب الأبيض ، كما ترتفع في غربها في تهامة ثلاثة جبال منفصلة عن السراة ، وتعتبر من جبال تهامة ولا يقل ارتفاعها كثيراً عن جبال السراة التي تقابلها ، وهذه الجبال تعرف باسم « ثكر ان » و « نهو » و « ريكمان » و والارتفاع يصل بالى ألفي متر تقريباً، وبهذا الارتفاع نجد النماص تشبه مدينة أبها الى ألفي متر تقريباً، وبهذا الارتفاع نجد النماص تشبه مدينة أبها الى

ومن أشهر قبائل بني شهر :

أ ــشهر ثرامين ، شهر الشام ، بنو عبس •

ب بنو القيم • ج ب العوامر •

د ــ بلحارث : ويطلق على هذه القبيلة اسم « الشعفين » • وبعض بطونهم يعيشون في تهامة في وادي « بقرة » •

هـ تربّان: ويقيم أفراد هذه القبيلة في الجهات الغربية من بلاد بني شهر • ويقدر عدد بني شهر بمائة ألف نسمة •

أما تنومة فقد أصبحت مركز الإمارة عامة وهي مدينة تاريخية وقريبة من بلدة النماص وإلى الجنوب منها بحيث يمكن أن ترى منها.

بنو عمر ويقدر عددهم بسبعين ألفاً • وتقع منازلهم شمالي سراة الحجر ، وتختلط منازلهم مع مساكن أبناء عمهم بني شهر ، وتنحدر أوديتهم نحو « وادي ترج » ثم تؤول في النهاية إلى وادي بيشة •

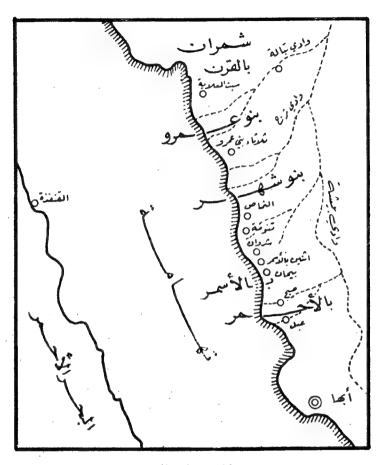
وهم جزءان كبيران بنو تميم وبنو كعب ٠

وأكثر بيوت هذه المناطق مبنية بالحجارة وترتفع إلى عدة طبقات تصل إلى أربعة أدوار باستثناء بيوت بالأحمر فإنها مبنية الجدران بالحجارة في قسمها الأسفل أما القسم الأعلى فمقام من اللبن و ونوافذها صغيرة ، وليس في الجدران من الداخل تلك الزخارف التي وجدناها في بلاد عسير ورجال ألمع وإنما مطلية بالطين فقط .

أما العادات فهي قريبة من عادات جبال الحجاز في غامد وزهران وإن كان منها ما يشبه عادات قبائل عسير أو نستطيع أن نقول: إن رجال الحجر لهم عادات تشبه عادات سكان جبال الحجاز وأخرى تشبه قبائل عسير أو هي مرحلة انتقالية بين المنطقتين و فالرجال يلبسون عادة الثياب البيضاء أما النساء فيلبسن السوداء أو الملونة، هذا بالنسبة إلى السراة، أما في تهامة فالوزرة هي الشائعة ، وتلبس النساء القبعات « الطفشة » وهي عادة سافرة الوجه واليدين بسبب مساعدة الرجل في أعماله أو لكثرة الأعباء الملقاة على عاتقها ، وإن كانت هذه الأعباء قد بدأت تقل ، فلم تعد المرأة تنزل الى السوق لتأخذ حاجات بيتها إلا نادرا وإن أصبحت هذه من وظائف الرجل و

وبالنسبة إلى اللهجة فاستبدال أل التعريف بأم غير معروفة، بينما الجيم غير موجودة عندهم وإنما يستبدلونها بحرف الياء كما رأينا •

ه ـ بالقرن : وتقع منازلهم في شمال بلاد بني عمرو ،
 وحاضرتهم العلاية وتعرف عادة باسم « سبت العلاية » حيث يقام
 السوق فيها يوم السبت .



بلاد رجال الحجر

الفصل الخامس

شِــهران

شهران قبيلة كبيرة ولهذا تسمى العسريضة ، وهي تسكن وادي بيشة وفروعه عدا بعض أعاليه حيث تقيم فيها قبيلة رفيدة من قحطان • كما توجد في مجراه الأسفل بعض فروع من قبائل خثعم وأكلب وبلحارث وبالقرن وشهران • وكذلك فإن هده القبيلة تملك منطقة وادي السيرق الذي يتألف من اجتماع أودية السليل وخير والشيق • ويسكن بعض شهران قدماً من منطقة الشعف تسمى شعف شهران وفيها عدة قرى منها القرعاء، ومسقى، وبني جابرة، وآل سرحان ، وآل القارية ، وآل ينفع وكذلك يقيم أفرادها في سيل القاع أحد روافد وادي تثليث •

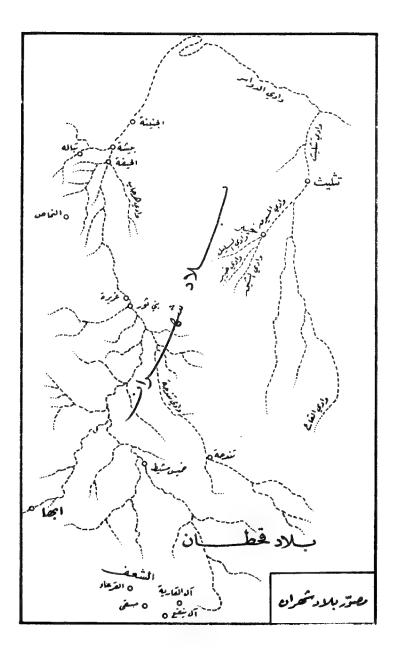
ولكثرة هذه القبيلة فإن بعضهم يعيش في إمارة بيشة كما أن بعضهم يقيم في إمارة نجران ، ولكن القسم الكبير منها إنما يتبع إمارة أبها .

والقبيلة من أصل قحطاني عدا شعف إراشة فإنهم ينحدرون من عنز أي من القبائل العدنانية •

وشهران عدة بطون أشهرها : آل رشید ،آل\الغمر ، بنو بجاد ، ناهس ، بنو منبه ،بنو واهث . ويصل تعداد أفرادها إلى ٢٥٠ ألف نسمة ، ومركزها خميس مشيط ، وتنسب إلى ابن مشيط شيخ القبيلة ، ويكون السوق فيها يوم الخميس ، وتقع على واد يعرف باسمها ، وهو فرع من وادي بيشة، وفيها مطار يقع إلى الشرق منها على مسافة قريبة، بينما لا يوجد مثله في مدينة أبها ولذا فهي ثغر عسير الجوي ، كما أن معسكر المنطقة يقع إلى الجنوب منها ، والمعسكر منذ القديم يقام فيها ، ولا تبعد عن مدينة أبها سوى ٣٥ كيلو متراً ، وكان الشائع قديماً في بلاد شهران سفور النساء واختلاطهن مع الرجال ، ورخص مهورهن ، وكثرة الأعمال التي يكلفن بها إضافة إلى أعمال المنزل مثل الاحتطاب ونقل الماء وسقي الماشية والبيع في الأسواق ، وقد زالت أكثر هذه الظواهر الآن ،

ومن المراكز الهامة التي تتبع أبها تثليث ، وهي ملتقى عدة أودية تجتمع كلها وتعرف باسم وادي تثليث حيث تؤول مياهه إلى وادي الدواسر في النهاية ، وتبعد هذه القرية عن مدينة أبها مسافة ٢٥٠ كم ، وعن بيشة مسافة ١٠٠ كم وعن الدواسر ٢٠٠ كم وهذا المركز في منطقة صحراوية تقل فيه المياه وإن كانت المياه الجوفية قريبة من سطح الأرض يمكن الحصول عليها بالحفر العادي ، والطريق الذي يصلها بأبها لا تقوم الآبار عليه ١٠٠ مما يضطر المسافر إلى أن يتزود بالماء قبل رحيله ،

وتثليث مركز قديم وقد جاء في « صفة جزيرة العرب » (تثليث كان لعمرو بن معد يكرب الزبيدي وفيه حصن ونخيل ، وفيه القرار والريان وجاش) •



الفصل السادس

قخط_ان

قبيلة قحطان في عسير مجموعة قبائل تعسود إلى خولان وهمدان تسكن ما بين ظهران الجنوب وقبيلة شهران ومن أهم أوديتها: ظهران - تثليث - الجوف - سنحان - بشسر - يعوض - الراحة •

وهي عدة قبائل منها :

ا _ وادعة : وترجع إلى همدان وتقيم على ضفاف وادي ظهران شمال بني صحار وغرب قبائل حبونة وبدر وهي مجموعة بطون منها : آل سيار _ آل زاهر _ آل رشيد _ المخاضي _ آل ثابت _ آل جبير _ آل مونس _ سحامي _ القضاه _ آل على بن محمد •

وشيخها ابن دليم ويقدر عدد أفرادها بستين ألفاً .

۲ ــسنحان : ویقدر عددها بخمسین ألفاً ، وشیخها ابن
 دلیم و هی عدة بطون منها : السلاطین ــ آل یعلی ــ آل زائد ــ
 آل مرتفع ــ الخمجات ــ هباله .

وتعود في أصولها إلى خولان •

٣ ـ بنو بشر وشريف : وتختلط منازل هاتــين القبيلتين ،

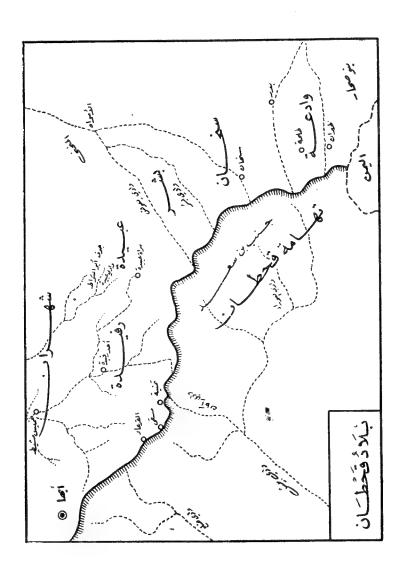
وشيخها ابن دليم . ويقدر عدد أفراد هاتين القبيلتين بستين ألفاً .

٤ حبيدة ورفيدة: أما عبيدة فهي من خولان أي قحطانية
 ويقدر عدد أبنائها بخمسين ألفاً وأميرها ابن شفلوط ، أما رفيدة
 فهي عدنانية وتعود إلى عنز بن وائل وتقدر بخمسين ألفاً .

٥ لجارمة : ويقال قبيلة جارمة وخطاب وعددهما ٥٠ ألفاً ، وهم من خولان ٠

وهناك قبائل أخرى صغيرة هي :ألحاف _ وقشه _ ذعي _ بنوقيس _ آل الشواط ويقدر عدد القبائل جميعها بخمسة وعشرين ألفاً •

ويقال لبدو تهامة قحطان جنب بن سعد .



عَادُ السِّكان

| 110000 | | | قبائل عسير: |
|---------|-----------|-------------------|-------------|
| | 70 | علكم | |
| | **** | بنو مغيــد | |
| | 70 | ربيعة ورفيدة | |
| | 70 | بنو مالك | |
| | 0 • • • | قبائل تابعة | |
| ٠٠٠ر١١٥ | | | رجال ألمع : |
| | 10 | بنو قيس | |
| | 17 | بنو جونة | |
| | 10 | بنو ظالم | |
| | 1 | بنو قطبة | |
| | 1 • • • • | بنو زید | |
| | 1 • • • • | آل صلب | |
| | 10 | بنو شحب | |
| | 1 • • • • | شديدة | |
| | ۸••• | بن <i>و</i> العيص | |
| | 1 * * * * | البنا | |

70 . . .

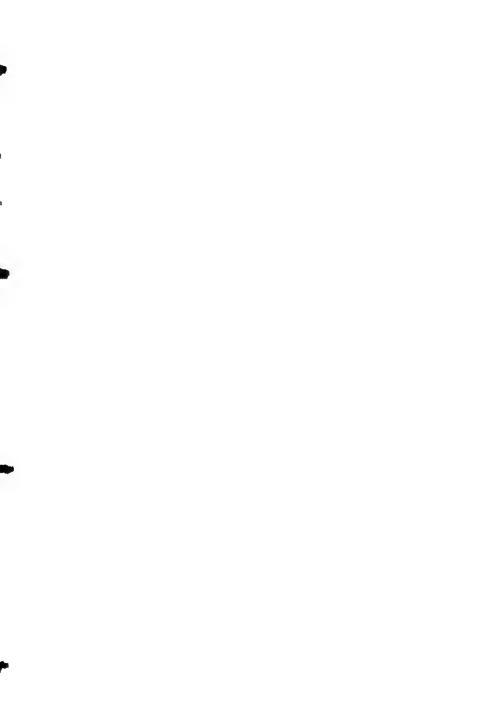
10 ...

قبائل أخرى

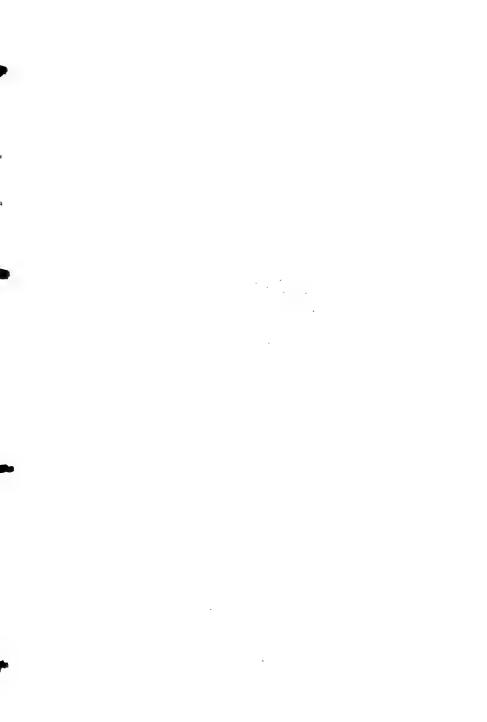
بدو تهامة

وبهذا يكون عدد سكان منطقة عسير أكثر من مليون وربع المليون وأعتقد أن هذا الرقم مبالغ فيه لأن شيوخ القبائل كثيراً ما يعطون أرقاماً تزيد عن الحقيقة واعتقادي هذا يعود إلى الاحصاء الذي جرى في المملكة العربية السعودية عام ١٣٩٤ هـ والذي دل أن عدد سكان المملكة لا يزيد عن ثلاثة ملايين ونصف المليون ، وما أعتقد أن سكان منطقة عسير يزيدون عن خمس سكان المملكة وبهذا أتوقع أن يكون العدد المقبول لسكان المنطقة هو ثلاثة أرباع المليون ،





اللب المالي التاريخ



الفصل الاول

بلادعسيرني العصورالإسلامتية

كان لقبائل عسير في الجاهلية مركز كبير بين القبائل العربية وقوة يخشى بأسها وبخاصة في وقت كانت قيمة القبائل بقوتها ومركزها بعدد أفرادها ، وقد أضافت مناعة بلادها زيادة إلى جانبها المرهوب ، فقد وضعت الأزد أتاوة على عير قريش المنطلقة نحو اليمن في رحلتها الموسمية في فصل الشتاء .

وعندما شع نور الإسلام في الجزيرة العربية وأصبحت المدينة المنورة مركز انطلاقه ومنطلق اشعاعه على حين بقيت مكة المكرمة تقف في وجهه وتحول دون اتساعه وكان سكانها من قريش قادة الصادين عن دين الله ، وأبطال الواقفين أمامه ، ولهم ما لهم من مركز بين قبائل العرب لما لهم من مهابة وما لمدينتهم من قداسة وكذا كانت الطائف وسكانها من ثقيف ، ولما كانت المدينتان مكة والطائف تقعان بين المدينة وعسير ، فقد حالتا دون وصول الإسراقة الاسلام إلى هذه المنطقة من أرض العرب ،

ولما فتحت مكة المكرمة للمسلمين ودانت لهم الطائف وخضع لهم ما حولها من قبائل وأعراب ، وزالت الأصنام ودالت دولة الشرك ، وابتدأت القبائل تدخل في دين الله أفواجاً وصل شعاع الحق إلى عسير فوفد الصرد بن عبد الله الأزدي رضي الله عنه في السنة العاشرة للهجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس وفد من قومه •

أسلم الصرد بن عبد الله رضي الله عنه على يد رسبول اللهصلى الله عليه وسلم فأمرّه على من أسلم من قومه وأمره أن يجاهـــد بهم من كان يليه من أهل الشرك ، فخرج رضي الله عنه حتى أحاط بمدينة مجرش قاعدة منطقته التي كانت تعرف باسم مخلاف جرش ، وحاصرها حصاراً شدیدا استمر ما یقرب من شهر عجز فيه عن فتحها ، فانشمر عنهم وكأنه يريد إيهامهم بأنه منهزم فخرجوا في طلبه حتى إذا كانوا بسفح جبل شكر ، عطف عليهم فقاتلهم قتالاً شديداً ، فانهزموا أمامة واعتصمت فلولهم بالمدينة جرش ، وأخيراً صالحوه على الفيء ، وكان منهم بعد عصر يوم الوقعة وفد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما رجلان فقط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بأي بلد شكر ، فقال وفد جرش: يارسول الله ببلادنا جبل يقال له كشر ، فقال صلى الله عليه وسلم إنه ليس بكشر ولكنه شكر، قال الوفد: فما شأنه يارسول الله ؟ فقال : إن بدن الله لتنحر عنده الآن ، وجلس وفد جرش إلى أبي بكر وعثمان فقالا لهما : ويحكما إن رسول الله صلى الله عليه

وسلم ينعي لكما قومكما فقوما إليه فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع عنهم ، عن قومكما ، فقاما إليه فسألاه ذلك ، فقال : اللهم ارفع عنهم ، فخرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى قومهما ، فوجدا قومهما أصيبوا في اليوم الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ، وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر .

تولى الصرد بن عبد الله رضي الله عنه أمر هذا الأقليم ،وكان أول من وليه بعد ظهور الإسلام وقد بقي عاملاً لرسول الله على جرش حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وجاء في كتاب البداية والنهاية لابن كثير ما يلي:

بسيانداز منازمي

فصل في قدوم الأزد على رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذكر أبو نعيم فيكتاب معرفة الصحابة والحافظ أبو موسى المديني من حديث أحمد بن أبي الحواري ، قال : سمعت أبا سليمان الداراني ، قــال : حدثني علقمة بن مرثد بن سويــد الأزدي ، قال : حدثني أبي عن جد يعن سويد بن الحارث • قال: وفدت سابع سبعة من قومي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلمًا دخلنا عليه وكلمناه فأعجبه ما رأى من سمتنا وزينا فقال : ما أنتم ؟ قلنا : مؤمنون ، فتبسم رسبول الله صلى الله عليه وسلم وقال « لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وإيمانكم » قلنا خمس عشرة خصلة ؛ خمس منها أمرتنا بها رسلك أن نؤمن بها ، وخمس أمرتنا أن نعمل بها ، وخمس تخلقنا بها في الجاهلية فنحن عليها حتى تكره منها شيئًا • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما الخمسة التي أمرتكم بها رسلى أنتؤمنوا بها ؟ » قلنا : أمرتنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت ، قال : « وما الخمسة التي أمرتكم أن تعملوا بها ؟ » قلنا : أمرتنا أن

⁽١) عن الحلبية فقط .

نقول لا إله إلا الله ، ونقيم الصلاة ، ونؤتي الزكاة ، ونصوم رمضان ، ونحج البيت من استطاع إليه سبيلا ، فقال : « وما الخمسة التي تخلقتم بها في الجاهلية » قالوا : الشكر عند الرخاء ، والصبر عند البلاء ، والرضا بمر القضاء ، والصدق في مواطن اللقاء ، وترك الشماتة بالاعداء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء » ثم قال « وأنا أزيدكم خمساً فيتم لكم عشرون خصلة إن كنتم كما تقولون ، فلا تجمعوا ما لا تأكلون ، ولا تبنوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا في شيء أتنم عنه غدا زائلون ، واتقوا الله الذي إليه ترجعون وعليه تعرضون ، وارغبوا فيما عليه تقدمون ، وفيسه تخلدون » و فانصرف القوم من عند رسول الله صلى الله عليه تخلدون » و فانصرف القوم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظوا وصيته وعملوا بها(۱) .

وبقي الصرد بن عبد الله والياً على جرش حتى انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ، وجرش مدينة بائدة ولا زالت أطلالها قائمة ، وتقع على قاع منبسط بالقرب من سفح جبل شكر من جهته الغربية ، وهذا الذي وقعت عنده الموقعة بين من آمن من أهلها ومن كفر ، ويقع في بلاد رفيدة الآن شمالي بلدة أحد رفيدة ويبعد عن أبها مسافة ٤٠ كيلو متراً إلى الجنوب الشرقي منها وقد جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي في مادة جرش:

⁽۱) البداية والنهاية ٥/٤/٥ . طبعة مكتبة المعارف ببيروت ومكتبة النصر بالرياض .

مُجرش: بالضم ثم الفتح ، وشين معجمة ، من مخاليف اليمن من جهة مكة ، وهي في الاقليم الأول ، طولها خمس وستون درجة ، وعرضها سبع عشرة درجة ، وقيل: إن جرش مدينة عظيمة باليمن وولاية واسعة ، وذكر بعض أهل السير أن تبعأ «أسعد بن كليكرب» خرج من اليمن غازياً حتى إذا كان يجرش ، وهيإذ ذاك خربة ، ومعد حالة حواليها ، فخلتف بها جمعاً ممن كان صحبه رأى فيهم ضعفاً ، وقال: اجرشوا هاهنا أي البثوا ، فسميت جرش بذلك ، ولم أجد في اللغويين من قال ان الجرش المقام ، ولكنهم قالوا إن الجرش الصوت ، ومنه الملح الجريش لأنه حك بعضه بعض فصوت حتى مسحق لأنه لا يكون ناعماً ، وقال أبو المنذر هشام: جرش أرض سكنها بنو منبه بن أسلم فغلبت على اسمهم وهو جرش واسمه منبه بن أسلم بن زيد بن الغوث ٠٠٠٠٠٠٠

ثم قال: وقرأت بخط جخجخ النحوي في كتاب أنساب البلدان لابن الكلبي: أخبرنا أحمد بن سهل الحلواني عن أبي أحمد محمد بن موسى بن حماد البريدي عن أبي السري عن أبي المنذر قال: جرش قبائل من أفناء الناس تجرشوا ، وكان الذي جرشهم رجلمن حميريقال له زيدبن أسلم، خرج بثور له عليه حمل شعير في يوم شديد الحر فشرد الثور ، فطلبه فاشتد تعبه ، فحلف لئن ظفر به ليذبحنه ثم ليجرشن الشعير وليدعون على لحمه ، فأدركه بذات القصص عند قلعة جراش ، وكل من أجابه وأكل

معه يومئذ كان جرشياً ؛ وينسب إليها الأدم والنوق فيقال : أدم جرشي وناقة جرشية ؛ قال بشر بن أبى خازم :

تكحكم ماء البئر عن جرشية

على جبِر°بة ٍ ، تعلو الديار غروبُها

يقول: دموعي تحدر كتحدر ماء البئر عن دلو تسقى بها ناقسة جرشية ، لأن أهل جرش يسقون عسلى الإبل ، وفتحت جرش في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، في السنة العاشرة الهجرة صلحاً على الفيء وأن يتقاسموا العشر ونصف العشر ، وقد نسب المحدثون إليها بعض أهل الرواية ،منهم الوليد بن عبد الرحمن الجرشي مولى لآل أبي سفيان الأنصاري ، يروي عن جبير بن نفير وغيره ، ويزيد بن الأسسود الجرشي من التابعين ، أدرك المغيرة بن شعبة وجماعة من الصحابة ، كان زاهدا عابداً سكن الشام ، استسقى به الضحاك بن قيس وقتل معه بمرج راهط الشام ، استسقى به الضحاك بن قيس وقتل معه بمرج راهط و

أما الهمداني المتوفى عام ٢٣٣٤ فيقول: جرش كورة نجد العليا وهي من ديار عنز ويسكنها ويترأس فيها العواسج من أشراف حمير وهو من ولد يريم ذي مقار القيل ولهم سؤدد عود وجابة اليمانية في أرض نجد إليهم وهم يقومون معهم بحرب عنز وفي شق قرية جرش فرق من النزارية يدعون الجزارين من موالي قريش والغازين نزار من الغرباء وهم رابطة لعنز على العواسج ويملي إليهم عنز بصرخها ونجدتها • وجرش في قاع ولها أشراف غربية بعيدة منها تنحدر مياهها في مسيل يمر في شرقها بينها وبين

حمومة ناصية تسمى الأكمة السوداء _ حمومة وحمسة وكولة _ ثم يلتقي بهذا المسيل أودية ديار عنز حتى تصب في بيشة بعطان ، فجرش رأس وادي بيشة ويصالي قصبة جرش حرّيمة من عنز ثم يواطن حزيمة من شامها عسير قبائل من عنز وعسير يمانية تنزرت ، ودخلت في عنز فأوطان عسير إلى رأس تيّه وهي عقبة من أشراف تهامة (١) .

وتولى أمر جرش في أيام الصديق رضي الله عنه عبد الله بن ثور وقد طلب منه الصديق أن يمده بالمؤمنين من منطقته ليقاتل المرتدين ، وقد فعل ، واستمر في إمرته أيام عمر وعثمان رضي الله عنه وبعد ذلك كانت عسير تتبع مكة المكرمة .

شاركت قبائل عسير مع الجيوش الاسلامية بالفتوحات والانطلاق خارج الجزيرة العربية ، فلما توقفت الفتوحات عاش سكان المنطقة في مرتفعاتهم حياة هادئة مطمئنة يخضعون للدولة ويدينون بالولاء للوالي الذي يتبعون إليه في مكة المكرمة .

ولما قامت الدولة العباسية وبدأت تلاحق بني أمية وتقاتلهم، توزعوا في الأمصار واختفوا في الأقاليم وبخاصة الغربية منها والجنوبية ، وقد استطاع أحدهم وهو علي بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن معاوية بن أبي سفيان أن يصل إلى عسير

 ⁽۱) صفة الجزيرة العربية تحقيق محمد بن على الأكزاع
 الحوالي - اشراف حمد الجاسر - منشورات دار اليمامة بالرياض

وأن يؤسس أسرة تتسلم زعامة عسير وإمارتها ، ولم يمض على ذلك سوى عدة سنوات ، واستمرت الزعامة فيها حتى العصر الحديث غير فترات قصيرة كان يقع خلالها خلاف بين أبناء العمومة وفروع الأسرة على من يتسلم الزعامة وفي أيها تكون الإمارة ؟ وهو ما يقع دائماً في الأسر على مدار التاريخ ، وعندها يضعف أمرها وتتنطح إليه غيرها ثم لا يلبث أن يعود إليها • كما يمكن أن يضعف شأنها عندما يقوم عميدها بحركة على الدولة أو يحارب أميراً آخر مجاوراً له أو منافساً وتكون النتيجة هزيمة أهل عسير أو مقتل قائدهم ، وكذلك لا يلبث بعد مدة أن يرجع الأولاد إلى رئاسة البلاد •

إن الأمير الذي يولد في حضن العز وينشأ في بيت كريم المنبت لا يستطيع أن يكون إلا كذلك وإن حطت به الأيام أو أذلته الظروف إذ لا تلبث أن تحرّكه أرومته وتدفعه سمعته وأمجاد سلفه أن يعود إلى مكانه الطبيعي فيأتيه الناس مقدرين له حسبه ووضعه الذي هو فيه فإن النفس البشرية لترحم عزيز قوم ذل وتشفق على إنسان حط به القدر ، هذه الرحمة وهذه الشفقة لتجعلان لهمن وضعه الضعيف مركزاً محترماً وموضعاً لائقاً وإذا كان هذا العزيز قوي الحجة طلق اللسان استطاع أن يجعل من وضعه الذي هو فيه قوة ومن مطلبه حقاً ومن رغبته عدلا ، وكثيراً ما كان ينشأ أولاد الأمراء على هذا ويربون على ذلك وعلى الكرم ليكونوا أهلا لمناصبهم ، إذ لا يرتفع إنسان بخيل ،

ولا بتد لمن يريد أن يتصدر المجالس ويجمع حوله الناس من أن يكون كريماً ، فالكرم عنوان الامكانات على القيادة ودليل القدرة على توجيه الناس حسب الوجهة التي يريدها وإعلاء رأيه وإن قل مؤيدوه في بداية الأمر وضؤل أنصاره .

وإذا كان للشجاعة دور كبير إلا أنها لا تنعدم في رجل قطع أكباد الإبل واجتاز الفيافي في سبيل رأيه وعزة نفسه فلو لم يكن شجاعاً لكان في الأصل ممن سكت على ضيم فنال مصيره المحتوم كما ناله الكثير من أسرته أو عاش حياة الذل بين الجموع التي يحيونها في كل زمان فلا يطالهم أذى ولا ينالهم خير ، لا يرتفع لهم اسم ولا يعلو لهم شأن .

وإن في الأسرة الواحدة سواء كانت حاكمة أم محكومة أفراداً كثيرين، ولكن ليسوا جميعهم ، يرتقون إلى مصاف القادة وعداد العظماء وإنما الذي يصل إلى ذلك المركز من يتجشم المخاطر ويتحمل المصاعب ويضحي في سبيل ذلك بنفسه وولده وما يملك .

ولعل في هذه الأسرة التي تتكلم عنها وهي الأسرة الأموية أكثر من انموذج واحد لهذه التضحية وهــذا البذل وإن كان التاريخ لم يحفظ لنا إلا صورة واحدة وهي صورة عبد الرحمن الداخل الذي ذهب إلى الأندلس وبقي عــدة سنوات في طريقه يختفي إذا انبلج الصبح ويسير إذا جن "الليل ٠٠٠٠٠ يتصور أمامهمرأى أخيه الصغير تقتله جنود بني العباس وهو يحاول اجتياز

نهر الفرات معه ، قتل وعينه تنظر وتدمى وقلبه يتفطر ولكن لابد له من قوة القلب ورباطة الجأش ومتانة الأعصاب حتى يستطيع أن ينجو بنفسه • • • • • • يحل " الرحال إذا وجد مكناً أميناً ويشد ها إذا خاف بطش متملق غادر ، وأخيراً استطاع أن يصل إلى مأمنه وتمكن بدهائه أن يؤسس دولة لها في التاريخ من المركز مالها • • •

وإذا كان عبد الرحمن قد طغى على غيره من أبناء العمرمة الفارين من وجه العباسيين فذلك لقوة الدولة التي أقامه ب تلك المنطقة وقد ساعده حسن موقعها وأبعد مركزها عن أعدائه وصلاح منطقتها واتساع أرضها وكثرة خيراتها وتعداد جندها أما الأمكنة الأخرى التي اتجه إليها بقية الأمراء فلم تكن شروطها مواتية ولا جغرافيتها مناسبة ولا ظروفها ملائمة كما لم يكن غناها كافياً لإقامة دولة وهذا شأن بلاد عسير ذات الرقعة المحدودة والجند الضئيل والعدد القليل والمرتقى الصعب بحيث يجعل من كل بقعة منها أرضاً منفصلة فيها أسرة مستقلة وفيها زعامة قائمة بحد ذاتها ثم قربها من اليمن ذات المناعة والثورات الدائمة بحيث تمر الجيوش باستمرار من عسير أو على مقربة منها بحيث يمكن استخدامها للقضاء على كل حركة ، وإضافة إلى هذا فعبد الرحمن على نسب قريب من حكام بني أمية الأواخر ، فهو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ، وجده هشام الم تمض على خلافته أكثر من سبع سنوات ، فالأنظار تتجه نحوه وأفراد أسرته معروفون جميعاً لاتخفى منهم خافية ولا يغيب عن أعدائهم فرد ، ويمكن أن يكون الأمر إليه ، لذا يجب القضاء عليه مدما علي بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن يزيد فقد ذهب الحكم من فرع أسرته منذ أكثر من ٦٨ سنة لذا فقد نسي الناس هذا الفرع وطوى التاريخ البيت السفياني وإن كان هو المؤسس للدولة الأموية حتى انصهر أمراؤه بين أفراد الشعب وضاعوا بين عناصر المجتمع وبخاصة لضعف الذين ورثوا الأمر بعد يزيد والتفات أبنائه إلى أعمالهم وبعدهم عن أمور الحكم التي استقل بها أبناء عمومتهم من الفرع المرواني و وربما هذا ما جعل المؤرخين ومنهم ابن كثير يقولون بأن نسل يزيد قد انتهى اذ لم يعقب أبناؤه ه

وصل علي بن محمد إلى عسير وتحالف مع قبائلها به واستطاع بمدة وجيزة أن يكون صاحب الكلمة المسموعة وصاحب النفوذ ، وقد يكون قد أخفى نفسه في بداية الأمر حتى لايطلبه الوالي ويدفعه إلى بغداد لينال هناك جزاء العداوة وعقاب الفرار وهذا ما يضيف سبباً ثانياً إلى الاعتقاد بانقطاع نسل يزيد ابن معاوية ، دفعت علياً نفسه وقد رأى من قوته ما رأى أن يثور على الدولة العباسية وقد صار الأمر فيها إلى المهدي ولكن دون أن يفصح عن شخصه ومن غير أن يعلن عن هويته حتى لا يزداد الاهتمام بأمره مادام من سلالة الأسرة التي زال منها الحكم ولا يزال لها من الأنصار العديد ، خاصة وأن وضع بني العباس لم

يبرق للكثيرين الذين كانوا يؤيدونهم سواء من العرب عامة أم من الطالبيين خاصة، أم من الذين كان يسوؤهم وضع بني أمية في أو اخر عهدهم فكانوا يرجون الاصلاح بتغيير الأوضاع فلما تم" ساءتهم عواقبه فقلبوا ظهر المجن إلا أن السيف قد أخرس الألسن فكفت عن الكلام ومحا أسطار البلاغة فاختفت الكتب التي تريد أن تظهر بعض الحقيقة ، إلا أن الجيش الذي أرسله المهدي إلى اليمن والذي رغب علي بن محمد أن ينازله وأن يوقعه في كمين ينصبه له ، ولكن قوته لم تكن قد اكتملت بعد وليست بحالـــة تؤهله اللوقوف أمام هذا الجيش الكبير الذي كان بقيادة عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله الغامدي فمات قتيلاً عام١٦٩ ه ورغم هذه النكبة التي أصابت الأسرة هناك وأضعفت كلمتها إلا أن . نفوذها لم ينته ، واستطاع أبناء علي بن محمد وأحفاده أن يعيشوا في تلك الأرجاء ويحاولوا التماسك فيما بينهم والاحتفاظ بمركزهم بين قبائل عسير وبماضيهم الذي ورثوه واستمر ذلك حتى منتصف القرن السابع الهجري ، حيث وقع الخلاف على الزعامة بين أبناء العم فصقر بن حسان بن سليمان وهو الذي ينتسب إليه آل عائض وابن عمه علي بن ابراهيم بن سليمان الذي ينتمى إليه آل يزيد الشعف والذي كانت إمارته علمى قحطان وشهران ، حدث بينهما الخلاف فانتقل علي إلى قرية السربة وهي لبني مأجور أحد فروع قبيلة ربيعة وحلفًاء بنى مغيد فكان أنّ وقتل عام ٣٥٢ هـ بقرية دلفان إحدى قرى بني الأزهر وهم أحد فروع قبيلة ربيعة أيضاً وحلفاء شهران، حيث كانت ربيعة قسمين، أحدهما حليف بني مغيد والآخر حليف شهران الذين يتبعون، إمارة علي وهم بنو الأزهر بينما يتبع بنو مأجور إمارة صقر وحلفاء لبني مغيد ٠٠٠ فعندما أراد علي أن يتوسع في إمارته لتشمل بني مأجور قتل واستمرت الامارة في صقر بن حسان، وأولاده من بعده ، بينما انزوى أبناء علي بن ابراهيم في منطقة الشعف وهم الذين يعرفون اليوم باسم آل يزيد الشعف و

ولما ضعفت الدولة العباسية في أواخر عهدها ، وبدأت الدويلات تستقل في المشرق ، وتنفصل في المغرب ، وتنعزل في المجنوب ، وكانت بعض هذه الإمارات على مقربة من عسير في الجنوب ، في بلاد اليمن ، لم يجد سكان عسير فائدة في هذا الاستقلال رغم صلاح أرضهم لمثل هذا فتبعدها وصعوبة أرضها ومناعة حصونها وقوة شكيمة أهلها كل ذلك يخولها لتكون مركزاً للتمرد ، ومجالاً للاستقلال ، وحصناً لكل عصيان ، ولكن هذا ليس فيه سوى زيادة الفرقة ، وكثرة الاختلاف ، وتجزئة البلاد لهذا كله أعلنوا الطاعة لمن يلي أمر الحجاز جيرانهم في الأصل يتبعون مكة المكرمة، كما توجد في الصمال خاصة وأنهم في الأصل يتبعون مكة المكرمة، كما توجد في الحجاز الأماكن المقدسة مهوى أفئدتهم وإليها تشد رحالهم والحجاز الأماكن المقدسة مهوى أفئدتهم وإليها تشد رحالهم

لقد شملت سلطة الطولونيين عسير عــام ٢٥٤ ــ ٢٩٣ هـ (٨٦٨ ــ ٩٠٥ م) ثم عاد الأمر للعباسيين قليلاً ٢٩٣ ــ ٣٣٠ هـ (٩٠٥ ــ ١٤٤١م) ثم صارت تتبع صاحب النفوذ الأقوى والذي

يفرض سيطرته على الحجاز ، فقد خضعت للاخشيديين مدة ثم للفاطميين بعد ذلك .

لقد كان سكان عسير يديرون شؤون بلادهم بأنفسهم ، ويعلنون الطاعة لصاحب النفوذ الكبير مفضلين عدم القتال وعدم الخوض في دماء المسلمين ، ولكن إذا داهمهم عدو أو حاول غزوهم خصم وقفوا في وجهه واستفادوا من مناعة بلادهم ووعورة أرضهم في حربه ورده خاسراً ، فعندما قامت فتنة القرامطة في الجزيرة العربية ، وغلبوا أكثر أهلها ، ودانت لهم أكثر أجزائها المتنعت عنهم عسير ، ووقفت في وجههم ، وردتهم على أعقابهم خاسرين ، وتوقفت مجازر القرامطة وسدوء أعمالهم عند أقدام مرتفعات عسير ،

واشتدت شوكة بني زياد في اليمن فتبعوا لهم ، وقوي أمر الهمدانيين بعد بني زياد فأعلنوا طاعتهم حتى جاء السلاجقة عام ١٩٣٤ هـ (١٠٧٠م) فكان لهم بعض النفوذ على الأجزاء الشمالية من عسير ٠

وحكم الأيوبيون المنطقة كاملة فكانت عسير من جملة أملاكهم ، وورث بنو رسول في صنعاء الأيوبيين فامتدت سلطتهم إلى عسير ، ووقع الخلاف بين بني طاهر وبين بني رسول فكانت عسير تتبع الأقوى ، وتخضع تارة لهؤلاء وأخرى لأولئك حتى إذا استقر الوضع إلى بني طاهر وحكموا اليمن باسم المماليك كان نفوذهم يمتد إلى بلاد عسير .

الفصل الثاني

أستيكام الضغف

في هذا الوقت تغيرت القوى الدولية وظهرت الصليبية في المشرق فكانت نتيجة ذلك أن تغيرت الأوضاع في هذه المنطقة ولا بدلنا من أن تتحدث بعض الشيء عما حدث •

استطاعت أوربا كافة أن تدعم الاسبان والبرتغاليين في حروبهم ضد المسلمين في الأندلس حتى تم فهم النصر إذ كان المسلمون آنذاك متفرقين في كل جزء دولة وفي كل اقليم سلطان يتناحرون في أغلب الأحيان فاستطاع الاسبان والبرتغاليون أن يطردوا المسلمين من الأندلس ، وأن يدخلوا غرناطة آخر معقل للمسلمين ، وذلك عام ٨٩٨ هـ (١٤٩٢ م) ، وقاموا يذبحون المسلمين الذين بقوا في الأندلس ويرتكبون بحقهم جرائم تقشعر لها الأبدان على الرغم من العهد الذي قطعوه لحاكم غرناطة الذي سلم لهم المدينة بموجبه حتى لم يبق في شبه جزيرة ايبرية مسلم واحد ، ويمثل أعمالهم أبو البقاء الرندي في قصيدت المشهورة التي يرثي فيها الأندلس والتي مطلعها:

لكل شيء إذا ما تهم نقصان فلا يغر " بطيب العيش انسان

حتى يقول:

كأنما هي ياقوت ومرجان والعين باكية والقلب حيران إن كان في القلب إسلام وإيمان وطفلة مثل حسن الشمس إذا طلعت يقودها العلج للمكروه مكرهة ً لمثل هذا يذوب القلب من كمد

ولم يكتف الاسبان والبرتغاليون بهذا بل أرادوا ملاحقة المسلمين الى المغرب واخراجهم منها وبالفعل فقد استولوا على بعض المراكز على شواطىء البحر الابيض المتوسط في شمالي المغرب مثل مثليلة ووهران وغيرهما، ولاتزال سبتة ومليلة بأيديهم الى الآن، كما استولوا على مراكز على شواطىء المحيط الأطلسي غربي بلاد المغرب، وبعد أن استقروا في هذه المراكز شعروا أنها لا تكفي لتحقيق بغيتهم، لتمكن المسلمين في الداخل، وبعد أن ذهبت نشوة النصر المؤقت ببعض حقدهم بدؤوا التخطيط لتحقيقها فرؤوا أن عليهم:

ا ـ أن يعرفوا طرقا تجارية جديدة غير الطرق التي يسيطر عليها المسلمون ، وتصلهم هذه الطرق مباشرة بالشرق دون المرور بأرض المسلمين ، وبهذه العملية يفقد المسلمون الأرباح التي يجنونها من التجارة ، وتصبح بلادهم في معزل عن العالم ، ولهذا نرى أن الدول الأوربية المختلفة أسرعت الخطو للمعرفة الجغرافية والتي كان

من تتائجها معرفة أوربا لطريق جديد هو طريق رأس الرجاء الصالح في جنوب إفريقية ، وأمكن وصول أوربا إلى الشرق مباشرة ، وإن طال الطريق فإن ذلك ليس له أية أهمية بالنسبة إلى الغاية الموضوعة نصب أعين العالم النصراني • كما كان من نتائج هذا العمل معرفة اميركا التي كانت عن طريق الصدفة في محاولة للوصول الى الشرق باتجاه الغرب ، وبالفعل فقد أضعفت معرفة أوربا لرأس السرجاء الصالح إمكانات البلاد الاسلامية بشكل واسع ، إذ تحولت التجارة العالمية عن المرور عبر أراضيها ، وفقدت الأرباح التي كانت تجنيها العالمية عن المرور عبر أراضيها ، وفقدت الأرباح التي كان ينتجها الشرق ، من التجارة ، وارتفعت أسعار الحاجيات التي كان ينتجها الشرق ، كما نتج عن ذلك تأخر اقتصادي خرب البلادوأثر على رفاه السكان، وأوقف الحركة العمرانية ، كما تأخرت الصناعة التي لم يعد لها

٧٣ عند الوصول إلى شرقي بلاد المسلمين يجب السيطرة على تلك المناطق والاستعداد التام لقتال المسلمين ، وفتح المعركة عليهم من جميع النواحي بعد إحاطتهم إحاطة تامة • كما يجب على الأوربيين الذين يصلون إلى البلاد المجاورة للمسلمين القيام بمحاولة نشر النصرانية بين السكان وحثهم على محاربة الإسلام حرباً لا هوادة فيها ، ومن الضروري هناك الاتصال بالنصارى كافة للغرض نفسه ، ويبدأ الاتصال بنصارى الحبشة ، وتقديم العون لهم على قتال المسلمين والاشتراك معهم لتلك الغاية ، وفي الواقع فقد تم هذا الاتصال ، وحثت الحبشة ملوك أوربا للقيام بحرب صليبية لإزالة الممالك الإسلامية التي كانت في حرب معها في شرقي إفريقية •

وتبنت البرتغال هــــذه الآراء ، وأرادت تنفيذها بالدراســـة والإعداد لها ، وبعد التهيئة وجدت أن أقوى الدول الإسلامية في تلك الفترة غير الدولة العثمانية المتجهة نحو أوربا ، إنما هي دولة المماليك التي كانمركزها القاهرة والتي تسيطر على شرقي إفريقية، وتساعد المسلمين في حروبهم مع الأحباش ، وأن هــذه الدولــة سيصطدمون معها أول ما يصطدمون بصفتها تسيطر على مراكزفي شرقى إفريقية، لذلك يجب إرسال الجواسيس إليها ليأتو ابالمعلومات العسكرية والبحرية بالدرجة الأولى واللازمة لتكفل لهم النصرعليها، واستفادت من بعض اليهود الذين يجيدون العربية لوجودهم في الأندلس فأرسلتهم إلى مصر ، والتقت هنا أهداف اليهودية مع أهداف الصليبية، وأظهر هؤلاء اليهود الإسلام، وتقربو امن الحكام مستفيدين من أوضاعهم المادية الجيدة حيث وضعت الأموال تحت تصرفهم ، وبعد مدة استطاع هؤلاء اليهود أن يعرفوا أحوال الجيش المملوكي وأوضاع البلاد الداخليةكما حصلبوا على خرائط ومصورات للبحار ومعلوماتعن الملاحة، وطريقة التخلص من منطقة الهدوء الإستوائي بقيت لغزأ يصعب حله لدى الأوربيين حتى تلك الساعة حيث تهدأ الريا**ح في المنطقة الاستوائية ولاتتحرك السفن التي ت**سير بالشراع وهي المعروفة فقط آنذاك ، ولايمكن التنقل إلا في الربيع شمالاً مع حركة الشمس الظاهرية وفي الخريف جنوباً مع الحركة نفسها . وعندما أخذ اليهود كل مايريدون انسلوا من مصر عائدين إلىي البرتغال وقدموا ماحصلوا عليه من معلومات إلى الحكومة، وبهذا حصلت البرتغال على كل ماتريد، فأرسلت ملاحها المشهور «فاسكودي غاما » الذي وصل إلى رأس الرجاء الصالح عام ١٩٠٤هـ لا ماتريد من المحيط الهندي بالاتجاه شمالا وطلع على المدن الإسلامية في شرقي إفريقية ، وكان لا بد من الاصطدام مع المماليك(١) •

كان على المماليك أن يستعدوا لذلك خاصة وأن المسلمين من مختلف المناطق قد بدؤوا دعوتهم لحمايتهم ونجدتهم من هؤلاء طلب من اليمن ، من عامر بن عبد الوهاب سلطان بني طاهم وطلب من ملك كوجمرات السلطان مظفر شاه يطلب مساعدتهم وقد كتب قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي الملكي المتوفي عام ٩٩٠ هه في كتابه غزوات الجراكسة والأتراك في جنوب الجزيمرة والمسمى بالبرق اليماني في الفتح العثماني ما يلي «وقع في أول القرن العاشر ، من الحوادث الفوادح النوادر ، دخول « الفرتقال (٢) » اللعين ، من طائفة الفرنج الملاعين، البحر ويلجون في الظلمات ، ويمرون بموضع قريب من (جبال البحر ويلجون في الظلمات ، ويمرون بموضع قريب من (جبال القمر) في أبيض ، وهي القمر) أي أبيض ، وهي

⁽١) يرجع إلى كتابنا الكشوف الجفرافية _ حقيقتها _ دوافعها.

⁽٢) الفرتقال: يقصه البرتغال .

⁽٣) زقاق سبته: مضيق جبل طارق .

⁽٤) جبال القمر : في جزائر القمر ، وهي أربع جزر بين جزيرة مدغشقر وقارة إفريقية .

مادة أصل بحر النيل(١) ، ويصلون إلى المشرق ، ويمرون بموضع قريب من الساحل ، في مضيق أحد جانبيه جبل ، والجانب الثانى بحر الظلمات ، في مكان كثير الأمــواج لاتستقر بــه سفائنهم ، وتنكسر ، ولا ينجو منهم أحد ، واستمروا على ذلك مدة ، وهــم يهلكون في ذلك المكان ، ولايخلص من طائفتهم أحـــد إلى بحــر الهند ، إلى أن خلص منهم (غراب)(٢) إلى الهند ، فـــلا زالوا يتوصلون إلى معرفة هذا البحر ، إلى أن دلهم شخص ماهر ، يقال له (أحمد بن ماجد)(٢) صاحبه كبير الفرنج ، وكان يقال له (إلى مالندي(٤)) وعاشره في السئكر(٥) ، فعلمه الطريق في حال (سكره) ، وقال لهم : لاتقربوا الساحل من ذلك المكان ، وتوغلوا في البحر ثم عودوا ، فلاتنالوا الأمواج ، فلما فعلوا ذلك صاريسلم من الكسر كثير من مراكبهم ، فكثروا في بحر الهند ، وبنــوا في « كو "ة(١) » من بلاد (الدكن) قلعة يسمونها (كوتا) ثم أخذوا (هرموز(٧)) وتقووا هنالك ، وصارت الأمداد تترادف عليهم من

- (١) أصل بحر النيل: خطأ في معرفة منابع النيل.
 - (٢) غراب: نوع من أنواع السفن .
 - (٣) أحمد بن مأجد: الملاتح العربي المشهور.
- (٤) مالندي: مدينة ساحلية تقع في تانزانيا اليوم.
- (٥) قضية السكر لم تثبت وإنما دعاية ضــ المسلمين شاعت آنــ ذاك .
 - (٦) كو"ه : مدينة غوا على ساحل الهند الفربي .
- (٧)_هرموز : جزيرة هرمز في مدخل الخليج العربي بينه وبين خليج عمان .

الفرتقال ، فصاروا يقطعون الطريق على المسلمين أسراً ونهباً ، ويأخذون كل سفينة غصباً ، إلى أن كثر ضررهم على المسلمين ، وعم أذاهم على المسافرين ، فأرسل السلطان مظفر شاه بن محمد إبن أحمد شاه ، سلطان كوجرات يومئذ ، إلى السلطان الأشرف قانصوه الغوري ، يستعين به على الفرنج ، ويطلب العدد والآلات والمدافع ، لدفع ضرر الفرنج عن المسلمين ، ولم يكن أهل الهند إذ ذاك يعرفون المدافع والمكاحل والبندقيات ، وممن أرسل إلى السلطان الغوري يطلب منه النجدة على الفرنج : السلطان عامر ابن عبد الوهاب ، لكثرة ضرر الفرنج بالمسلمين ، في بحر اليمن وبنادرها ، وتواتر أذاهم ، وضعف جنود المسلمين في بحر اليمن وتلك الديار عن مقاومتهم ، لعدم معرفتهم بحرب البحر ، واستعمال المدافع ، ونحو ذلك ، فجهز السلطان (قانصوه) من كبار مقدميه الأمير (حسين الكردي) (١) •

إلا أن حسين الكردي احتل اليمن وقضى على دولة الطاهريين، واشترك في حروب مع أهل المنطقة، ولم يكن الاسطول المملوكي بدرجة من القوة تؤهله للوصول إلى الهند ومقاومة البرتغالين وبخاصة بعد تحطيم الاسطول المصري أمام الاسطول البرتغالي في معركة (ديو) البحرية التي وقعت عام ١٥٠٩هـــ١٥٠٩ م وهكذا خضعت المنطقة إلى المماليك الجراكسة والمنابعة والماليك الجراكسة والمنابعة و

⁽١) البسرق اليماني في الفتح العثماني ص ١٨ منشوارت دار اليمامة بالرياض ١٣٨٧ هـ اشراف حمد الجاسر .

ولكن دولة المماليك لم يطل عهدها بعد ذلك ، إذ نظر إليها العثمانيون فوجدوا أنها لم تقو على دفع البرتغاليين الذين إن تقدموا قليلا أثروا على الدولة العثمانية التي تحارب في أوربا بل وتقف أوربا كافة في وجهها وبهذا تصبح بين فكي كماشة أوربا من الغرب والبرتغاليون من الجنوب والروس من الشمال ، هذا إضافة إلى ما أعلنه القائد البرتغالي « البوكرك » الذي خلف «فاسكوديغاما » من أنه يريد انجاز مشروعين من مشروعاته قبل موته وهما:

١ - تحويل مياه نهر النيل إلى البحر الأحمر ليحرم مصر من ري أراضيها ، ويخرب شبكة الري التي كانت قائمة فيها آنذاك ،
 ومن المعلوم أن مصر كانت أهم دولة إسلامية وقتذاك من حيث موقعها وعدد سكانها وامتلاكها رقعة كبيرة من الأرض حيث كان يتبعها بلاد الشام وبلاد الحجاز .

٢ - تهديم المدينة المنورة في شبه جزيرة العرب ، ونبش قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأخذ كنوزه حيث كان يتصور أن ضريحه مليء باللالىء والمجوهرات شأن الفاتيكان ، وسرق رفات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وجعلها رهينة حتى يتخلى المسلمون عن الأماكن المقدسة في فلسطين (١) .

⁽١) الكشوف الجفرافية ص ٢٨ منشورات المكتب الاسلامي بدمشيق ١٣٩٣ هـ .

فكان على العثمانيين أن ينازلوا البرتغاليين قبل كـل شيء ويهزموهم وذلك ماتقتضيه الفكرة الإسلامية إذأن حرب البرتغاليين صليبية واضحة إضافة إلى الناحية العسكرية حتى لايطوقوا من الجهات كلها، وكانأول عمل من واجبهم القيام به هو توحيدما أمكن من قوة المسلمين ، ولما لم يستجب المماليك ، كان لابد من القضاء عليهم واحتلال أراضيهم ، وهذا ماكان فقد تقدم السلطان العثماني سليم في بلاد الشام وانتصر على المماليك فيمرجدابق ،وقتل قانصوه الغوري ثم دخل مصر عام ٩٢٣هـ ، وانتصر أيضاً في الريدانية على أبواب القاهرة ، ثم قتل (طومان باي) خليفة العوري بعد أن قبض عليه ، وبذلك دالت دولة الماليك ، وأرسل شريف مكة «بركات» ولده « أبو غي » إلى السلطان وهو في مصر ، فسلمه مفاتيح الحرمين الشريفين اعترافاً بالطاعة والولاء ، فأقره على إمرة مكة، وعهد إليه بقتل حسين الكردي حاكم جدة من قبل المماليك، وبالفعل فقد قتل الكردي غرقاً في البحر على الرغم من استسلامه ، وفر عدد من المماليك الجراكسة إلى اليمن ، واجتمعوا حول الأمير برسباي في زبيد ، وكان قد قوي أمره هناك ، وأراد امتلاك اليمن ، فقتل عامر بن عبد الوهاب وأخاه عبد الملك وأكثر الأمراء الطاهريين في يوم الجمعة ٢٣ ربيع الآخرة ٩٢٣هـ • إلا أن أمر برسباي قد انتهى إذ هاجمته جماعة من العربان وهبو في طريقه من صنعاء إلى زبيد ، وقتلته ، وتولى أمر اليمن بعده الأمير اسكندر الذي أتاه أمر من السلطان العثماني سليم عن طريق نائب في مصر « خير بك » بأن

يكون والياً على اليمن من قبل العثمانيين ،فامتثل، وهكذاخضعت المنطقة إلى حكم بني عثمان ، إلا أن هذا الخضوع كان إسمياً ، إذ بقي الأمراء في تناحر وخلاف يعتصم بعضهم في حصون منطقته ينازل الولاة ، أو يعلن العصيان ويقاتل الجوار •

وكان البرتغاليون قد استولوا على بلاد الهند ، وعجز أهلها عن مقاومته. ودفع ضررهم ومنع إلحاق الأذى بالمسلمين ، حتى أنهم غدروا بالسلطان بهادرشاه صاحب كوجرات فقتلوه غـــدرأ ، فاستنجد عند ذلك أهل الهند بالسلطان سليمان القانوني الذي طارت شهرته في الآفاق لما قام به من فتوحات في أوربا وانتصارات على أعدائه ، فتحركت فيه حمية الاسلام فأرسل لهم نجدة بحرية بقيادة سليمان باشا ، تحرك هذا القائد بأسطوله يريد الهند ، وفي طريقه عرّج على عدن ، وقتل غدراً أميرها عامر بن داود مــن بني طاهر ، فأغاظ تصرفه هذا الناس ،ووصلت أخبار عمله هذا وأضرابه إلى مختلف المناطق حيث كان سفاكا للدماء محباً للتفرد بالسلطة في كل مكان يحل فيه ٠٠٠٠ فلما وصل إلى الهند خافه المسلمون فيها لما سمعوه عنه وأرادوا التخلص منــه ، وأظهروا لــه اتفاقهم مــع البرتغاليين بكتب مزورة وصلته ، فقرر مغادرة الهند على عجل ، وترك لسرعته أضخم مدافعه فيها وعاد إلى اليمن عام ٩٤٥هـ ، فقد كان كثير الخوف ، جباناً ، خو"اراً رغم كل مافيه من غلظة وقسوة. ومن اليمن عاد إلى مصر فاستانبول .

تضايق أهل اليمن من ظلم الولاة العثمانيين ،وخلافهم ،وكثرة استبدالهم التي دعت إلى وجود الفتن ، فاستقل ولاة بما تحت يدهم، وانفصل حكام في مناطقهم ،وسطا بعض الطامعين على بعض البقاع، وهذا ماأشغل الدولة إضافة إلى شغلها الدائم فرغبت في إعادة فتح اليمن وتوطيد نفوذها فيها فأرسلت عام ٧٧٨هـ سنان باشا فأعـــاد فتح البلاد ونشر الاستقرار ولكن إلى مدة قصيرة من الزمن إذ عادت الأوضاع بعده إلى ماكانت عليه قبله بل از دادت سوءاً مع زيادة ضعف الدُّولة العثمانية ، وكثرة حروبها في أوربا التي تكاتفت في وجهها ، وأعلنتها عليها حرباً صليبية ، ويجب ألا ننسى طبيعة البلاد اليمنية وبعدها عن مركز الدولة وكره السكان لها لما لمسوه من ظلم ولاتها وقسوة أمرائها ، ثم هناك الخلاف العقائدي الموجود بين سكان أهل مرتفعات اليمن الزيديين وبين العثمانيين الذين هم من أهل السنة ، يضاف إلى ذلك ضعف الولاة الذين تولوا أمر اليمن بعد سنان باشا ، كل هــذا جعل قبضــة العثمانيين تتراخى وتضعف في تلك الأرجاء فتنطح كل في منطقته يريد الاستقلال ، وعزم زعماء على الانفصال ، وحكم كل أمير قبيلته حسب رأيه وهواه، فعمت الفوضي وكثرت المحن .

في هذا الوقت الذي عمت فيه الفوضى وكثر الخلاف لابد لنا من أن نذكر حالة المناطق المجاورة لبلاد عسير والزعماء الذين تولو"ا أمر تلك الجهات أو الذين كانت لهم صلات بالأحداث التي دارت فيها آنذاك والذين لعبوا فيها دورهم •

١ _ اليمن

كانت صعدة عاصمة دولة بني رس الشيعية التي قامت عام ٢٨٠ه ، وقد استطاع حكامها الاستيلاء على صنعاء عدة مرات ، واستمر أمرهم في المنطقة عدة قرون ، وهم يعودون بنسبهم إلى الحسن بن علي بن أبي طالب • وزالت دولتهم بعد قيام بني رسول وبني طاهر •

وعندما استولى العثمانيون على اليمن كان بعض الأئمة الزيديين الذين ينتسبون إلى زيد بن علي زين العابدين بن الحسين ابن علي بن أبي طالب والذين يعيشون في مرتفعات اليمن على أحسن حال مع الولاة على حين لم يمتزج بعضهم الآخر معهم أبداً ،وظلوا معاكسين لهم حفاظاً على استقلالهم • وتفرّد الامام الطّهر من بين هؤلاء بأنه كان هو وأولاده من بعده من أشد من أبدى عداء " للولاة العثمانيين وأكثرهم ضراوة في مقاومتهم، وقدوبدأت هذه المقاومة منذ عام ٩٦٤ هـ، وقد استطاع عام٥٧٥ هـ أن يستولي على صنعاء، وآلت البلاد كلها إلى اضطراب ،وهذا مادعا مجيء سنان باشا ـ كما ذكرنا آنفاً ــ • ولكن بعد زوال سنان باشا عــن اليمن وحوالي العـــام ١٠٠٠ هـ ظهر القاسم المنصور بالله بن محمد ، وكان من أعاظم الأئمة الزيود ، إذ استطاع أن يجمع حوله رؤساء القبائل وشبوخها كلهم وأن يؤسس حكومة مستقلة في المناطق المرتفعة من اليمن حيث يقيم الزيديون بينما المناطق المجاورة لها من الجهات كلها يسكنها أهل

السنة وهم من الشوافعة ،وقد استطاع القاسم أن يمالى العثمانيين وأن يعقد معهم اتفاقاً عام ١٠٢٨ هـ يحكم بموجبه المرتفعات ،وقد جدد هذا الاتفاق من بعده ابنه محمد المؤيد وسيطر الأئمة الزيديون من أسرة القاسم على أكثر أراضي اليمن عام ١٠٤٢ هـ بسبب الخلاف الذي وقع بين الجند العثمانيين حتى إن الوالي العثماني قانصوه باشا الذي تولى أمر اليمن عام ١٠٣٩ هـ اضطر أن يلتجى إلى الإمام الحسين بن القاسم عام ١٠٤٥ هـ بعد أن حوصر في قلعته ، ثم ترك اليمن ، وفر" إلى مصر ، وهكذا انتهى الحكم العثماني في اليمن واستمرت أسرة القاسم الزيدية تدير شؤون المنطقة ، ويعتبر كثير من المؤرخين أن دولة صنعاء الزيدية شيون المست إلا امتداداً لدولة بني رس في صعدة إذ أن القاسم يعود في نسبه إلى أحد حكام دولة بني رس و

كان الأئمة الزيود يحاولون دائما مد نفوذهم إلى تهامة وكثيراً ماخضعت لهم وحكمها بعض الأمراء باسمهم ، وفي الوقت نفسه كان أهل عسير يحاولون أحياناً مد نفوذهم إلى تهامة ويجدون عوناً لهم من أهلها الذين يلتقون معهم في المذهب حيث يتبعسون مذهب أهل السنة وكلاهما أيضاً من الشوافعة ولذلك كانت تقع الحروب بين الأطراف المتنافرة وتكثر الغارات بينهم .

٢ - العجاز

حكم بنو الأخضر مكة ونجد منذ عام ٢٥١ هـ واستمر حكمهم حتى عام ٣٥٠ هـ وقد دالت دولتهم بفتنة القرامطة ، ومم من أحفاد الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب •

وجاء إلى حكم الحجاز بعد فتنة القرامطة آل موسى حيث استمروا في مكة والمدينة حتى عام ٤٥٣ هـ ، إذ خلفهم بنو هاشم « بنو فليتة » وهم من أحفاد الإمام على أيضا ، ودام حكمهم ٤٦٠ ـ ٥٩٨ هـ ، إذ جاء أمير ينبع أبو عزيز قتادة ،وحكم مكة ، وهو من نسل الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب أيضا ، ودان له القسم الغربي من بلاد اليمن ، ومن بعده حكمت أسرته الحجاز واستمر أمرها حتى عام ١٣٤٢ هـ ، وكان آخر أفرادها الشريف الحسين بن علي وابنه علي ، وكان هؤلاء يعرفون باسم الأشراف ، لا تتمائهم الذي ذكرناه .

كان أمراء الحجاز جميعاً يتبعون السلطة القويسة سسواء في بغداد أيام قوة الدولة العباسية أم في مصر أثناء حكم الدويلات وعندما وصل السلطان العثماني سليم إلى مصر فاتحاً أرسل شريف مكة من أسرة قتادة وهو الشريف « بركات » ابنه « أبو غي »إليه، فأقره السسلطان على الشرافة ، وأصبح الشرفاء يرتبطون بالدولة العثمانية عن طريق ولاتها في مصر •

كانت سلطة أشراف مكة تمتد إلى عسير ،أو يستعلي أمراؤها عليهم ، أو يختلفون عليها مع أئمة صنعاء ، أو على مناطق تهامة في

أوقات أخرى ، أو عندما يريد كل مدّ نفوذه على ما جاوره من أرض ، وأحياناً كثيرة يختلف أبناء الأسرة الواحدة على الشرافة ويقع بينهم القتال ، كما أن الأشراف كانوا يلجؤون إلى عسير لطلب النجده ، أو اللجوء إليها •

ولموقع عسير استراتيجية جغرافية هامة سواء بالنسبة لليمن أم بالنسبة إلى الحجاز فهو بمثابة جسر قوي تتحطم دونه مطامع ولاة اليمن في الحجاز ، وولاة الحجاز في اليمن ، لأن اجتياز ه إلى إحدى المنطقتين ليس بالأمر السهل بسبب كثافة سكانه،ووعبورة مسالكه، وشدة بأس أهله ، وشجاعتهم وتفانيهم في الذود عن حياض بلادهم ووقوفهم في وجه الغزاة متماسكين ببسالة وصمود وأنفه وحمية نادرة ولذلك نجد غزاة الحجاز لليمن يبتعدون عن سلوك طريق عسير متخذين طريق الساحل ممرآ آمنأ لسهولته ولأنمسالكه واضحة لاعناء فيها ولامشقةوهذا كان طريق الجراكسة والعثمانيين ولهذا أصبحت عسير في مأمن من الطامعين لوقوعها بين أطراف اليمن وأطراف الحجاز طيلة مدة ليست بالقصيرة من الزمن بالنسبة إلى تاريخ عسير السياسي ، ونجد الحروب تشتد بين معظم تلك القبائل التي يحتضنها الحجاز شمالا ونجد شرقا واليمن جنوبا بين وقت وآخر وتلجأ إلى الاستعانة بأحلافها وحلفائها على بعضها بعضافي أغلب الأدوار التي مرت بها هذه المنطقة فهي أشبه ماتكون منزوية على نفسها لاتطمع في التوسع ولاتسمح لأحد بالتدخل في شؤونها •

٣ ـ تهامــة

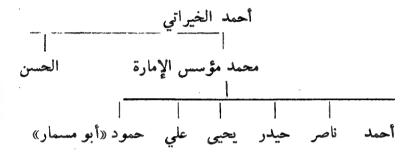
تهامة:هي المناطق الساحلية والسفوح الغربيةلجبال السروات يقطنها حكما ذكرنا ح أهل السنة وكلهم من الشوافعة تقريباً وقد خضعت هذه المنطقة لحكم أسر محلية كانت تدير شؤون إمارتها باسم الحكومات القوية التي كانت تسيطر على المنطقة سمواء انتي كانت في مصر أم التي تقوم في بلاد اليمن وأحياناً قليلة كان نفوذ أشراف مكة يصل إلى أرضهم أو يستنجدون بهم على غيرهم أو بالعكس يستعينون بغيرهم عليهم ، ومن هذه الأسر:

أسرة الحكمي: التي أسسها سليمان بن طرف الحكمي والتي دامت حتى ٣٩٣ هـ .

الأسرة السليمانية: التي أسسها سليمان بن داود الذي استولى على المنطقة بمساعدة يحيى بن الحسن الهادي • وكانت تحكم باسم آل زياد في زبيد • ثم كان نفوذ بني نجاح والصليحيين والمهديين وغيرهم من دول اليمن •

ومن الأسر الأخرى آل القطبي والذروات والخواجيون و وأخيراً جاء آل الخيرات إلى زعامة المنطقة، وقد أسس امارتهم محمد بن أحمد الخيراتي وتولى الإمارة من بعده أبناؤه ، فوقعوا في خلاف كبير مع بعضهم بعضاً منذ وفاته ، فكانوا ضد بعضهم بعضاً بجنود مرتزقة من قبائل اليام في نجران ، أو يستنجدون بإمام صنعاء ، وقد عمت الفوضى المنطقة وساد الاضطراب حتى انتشرت دعوة محمد بن عبد الوهاب بين أهل تهامة ، ووصل إلى الإمارة آنذاك حمود بن محمد وهو الذي عرف بأبي مسمار •

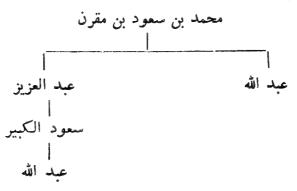
آل الخيرات: وهم فرع من أشراف مكة انتقلوا إلى المنطقة لم حصل خلاف بين الأسرة من أجل الحكم .



٤ _ نجـد

كانت نجد تحكم بواسطة أمراء محليين في كل بلدة أمير وعلى رأس كل قبيلة شيخ ، ويخضع الجميع إسمياً لسلطة العثمانيين ، وقد عمت المنطقة الفوضى وسادها النزاع بين الجميع فالحروب دائمة والخلافات قائمة واستمر ذلك الوضع حتى كانت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي وجدت العناء الكثير من قبل السكان إلى أن تقبلها حاكم بلدة الدرعية محمد بن سعود ، وعمل على نشرها فعمت وذاع صيتها وكانت لها دولة قوية هي الدولة السعودية الأولى التي أسسها محمد بن

سعود وتولى أمرها أبناؤه من بعده ، وقد امتد نفوذها إلى أرجاء الجزيرة العربية كافة باستثناء مناطق قليلة في مرتفعات اليمن وحضرموت وعمان .



ہ ــ عسبر

وكانت الكلمة الأولى في مرتفعات عسير تعود إلى أمراء من آل يزيد إلى أن نشب بينهم خلاف على الزعامة فانزوى قسم منهم في الشعف وبقي الفرع الآخر في منطقة أبها يدير شؤون قبيلته باسم أشراف الحجاز، وأحياناً ينتفض بعض الأمراء على الأشراف، ويمد سطوته إلى بعض جهات تهامة، وربما وصلت سيطرة أهل اليمن إلى مرتفعاتهم، ومن هذا الفرع تنشأ أسرة آل عايض وتحكم المنطقة كاملة، واستمر وضع عسير على هذه الحالة حتى كانت دعوة محمد بن عبد الوهاب في نجد، وكانت الدولة السعودية في الدرعية.

الفصل الثالث

العصوراكيديثة

في هذا الوقت الذي عمت فيه الفوضى في أرجاء الجزيرة العربية ظهرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الأصلاحية في نجد وبدأ نفوذها يمتد ويتسع حتى وصل إلى الحجاز ، وكان شريف مكة آنذاك أحمد بن سعيد ، وكان يكره العثمانيين بسبب واليهم «محمد أبو الذهب» الذي كان قد عزله عن شرافةمكةوولي مكانة حسين بركات ، إلا أنأحمد هذا قد قام على حسين وقتله ، وتمسك لنفسه بالشرافة فالتقى مع السعوديين على كره العثمانيين فسمح لأهل نجد بالحج عام ١١٨٣ ه ، وكانوا قبل ذلك قد منعوا بسبب الفكرة السلفية التي يحملونها والدعوة التي يتبنونها وبعد أعوام ثلاثة ثار الأشراف فيمكة على أحمد بن سعيد وعزلوه وولوامكانه الشريف سرور بن مساعد الذي استمو شريفاً على مكة ١١٨٦ ـ ١٢٠٢ ه لم يخاصم أثناء هذه المدة كلها السعوديين مما جعل دعوتهم تنتشر بين رجالات بعض القبائل ، أو يقبل عليها كثير ممن يطمع أن يكون له دور في المستقبل فإن هناك إشارات تدل على نجاح الدعوة أو أن يكون لها دور بارز مع الأيام . وتوفي سرور بن مساعد عام ١٢٠٢ ه فخلفه في الشرافة أخوه عبد المعين بن مساعد ، ولكنه لم يلبث سوى يوم واحد حتى اعتزل الأمر وتنازل لأخيه غالب بن مساعد .

جاء غالب بن مساعد شريفاً على مكة فاختلف مع السعوديين إذ خاف على أملاكه بعد أن رأى انتصار السعوديين على بني خالد في الإحساء ، فكاتب الذين لم يستسلموا منهم بعد ، ووعدهم بالنصر ، واستنجد بالعثمانيين على السعوديين ، ودارت معارك بين الطرفين استمرت مدة شرافته على مكة ١٢٠٢ – ١٢٠٠ ه. إن وجود الفوضى في المنطقة ، ورغبة الناس في التخلص منها، وقناعتهم بأن الإسلام هو العامل الوحيد لانتشار الرخاء والقضاء على الظلم والاستبداد ، واستعدادهم الفطري لقبوله ، وانتشار الدعوة التي تحمل هذا الشعار في نجد، وتوسعها والدعاية والرغبة الشخصية في ارتفاع المركز وعلو الشأن جعل الكثيرين والرغبة الشخصية في ارتفاع المركز وعلو الشأن جعل الكثيرين يقبلون هذه الدعوة ، وحسب دوافعهم يتخذون الوسيلة اللازمة ويسلكون الطريق المؤدية لأغراضهم ،

كان من الأشخاص الذين أقبلوا على الدعوة وكان لهم أثر في المنطقة محمد بن عامر وأخوه عبد الوهاب في السراة ، وعرار بن شار في بني شعبة ، وحسين بن أحمد الفلقي الذي استقر في وادي بيش عند قبائل الجعافرة إضافة إلى قبائل شهران وقحطان التي انتشرت بينهم الدعوة بشكل أوسع نتيجة اتصالهم بنجد أكثر من سكان السراة وتهامة •

في بداية عام ١٢١٥ ه وفد إلى الدرعية محمد بن عامر

وأخوه عبد الوهاب من آل المتحمي من قبيلة ربيعة ورفيدة إحدى قبائل سراة عسير ولفيف من عسير وكما يقول صاحب تاريخ المخلاف السليماني محمد بن عيسى العقيلي « طلباً للعلم ورغبة في الدعوة وفوزاً بالزلفى في أخذ مبادئها ـ التي لها الهداية والمثوبة ـ وتتيح لمريدها السيادة والمجد(١) » •

وعاد الأخوان من الدرعية ، وقد حصلا على مايبغيان ، فقد أسند إليهما عبد العزيز بن محمد بن سعود أمير الدرعية مهمة نشر الدعوة في عسير وحمايتها • وعندما وصلا بدآ يتصرفان كأمراء مما حدا بالأمير من آل يزيد أن يقف في وجههما ، وهو محمد بن أحمد بن محمد ، فاستنجدا بالدرعية ، فأرسلت لهما جيشا استطاعا به أن يقتلا محمد بن أحمد بن محمد أمير عسير من آل يزيد ، وأصبح محمد بن عامر أميراً على المنطقة منذ ذلك الوقت يزيد ، وأصبح ماحب الكلمة الأولى فيها ، أخذ يحارب خصوم الدعوة السعودية سواء في تهامة أم الحجاز ، واتخذ خصوم الدعوة السعودية سواء في تهامة أم الحجاز ، واتخذ عرف باسم « أبو نقطة » حيث كان جده يكنى بذلك لنقطة كانت على عينه فاشتهر بها هو وذريته ، وقد عمل على إخضاع قبائل رجال ألمع، ثم رحل إلى الدرعية وفي أثناء عودته توفي في الطريق وقد رجال ألمع، ثم رحل إلى الدرعية وفي أثناء عودته توفي في الطريق وقد

⁽۱) تاريخ المخلاف السليماني ص ۷۱ه القسم الثانيمن الجزء الأول /طبعة الرياض ۱۳۷۸ ــ ۱۹۵۸ .

أصابه الجدري وذلك عام ١٢١٧ هـ • فتولى أمر عسير مكانه أخوه عبد الوهاب أبو نقطة •

وقد جاء في مذكرات جعفر الحفظي أثناء كلامه عن أحداث هذه المنطقة ما مفاده أنه في عام ١١٧٧ه وفد إلى الدرعية بعض أعيان عسير ومن جملتهم محمد بن عامر وأخوه عبد الوهاب وطامي بن شعيب من آل المتحمي ومن آل الحفظي علي بن الحسين وعبد القادر بن أحمد وعبد الله بن عبد الرحمن وزين العابدين وسواهم لطلب العلم على يد علامة زمانه محمد بن عبد الوهاب •

وفي عام ١١٧٩ ه وجه أمير الدرعية محمد بن سعود مع محمد بن عامر وأخيه عبد الوهاب كتاباً إلى أعيان وعلماء عسير يدعوهم فيه إلى الدين ونبذ الشرك ، ودعوة من يليهم إلى التمسك بما كان عليه السلف الصالح ، وقد وجد الأخوان خصومة لأن الناس ظنوا أنها دعوة تملك وتغلب ، فردهما الأمير محمد بن أحمد بن محمد ، فعادا إلى الدرعية لطلب النجدة وبيان الواقع،

وكان الأمير محمد بن أحمد واسع السلطة تدين له شهران وقحطان ورجال الحجر وبنو شعبة وغامد وزهران •

وفي عام ١١٨١ ه قامت شهران بقيادة أميرها محمد بن سعد أبو سرح على آل الغمر (قبيلة بين عسير وشهران) وأجلوهم عن قراهم ، فقصدوا الأمير محمد بن أحمد في السقا ، فأرسل معهم الجبلي أبو زوعة ويحيى بن محمد وسليمان بن عايض الهراوي

وقبائل علكم وبعض بني مالك بإمرة سالم أبو حامد ، فأبعدوا شهران من قرى آل الغمر وأعادوا أصحابها إليها ، وقتلوا محمد ابن سعد أبو سرح ودمروا قريته بأعلى وادي عتود وعين الأمير محمد بن أحمد أميراً على شهران وناهس ، سالم بن حسسين الرشيدي إلا أن سعد بن عبد الله بن حمدان هجم على الأمير سالم وقتله ٠٠٠٠٠ فهرب ابنه مشيط إلى الأمير محمد بن أحمد وأخبره بما حدث فأعاده مسع كتاب إلى غشتام بن عامر أمير قحطان ورفيدة وأمره فيه أن يتوجه إلى شهران لقتل ابن حمدان وإعادة مشيط إلى مشيخة شهران وذلك في عام ١١٨٣ هـ ، وبقي مشيط أميراً على شهران وناهس ، وألزمه بحماية سوق شهران من الفتن والقتل ٠٠٠

وفي عام ١١٨٧ ه غزا الأمير محمد بن أحمد رجال الحجر وأدخلها في طاعته .

وفي عام ١١٩٠ ه غزا بني شهر فدانت له ٠

وفي عام ١١٩٣ه سار مع رجال الحجر إلى غامد وزهران فخضعت له • وفي العام نفسه توجه إلى بني شعبه في تهامة فأقرت له بالسيطرة والحكم •

وفي عام ١١٩٧ ه غزت قحطان تثليث (بلاد بيشة) وقطعوا معظم نخلها ، فتوجه الأمير محمد بن ساعد المهدي إلى الأمير محمد بن أحمد يستصرخه ، فأمر بني مالك وبني منبه وشهران

بطرد قحطان وقتالهم ، وأمر ابن عامر بالتوجه إلى تثليث لضمها إلى طاعته ٠٠٠

وفي عام ١١٩٩ هـ غزت قبائل يام مع المكرمي نجداً وعسيراً وكان كبير غزوها لعسير ظافر بن نصيب وأصله من رفيدة قحطان وكان كبير غزوها لعسير ظافر بن نصيب وأصله من رفيدة قحطان وشهران وأفسدت فيها وتوجهت إلى عسير فواجهت قوة محمد بن أحمد فانهزمت بعد ملحمة عظيمة في بلاد شهران قتل فيها أكثر اليامية وكفى الله شمرهم وكانت دعوتهم تمت إلى الاسماعيلية بصلة ٠

وفي عام ١٣٠٥ ه غزا الأمير محمد بن أحمــد بلاد سنحان ووادعــة ، وكان يقود شهران يومــذاك مشيط ، وقحطـان يتزعمها غشــّام .

وفي عام ١٢٠٧ ه خرجت بلاد غامد وزهران مع شريف مكة على عسير فالتقوا بمكان يسمى الجرف من بلاد غامد مع الجيش العسيري بقيادة غرم بن سعيد العسبلي ، ومحي بن الأصلع ، وابن مارد ، وابن جلي مرس بالقرن وشمران ، ومبارك بن سعد أمير بني عمرو ، وضامن أمير خثعم •

وأمام هذه القوة التي أضحت للأمير محمد بن أحمد من آل يزيد كان لابد من حدوث الصدام بينه وبين ابن سعود أمير الدرعية الذي رُدت دعوته أيضاً في بلاد عسير •

وفي عام ١٣٠٩ ه غزا ابن سعود بيشــه وتربة وتبالة ورنية وعد بعد أن نهت بواديه أهل هذه الجهات ٠٠٠٠٠ وفي عام ١٢١٠ه دخلت قحطان وشهران في طاعة ابن سعود، وامتنعت على الأمير محمد بن أحمد الذي توجه لإعادتها إلى طاعته وحدثت معارك طاحنة في سبيل ذلك ، وتوجه مشيط وغشام إلى الدرعية لطلب النجدة ، وكان محمد بن عامر وأخرو عبد الوهاب هناك ، وفي العام نفسه عاد من الدرعية على بن الحسين الحفظي وعبد القادر بن أحمد ،

وفي عام ١٢١١ ه وجه أمير عسير لمحاربة شهران جيشاً بقيادة مفرح بن أحمد بن عبد الله المغيمي إلا أن هذا الجيش قد لقى الهزيمة •

وفي عام ١٣١٤ هرجع محمد بن عامر وأخوه عبد الوهاب ومشيط وغشام إلى بلدانهم واجتمعوا لمحاربة الأمير محمد بسن أحمد في عسير إلا أنهم لم يتمكنوا منه ٠٠٠ فرجع محمد بن عامر وأخوه عبد الوهاب إلى الدرعية لطلب النجدة منها ٠

وفي عام ١٢١٥ ه جاءت جيوش ابن سعود مع شهران وقحطان وبيشة إلى عسير وقتلت الأمير محمد بن أحمد ودخلت المنطقة في طاعة الدرعية ، وأصبح محمد بن عامر أميراً على عسير من قبل آل سعود ، وقد رأينا كيف انتقلت الإمارة بعد ذلك إلى أخيه عبد الوهاب(١) ،

دخل عبد الوهاب في حروب مع غالب بن مساعـــد شريف

⁽۱) ص ۱٤٨ – ١٤٩ .

مكة ، ومع أمير أبي عريش^(۱) من آل الخيرات ، أما حروب في الحجاز فقد اشترك في ثلاثة عشر هجوماً على قوات غالب بن مساعد وحالفه النصر فيها جميعها ، أما حروبه في تهامة فقد طالت وتباينت، إذ كان أمير أبي عريش في البداية على بن حيدر من آل الخيرات، وعامله على صبيا (٢) عمه ناصر بن محمد ٠٠ ثم تنازل ناصر لابنه منصور ٠٠

وعندما بدأت الدعوة الوهابية تنتشر في المنطقة على يد أحمد بن حسين الفلقي خشي أمير صبيا على نفسه فاستنجد بأمير

⁽۱) أبو عريش: مدينة تقع في منطقة جيزان ، ومن أشهر مدنها ، الى الشرق منها على مسافة ٣٢ كم ، وعلى ارتفاع ٧٧ م عن سطح البحر ، يقدر عدد سكانها اليوم بخمسة عشر ألفاً ، وهيمدينة قديمة جددها في القرن السابع آل الحاكمي ، وكان رجلاً صالحاً فابتنى في المدينة عريشاً فقصده الناس لطلب العلم فعرفت باسم «أبو عريش » وبعد ذلك بقرون أصبحت مركز منطقة جيزان كلها.

⁽۲) صبيا: مدينة في منطقة جيزان ، إلى الشمال الشرقي منها وعلى مسافة ٣٢ كم ، وهي الآن بلدتان: القديمة ، وتقع على طرف الوادي المعروف باسمها ، ولقربها منه فإن خطر الفيضان يتهددها الأمر الذي جعل المسؤولين يقيمون سدا من الحجر يحميها في القسم الشرقي منها ، أما القسم الجنوبي فلا يفصله عن السيل سوى سد ترابي لا أثر كبير له ، أما الثانية وهي الجديدة فقد بناها الادريسي عام ١٣٣٨ ه شرقي الأولى بخمسة كيلو مترات ، واطلق عليها اسم الادريسية ، ولا تزال آثار قصره قائمة . وبعد ذهابه عادت للأولى اهميتها وترك الناس الجديدة .

أبى عريش الذي سار على رأس قوة إلى منطقة الجعافرة حيث يقيم أحمد بن حسين الفلقي فانتصر عليهم ، وهذا مادعا الدرعية إلى أن ترسل سرية بقيادة حزام بن عامر العجماني إلى المنطقة وعندما وصلت انضم إليها كل من عرار بــن شار في بني شعبة والفلقي إلا أن الصلح قد تم بين الفريقين علىأن يقوم آل الخيرات بالدعوة في منطقتهم ، فعاد حزام من حيث أتى ، ثم تنازل على بن حيدر عن الامارة لعمه حمود الذي عرف باسم « أبو مسمار » ، ووافق امام صنعاء الذي يرتبطون به على هذا التنازل رغم أنهم وعدوا بالدعوة إلى السلفية في منطقتهم أمام سرية حزام، ومعنى ذلك ارتباطهم بالدرعية إلا أن الواقع أنهم لايزالون مرتبطين بإمام صنعاء . وحدث خلاف بين الفلقي وأهل المنطقة الذين استنجدوا بأمير أبي عريش حمود أبي مسمار فأمدهـــم بسريــــة رفض أمير صبيا الاشتراك فيها فهزم الفلقي ، وجاء عرار بن شار لمساعدة الفلقي إلا أنه لم يحدث قتال لتوسط أمير صبيا منصور بن ناصر، وعادت سرية حمود أبي مسمار إلى أبي عريش أما عرار فقد تقدم إلى صبيا واتفق مع اميرها منصور الذي كان على خلاف مع عمه حمود أبي مسمار ، وتعاهدا على العمل للدعوة السلفية •

غضب حمود أبو مسمار على ابن أخيه منصور ، وسار بقوة انتصرت على عرار والفلقي ، وسار من طرف آخر حزام بن عامر وزبران القحطاني واتصلوا بعرار والفلقي ومنصور وكونوا جبهة واحدة ضد حمود أبي مسمار إلا أنه انتصر عليهم ٠٠٠٠

قَاستنجدوا بالدرعية وخاف أبو مسمار فاتصل بصنعاء إلا أن اتصاله قد باء بالفشل .

وجاءت أوامر الدرعية إلى عبد الوهاب بن عامر أبي نقطة مامير عسير بالتقدم إلى أبي عريش على رأس حملة ينضم إليها كل من حزام وعرار والفلقي ٠٠٠٠٠ وسارت الحملة واستسلم آل الخيرات وتعهد حمود أبو مسمار بالعمل بالدعوة، وبدأ بغزو اليسن على حين رجع عبد الوهاب إلى عسير ، وأصبح له حق الاشراف على المنطقة كاملة .

بدأ حمود أبو مسمار يطالب بانفصال عسير لما في نفسه من أطماع ، وبعث وفداً مؤلفاً من وزيره حسن بن خالد وابن أخيه أحمد بن حيدر، كما ذهب عن صبيا الأمير منصور بن ناصر ابن أخي مسمار .

وفي هذه الاثناء توفي أمير الدرعية عبد العزيز بن محمد بن معود وتولى الأمر مكانه ابنه سعود بن عبد العزيز ، فتقرر أن يذهب الوفد السابق لتقديم التعازي ، والتهنئة والمبايعة ، والتعهد بدفع الخراج والجهاد في اليمن ، والارتباط بالدرعية مباشرة مع بقاء أمور الجهاد مرتبطة بعبد الوهاب ، وحتى لا تساور الشكولة عبد الوهاب أخبره بمسيرة الوفد للتعزية والمبايعة ... وتم لحمود ما أراد وحصلت الموافقة على الارتباط المباشر بالدرعية .

وسار حمود أبو مسمار لغزو اليمن ٠٠٠٠

وفي عام ١٢٢٠ ه صدرت الأوامر من الدرعية إلى أميرصبيا

منصور بن ناصر وأمير بني شعبة عرار بن شار بالنفير مع عبد الوهاب إلى الحجاز لقتال شريف مكة ٠٠٠٠ وانطلق المقاتلون وتأخر عرار ، فوقع شيء في نفس عبد الوهاب ، فوبخ قائد حملة عرار أخاه عيسى بن شار وعاقب بني شعبة ٠٠٠٠ فوقع الخلاف بن عرار وعبد الوهاب ٠٠٠٠٠

استنجد عرار بحمود أبي مسمار واستمال بعض رجالات ألمع وتقدم نحو بلادهم واحتلها ، وطلب وفداً من الدرعية لفصل النزاع ٠٠٠٠٠

تقدم عبد الوهاب بحملة وصلت إلى درب بني شعبة واحتلته و و و و و و و و الدرعية وطلب مسير حمود ومعه عرار ، وأمير صبيا منصور ، وعبد الوهاب إلى الدرعية و و و و و و و و و و و و الخميع الأمر إلا حمود فقد تململ و و افق على ارسال ابنه و و زيره حسن بن خالد بدلا منه لانشغاله و و و

بدأت المحاكمة في الدرعية واستطاع عبد الوهاب أن يثبت بما لديه من وثائق أن عراراً يثير الفتنة وأن منصوراً وحموداً يساعدانه ••

فأبقى أمير الدرعية عراراً لديه وعفى عن الآخريس ، وتهم الاتفاق على أن يكون عمال الخراج في منطقة أبي عريش من قبل الدرعية ، كما أبقي منصور أمير صبيا مرتبطاً بالجهاد مسع عبد لوهاب وطلب منه أن يهادن حموداً •

انتصر حمود على إمام اليمن في تهامة ، ولكن بدأت تظهر يعض نواياه تجاه السعوديين ، فوصل وفد برئاسة طامي بنشعيب إلى تهامة فلم يجد عند حمود مايثير الشكوك لل أظهره لهم ، إلا أن الأمر لايمكن أن يطول إخفاؤه إذ أبدى لعمال الدرعية الذين يجمعون الخراج في منطقته بعض نواياه، فوصل ذلك إلى سعود أمير الدرعية الذي طلب من عبد الوهاب غزوه، وتأهب الطرفان والتقت القوتان في وادي بيش ، وكانت معركة حامية انتصر فيها جيش عبد الوهاب إلا أنه خسر قائده عبد الوهاب عام ١٣٧٤ ه ، وتحصن الشريف حمود في أبى عريش ،

تولى أمر عسير بعد عبد الوهاب ابن عمه طامي بن شعيب يأمر من الدرعية فعين ابن عمه الثاني محمد بن أحمد المتحمي أميراً على صبيا ومنطقة بيش ، وعندما وصل هذا الأمير إلى صبيا جاءه جيش حمود أبي مسمار محاصراً له ، وفي مطلع عام ١٢٢٥ جاء طامي بن شعيب بقوة فكت الحصار عن صبيا ونظم أمر الحامية وعاد إلى مقره في عسير ، بينما كان حمود قد انسحب إلى أبي عريش واعتصم فيها •

جاءت نجدة من اليمن إلى أبي عريش قوامها ألف مقاتسل من الإمام أحمد بن المنصور الذي كان على صلة طيبة بالشريف حمود الذي ساعده على اقصاء أبيه المنصور عن الحكم وتسلم الأمر دونه ، وصار حمود يتصرف ببعض الأمور من خلف الإمام الجديد أحمد ، ولعل مساعدة الابن جاءت لأن السعوديين كاتبوا

المنصور يحرضونه على قتال أبي مسمار ، وربما كان يحب ذلك مه ولكنه يخشى إن وقعت الحرب بينه وبين أبي مسمار الذي يحكم أجزاء واسعة من اليمن حسب رأيه بينما حسب رأيه أيضاً أن للأشراف تهامة الحجاز فقط بيخشى أن يستغل إمام الدرعية الفرصة ويهاجم اليمن • فلما أعطاه سعود بن عبد العزيز العهد بألا يتعرض لليمن بسوء وحرضه على حرب أبي مسمار فعل وانتصر عليه • وجاء أحمد أصبح أبو مسمار يعتمد عليه في حربه ضد السعوديين •

وصدر أمر من الدرعية بنزول عثمان المضايفي من الحجاز. وطامي بنشعيب من عسير إلى أبي عريش والتقى القائدان في ميناء الشقيق عام ١٢٢٥ ه، وانتهى الأمر باندحار الشريف حمود في بربر ، واستولى المهاجمون على ميناء اللحية وجيزان ، وعاد كل إلى مقره وعاد طامي بن شعيب بعد ثلاثة أشهر إلى المنطقة ودخل اللحية مرة ثانية ،

ولما ضعف مركز الشريف حمود أرسل أربعة رجال من بني، عمه ببعض الهدايا إلى سعود بن عبد العزيز بن محمد أمير الدرعية وكان يومذاك حاجاً في مكة فأظهروا له الطاعة فعفا عنهم وأيدهم وربما كان الذي توسط بالصلح يومذاك محمد بن علي الحسني أمير صعدة ،وكان الاتفاق الذي تم نتيجة هذه المصالحة تنازل الشريف حمود عن صبيا والدرب وبيش للإمام سعود ، ودفع خراج سنوي،

عن الموانىء اليمنية ، وأن يكف السعوديون عن حربه وذلك عام ١٢٢٦ هـ •

وبذلك هدأت الأحوال في المنطقة وأصبح الوضع السياسي في تهامــة كمايلي :

١ - من صبيا وشمالاً يتبع الإمام سعود وينوب عنه أمير
 عسير طامي بن شعيب •

٢ – من ضمد وجنوباً بما في ذلك جيزان تتبع الشريف
 حمود أبو مسمار •

وقعت الحرب بين إمام نجد سعود وإمام صنعاء أحمد بسن المنصور ، فاستغل الشريف حمود الفرصة ودخل الحديدة وبيت الفقيه وزبيد وضمها إلى ملكه ، بعد أن انتزعها من أملاك إمام صنعاء ، ولما كان حمود يرسل الخراج وأخماس الغنائم إلى الدرعية طلب الإمام سعود أن يرسل من قبله عمالا التحصيلها مع ماياتي من الموانىء فساورت الشكوك نفس حمود واعتقد أن سعودا يريد التدخل في شؤونه ، فلما وصل المصريون إلى الحجاز بدأ يكاتبهم ، ويحرضهم على حرب الدرعية ويعدهم بالطاعة وأنصر ، فعلمت الدرعية بذلك فأرسلت إليه تهدده ، فضرب حمود وصرح لهم بالعداوة ، ولازال محارباً لهم حتى مات عام ١٣٣٢ ه، ولعل جرأته هذه جاءت لاعتقاده أن السعوديين لن تقوم لهم قائمة بعد وضول المصريين إلى المنطقة ،

وفي أثناء هذه الأحداث شن محمد علي باشا والي مصر من قبل الدولة العثمانية هجوماً كاسحاً على الدولة السعودية عام ١٢٢٦ هـ ، إذ أرسل قوة نزلت في ميناء ينبع بقيادة ابنه الشاب طوسون، وتقدمت هذه الحملة نحو الداخل ، فهزمت أمام القوات السعودية بإمرة عبد الله بن سعود ٠٠٠ وتراجع طوسون إلى ينبع يظلب من أبيه النجدة فأمده بحملة كبيرة استطاع بعدها أن يتقدم نحو الداخل وأن يحتل المدينة المنورة بعد حصار دام شهريسن وعشرة أيام ، وبعد هذا الانتصار ، مال شريف مكة غالب بن اتجه إلى طوسون فدخل جدة ومكة المكرمة عام ١٢٢٨ ه ، ثم اتجه إلى الطائف واحتلها، وخرج منها أميرها عثمان المضايفي ملتحقاً بالقوات السعودية ، وعند دخول القوات المصرية الطائف بإمسرة الشريف غالب انضم إليها معظم القبائل حتى غامد وزهران ،

هاجمت القوات السعودية القوات المصرية وانتصرت عليها وتقدمت نحو الطائف بقيادة عثمان المضايفي الذي استطاع أن يحتل بعض أجزاء الطائف إلا أنه أسر فقبض عليه غالب بن مساعد ، وأرسله إلى تركيا حيث لقي مصرعه •

أمام هذا التقدم الذي أحرزته جيوش محمد علي ، جاء هو بنفسه فوصل جدة ، ومنها انتقل إلى مكة وكان في استقباله الشريف غانب بن مساعد ، ولكن حدث مالم يتوقع فرغم كل المساعدات التي قدمها الشريف غالب إلى المصريين وقيادته لجيوشهم واستقباله لمحمد علي ، فقد قبض عليه محمد علي وأرسله مع أولاده أسارى

الى مصر ، ونصب مكانه شريفاً على مكة ابن أخيه يحيى بن سرور • ومن مصر أرسل غالب إلى تركيا حيث بقي محتجزاً هناك حتى وافاه أجله عام ١٣٣١ ه متأثراً بمرض الطاعون، وجلس محمد على باشا في مكة يصدر الأوامر إلى جيوشه المتعددة •

طلب من الجيش الأول في المدينة الزحف نحو نجد ، وأمسر جيشه الثاني في جنوبي الطائف بالتحرك نحو تربة ، وأعطى التعليمات لجيشه الثالث في تهامة أن يسير نحو القنفذة ليحتلها بمساعدة الأسطول في البحر الأحمر ، ليؤدب قبائل عسير وزعيمها طامي ابن شعيب لمناصرتهم السعودية هذا من جهسة ومن جهة ثانيسة ليشاغلهم عن مساعدة القوات السعودية جنوبي الطائف .

وفي عام ١٢٢٩ ه توفي أمير الدرعية سعود بن عبد العزيز مما زاد النشاط لدى القوات المصرية ، ففي تهامة احتل الجيش المصري القنفذة عام ١٢٣٠ ه ولكن بعد شهرين أغار عليهم طامي ابن شعيب بأهل عسير ، فهزموهم هزيمة منكرة ، ولاذ من سلم منهم بالسفن ، واندحر الجيش إلى جدة ، وغنم طامي بن شعيب المدافع والذخيرة كلها إضافة إلى الخيل ووسائل النقل آنداك والخيام ، وكرر محمد على المحاولة واحتلت جنوده القنفذة وعاد إليها طامي ، وتكررت هزيمتها على صورة أكبر من الأولى ، وعند ذلك عدل محمد على في خطته ، ورأى أن الطريق إلى عسير إنها هو طريق السراة لاطريق تهامة ،

أسرع طامي بن شعيب لملاقاة جنود محمد علي المتقدمة من الطائف وتقابل الطرفان في وادي تربة ، وجرت معركة حامية ، وانتصر اهل عسير ، وارتد المصريون إلى الطائف، وجاءت إمدادات من الإمام في الدرعية عبد الله بن سعود لمؤازرة أهل عسير ، واصطدمت قوات نجد بإمرة تركي بن سعود مع القوات المصرية في جنوبي الطائف ، وهزمت القوات السعودية عام ١٣٣١ ه .

تقدم محمد علي على رأس حملة ، فاحتل تربة ورانية تسم ييشة ، واستقر في خميس مشيط بعد أن لقي مالقي من التعب والأعباء والهزائم في بعض المواقع ولكنه كان يتحمل ويكابد، ومن خميس مشيط من بلاد شهران تقدم إلى عسير عبر بلاد بني مالك، وسقطت بلدة طبب مركز حكم طامي بن شعيب ١٣٣١ ه ونجا طامي من المعركة وتحصن في جبل تهلل ولكنه هزم أيضاً فسار منحدراً نحو تهامة ، وفي وادي بيش اتصل بصديقه الشيخ يحيى من محسن النعمي ، واستشاره في القدوم على الشريف حمود ، وأشار عليه ألا يفعل لما بينهما من عداء سابق ، وإنما يعتصم بالجبال، فأصر على اتصاله بحمود ، وسار نحو بلاده ،

وعندما وصل خبر هزيمة عسير أمام جند محمد علي أسرع حسن بن خالد وزير الشريف حمود واحتل صبيا وطرد الحامية العسيرية منها ، وأرسل سرية تفتش عن طامي بن شعيب، فالتقت به في طريقه إلى صبيا معصديقه النعمي، فأسرته وقادته إلى صبيا، وسلمه حسن بن خالد إلى محمد علي تقرباً وزلفي ، فأرسل مقيداً إلى

مصر مع محمد علي ، ومن هناك بعث إلى استانبول فشهربه في الأسواق ثم ضربت عنقه عام ١٢٣٢ هـ •

غادر محمد علي عسير بعد أن ترك فيها حامية كبيرة ، وخضعت له اسمياً ، وسار إلى مكة ، ومنها اتجه إلى المدينة ، ولم يطل المكوث فيها حيث وصله خبر مفاده اندلاع ثورة في القاهرة ضده ، ونبأ فرار نابليون بونابرت من منفاه في جزيرة إلبا ، فأراد العودة إلى مصر ، ولكنه كان يخشى إثر عودته انقضاض أهل البلاد على جنده ، ولكن لابد من السفر ، فعمل على تمكين الوضع ودعمه ، وعاد إلى مكة المكرمة ، ومنها رجع إلى عسير ، فبلدة محايل عن طريق عقبة شعار ، فالقنفذة ومنها إلى مصر ، وفي كل هذا كان يرافقه أمير عسير طامي بن شعيب مكبلا الحديد ،

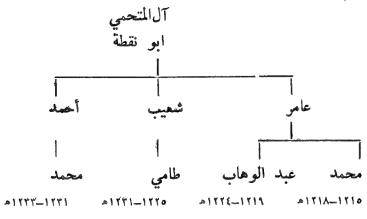
أما جبهة المدينة المنورة فقد استطاع طوسون بن محمد علي أن يصل إلى بلدة الرس" في نجد ، وأن يعقد هناك اتفاقاً مع السعوديين ••••• ويعود إلى المدينة ولما أخبر والده بالصلح وكان قد وصل إلى مصر طلب منه العودة إلى القاهرة ، فنفذ الأمر، ولكنه لم يلبث أن مات هناك بعد أشهر قليلة •

نقض محمد علي عهد ابنه طوسون فأرسل حملة جديدة بقيادة ابنه الآخر ابراهيم عام ١٣٣١ ه واستطاع بعد عامين أن يدخل الدرعية ويهدمها ويقضي على الدولة السعودية الأولى ٠

ولما تم محمد علي باشا والي مصر احتلال عسير ـ كما رأينا ـ بعد معارك دامية ومقاومة شديدة ، تمركزت قوتــه في طبب ، وعاد بعدها إلى الحجاز ، وكان قد لجأ بعض زعماء عسير إلى أطوارها الغربية ، واعتصموا فيها ، ومنهم محمد بن أحمد المتحمي وسعيد بن مسلط وعلي بن مجثل مع من انضم إليهم من بني مغيد ، وعلكم ، وبعض ربيحة ورفيدة ، وبني زيد ، وبني قيس من رجال ألمع بعد هزيمتهم في الباحة .

علم هؤلاء المعتصمون بعودة محمد علي باشا إلى الحجاز فخرجوا من مأمنهم ، وانقضوا على الحامية المصرية في طبب فقتلوا من قدروا عليه ومن نجا منهم فر إلى الحجاز وسيطر زعماء عسير على أمور بلادهم

سار محمد بن أحمد المتحمي إلى أبي عريش لينتقم لابن عمه طامي ، وتقدم نحو درب بني شعبة فالتقى هناك بقوات الشريف حمود بقيادة وزيره حسن بن خالد ، فهزم أهل عسير في ١٧ رجب عام ١٣٣١ ه •



لم ينكد محمد علي باشا ينتهي من أمسر عسير حتى وصلت فلول حاميته التي تركها في طبب إلى الحجاز ، فأثار ذلك غضبه • • وأمر بإرسال قوة كبيرة إلى عسير تؤدب قبائلها وتنتقم منزعمائها وذلك في أواخر عام ١٣٣٢ هـ •

سارت قوة محمد علي من الحجاز وقد ضمت في صفوفها تركاً ومصريين وحجازيين ، تحرك حسني باشا عن طريق بلاد غامد وزهران وانطلق نحو عسير ، وسار الشريف محمد بن عون عن طريق بيشة وبلاد شهران باتجاه عسير وتوجه جمعة باشا مسن الساحل صوب عسير عن طريق محايل ، ووصلت أصداء هذه الحملات إلى عسير فاستعد رجال القبائل وتصدوا لها على حدود رجال الحجر وبلاد ألمع ، وكانت بين الفريقين معارك طاحنة هزمت على أثرها عسير ،وتراجعت بعد أن أثخنت في جيش حسني باشا قتلا في موقعتي « مسفرة » و « الحضن » وقد استبسل فيها الطرفان ،

دخل محمد بن عون أبها وتمركز فيها بعد أن احتل بلاد نهران وبني مالك ، وزحف جمعة باشا إلى بلاد ربيعة ورفيدة ، وكان جيش حسني باشا قدلاحق أهل عسير حتى « السقا » حيث اعتصموا فيها ، ومنها لجؤوا إلى الأطوار الغربية بعد معركة كادت تأتي على الطرفين في موقعتين جرتا شمالي السقا في السوق والصعيد •

تداول زعماء عسير الرأي في الوسيلة التي يتمكنون فيهـــا من طرد الاتراك وإخراجهم من مواطنهم فقرروا المقاومة ،واستنفار القبائل جميعها من سراتها وتهامتها ، كما رأوا الاستعانة بالشريف حمود أبي مسمار خوفا من أن ينضم إلى الاتراك ويكون حربـــأ على عسير مستغلاً الظروف وراكباً طريق مصلحته ، خائفاً من أن يصل إليه هجوم الترك بعد أن أصبحوا يسيطرون على السراة ، وأصبحوا على حدود منطقة نفوذه ، فقبل أن يسير إليه الترك ينضم إليهم ويبعدهم من الهجوم عليه ٠٠٠٠٠ ورأى زعماء عسير أن الاستعانة بالشريف حمود إضعاف لقوته وانهاك للترك في وقت واحد إذ في اشتباك الطرفين مع بعضهما بعضاً مصلحة لأهل عسير الذين يحاربون الترك ، ويواجهون الشريف حمـود فالوقائع بينهما لاتكاد تتوقف عندما ينفردان في الميدان • إذ أنه رجل طموح لايقف به الأمل عند حد ، وكانوا على علم أنه ليس من السهولة إقناعه بالنجدة لعسير وليس من اليسر تلبيته طلب المدد بسرعة فهو من الذكاء لدرجة لاتخفى عليه سياسة ولاتنطلي عليه حيلة ، ولاتصلح معه مراوغة ، ومع ذلك أرسلوا إليه حامد بن سليمان وأحمد بن يحيى أبو زوعة شيخي قبيلة علكم لمحادثت وطلب النجدة منه •

قلس الشريف حمود الأمر فرأى أن يرسل وزيره حسن بن خالد الحازمي على رأس قوة من تهامةخوفاً من معبة الأمر وتفاقمه إذ وجد أن ترك الفرصة صعب وقد وافته الظروف وجاءه وجهاء

عسير يطلبونه وهو الذي يحلم في حكم عسير ، كما أن السرعة أمر فيه من الخبل الشيء الكثير ٠٠٠٠ أو نستطيع أن نقول: إن لعابه قد سال لحكم عسير وهو الذي يطمح به منذ زمن وهذا ماجعله إيجابياً إلى حد ٠٠٠٠٠ أرسل وزيره وطلب منه أن يكون يقظاً وأن يوافيه بمجريات الأمور تباعاً حدثاً وراء حدث ٠

اطمأن حسنى باشا على الأمور في عسير إذ رأى الهـــدوء مخيماً أو هكذا بدا له إذ كان أولو الأمر في مرحلة التهيئة ٠٠٠٠ أو أنه طمأن نفسه ليبتعد عن هذا الجو ، فعاد إلى الحجاز ومعـــه جمعة باشا ، وقد تركا حامية في طبب ••••• ولكنهما ما أن غادرا عسير وعلم بمسيرهما سعيد بن مسلط ومحمد بن أحمد المتحمى حتى انقضا ومن معهما على حامية طبب ففتكوا بهـا وتمركزوا مكانها ، وشاع الخبر ووصل النبأ إلـــى محمد علي باشا فأمـــر بتسيير حملة على رأسها جمعةباشا فلبي الأمر وسار ومعهالأميران منصور بن ناصر آل الخيرات وابن عمه علي بن حيدر المنافسين لعمهما الشريف حمود والمنازعين له السلطة ، إلا أن هذه الحملة لم تكد تصل إلى مشارف بلاد رجال ألمع حتى تصدت لها قبائل تهامة ورجال ألمع بقيادة حسن بن خالد فهزمتها وعادت فلولها إلى الحجاز ، فارتفعت بــذلك معنويات جيش الحازمي ، وعز" ذلك على والى الحجاز فأرسل جيشين أحدهما عن طريق الساحل ويقوده جمعة باشا والآخر عن طريق السراة بقيادة سنان آغا . شعر العسيريون في هذا الوقت بقدرتهم على الصمود وآنسوا في أنفسهم إمكانية المقاومة كما أنهم خافوا من قوةجيش أبي عريش فرغبوا الوقيعة به ، وأحس قائده حسن بن خالد بتلك الرغبة ولاحظ بوادر الشر فكتب إلى أميره الشريف حمود يستحثه بسرعة القدوم إليه بقوة تمكنه من انقاذ الموقف وتعزيز قوته في السراة لإمكانية السيطرة ، ولم يجد الشريف حمود بدا من تلبية طلب وزيره فسار على رأس قوة كبيرة وارتقى السراة عن طريق عقبة ضلع ولم ينتبه أهل عسير إلا وقد تمركز في أبها وكان هذا الخروج متفقاً مع وصول القوة التركية و

رأى العسيريون أن تصطدم القوتان قوة الترك وقوة الشريف حمود وأيهما انتصرت أصابها الضعف من القتال وانهكت قواها المعارك وبقيت أدنى من قوة عسير ٥٠٠٠ وفضلوا القتال بجانب الشريف حمود لدعوتهم إياه وشدة الترك وحملاتهم المتكررة ٥٠٠ فأظهروا للشريف حمود خلاف ما يضمرون وأخفوا عنه مايبيتون إذ أن من المصلحة تأخير الصدام معه مادام هناك عدو مشترك سار الأمير سعيد بن مسلط وحامد بن سليمان ببني معيد وعلكم إلى الشرف لصد هجوم جمعة باشا وتوجه محمد بن أحمد المتحمي بقبائل ربيعة ورفيدة وبني مالك إلى الطلحة وشعار والملاحة لصد هجوم سنان آغا ورابطت بقية القبائل في طبب ٥٠٠

تقدم جمعه باشا إلى محايل ومن هناك أرسل حملة بقيادة على بن حيدر الخيراتي لاحتلال أبي عريش ليضطر أميرها إلى الانسحاب من وجه جمعة باشا ، ويوقعه في مأزق حرج ٠٠٠٠٠ أرسل الأمير علي بن حيدر عينا أمامه لاستطلاع الأمور ومعرفة الأخبار وأوضاع القوات ولم يلبث أن عاد إليه يحمل خبر ارتقاء عمه الشريف حمود السراة وعدم بقاء سوى قوة قليلة في أبي عريش فأسرع واحتل المدينة ٠٠٠ في حين توجه جمعة باشا إلى السراة ٠٠٠ في حين توجه جمعة باشا إلى السراة ٠٠٠

ومن جهة ثانية واصل سنان آغا زحفه إلى أن احتل بلدة طبب بالرغم من المقاومة الشديدة التي لاقتها قواته إلا أن هدذا الاحتلال قد جعل رد" فعل قوي عند قبائل عسير فتحمست للقتال والتفت حول الشريف حمود وحول زعمائها المتحمي وابن مسلط وهجمت على طبب ، وكتب لها النصر ، وهزمت قوات سنان آغا وحاول النجاة بنفسه فسار ومعه الشريف منصور بن ناصر وعدد قليل من الجند فلاحقتهم حملة من بالأسمر في وادي تيه وألقت القبض عليهم جميعاً وقتلتهم ، وهكذا خرج من الساحة سنان آغا والشريف منصور ،

بعد هذا النصر وذهاب نشوته في عسير بدأ الحليفان بالأمس والمختلفان بالتخطيط العمل ليقضي كل منهما على خصمه ، فقد أراد الشريف حمود أن يتخلص من الأمراء محمد بن أحمد المتحمي وسعيد بن مسلط وعلي بن مجثل ، وقد أدرك هؤلاء الثلاثة نواياه فأرادوا أن يتخلصوا منه قبل أن يفتك بهم ، فأرسل إليه سعيد بن

مسلط بعض رجاله فقتلوه سراً يوم الاثنين ١٤ ربيع الأول ١٢٣٣ هـ في قرية الملاحة من قرى بني مالك إحدى قبائل عسير ودفن هناك أحس الوزير حسن بن خالد بالخطر يحدق به وبجنده بعد موت أميره وأدرك صعوبة الموقف ، وعلم أن زعماء عسير لم يطلبوا النجدة من الشريف حمود إلا لإيقاعه في الشرك وقطع صلته بالترك خوفاً من أية صلة تقوم بينهما ثم الوقيعة به وبقوته ٠٠٠٠ وقد استطاعوا قتله ٠٠٠٠

لجأ حسن بن خالد إلى الحيلة فأبدى أنه على خلاف مسع أميره الجديد الشريف أحمد بن الشريف حمود الذي تولى الإمارة مكان أبيه ، وذلك بعد الاتفاق معه ، وطلب منه أن يبدي ما أبدى هو مه وهذا ماهيأ الفرصة للشريف أحمد أن ينسحب برجال تهامة الذي كانوا مع أبيه نحو مدينة أبي عريش مقر حكمه ومركز نفوذه مه ومه إلا أنه وهو على مشارف المنطقة فوجىء بكمين نصبه له ابن عمه الأمير على بن حيدر ، فالقي القبض عليه ، وتفرقت قوته ، وعاد أكثرها إلى عسير ، أما هو فقد اقتيد إلى أبي عريش حيث شهر" به ، ثم نفي إلى مصر حيث كان مثواه الأخير ٠٠٠

أثرت هذه الصدمة على نفس الوزير حسن بن خالد وزادت موقفه حرجاً فوق حرج فالعسيريون يريدون الوقيعة به ، وأبو عريش منطقة نفوذه تعاديه وقد ألقت القبض على أميره ونفته ، وهي في يد خصمه ، والترك في حرب معه ، ويحاولون القضاء عليه فضاقت عليه الأرض بما رحبت ولم تعد تجدي معهسوى السياسة

فرأى من الخير له كل الخير أن يداهن أمراء عسير ، ويتودد إليهم ويلين لهم ولوكان في ذلك شيء من الذلة ويبقى معهم في حسرب خصومهم ٠٠٠٠

في هذا الوقت كان ابراهيم باشا ولد محمد علي باشا والي مصر قد استطاع دخول الدرعية وتدميرها وذلك في ٨ ذي العقدة ١٢٣٣ ه (٩ ايلول ١٨١٨) وقضى على الدولة السعودية وتفرغ بعدها الترك والمصريون ومن والاهم من قبائل الحجاز إلى عسير ٠٠٠٠ فسارت قوة كبيرة على رأسها خليل باشا والشريف محمد بن عون وسليمان سنجق ٠٠٠٠٠

سار خليل باشا عن طريق السراة وتبعته قبائل غامد وزهران ومعظم قبائل رجال الحجر وقد استطاع الوصول إلى شعار واتجه الشريف محمد بن عون عن طريق بيشة وبلاد شهران حيث انضمت إليه قبائل بيشة وشهران وقحطان وخرج سليمان سنجق من القنفذة إلى بلاد رجال ألمع فدرب بني شعبة وقد انضمت إليه قبائل تهامة ، وقد أرغمهم على هذا الانضمام ، خروج الأميرعلي بن حيدر من جهته أيضاً ، فلم يكن للقبائل إلا إظهار الخضوع وابداء الرغبة في المشاركة بالحملة على عسير و

أخافت هذه الجموع أهل عسير إلا أنه لا بد" من المقاومة ومن سلك الطريق الصعب لابد من اتمام السير فيها ٠٠٠٠ فكو" نو ا ثلاث جبهات دفاعية ٠٠٠٠ أولاها بقيادة سعيد بن مسلط ومعه حسن بن خالد لمواجهة الشريف محمد بن عون في بلاد شهران .

وثانيتهما بإمرة محمد بن أحمد المتحمي وقد تمركزت في الملاحة لمجابهة خليل باشا .

أما الثالثة فقد رابطت في أبها تحت إشراف علي بن مجثل واقتربت القوات بعضها من بعض واشتبكت في حرب ضروس بقيت سجالاً مدة عشرة أيام ، ثم تمكن خليل باشا مسن دحر الأمير محمد بن أحمد المتحمي وإلقاء القبض عليه وعلى بعض أفراد أسرته و و و و لله خليل باشا زحفه حيث تمركز في طبب ومنها انتقل إلى السقا حيث كانت المعارك هناك حامية الوطيس بين علي بن مجثل وسليمان سنجق فعزز خليل باشا قوة الاتراك بعد أن كادت الهزيمة تلحق بهم فاضطر علي بن مجثل إلى الانسحاب بعد أن كادت الهزيمة تلحق بهم فاضطر علي بن مجثل إلى الانسحاب فيها و و بها الهون يدخل إلى نفوس القوات فألقوا الحصار عليها و و و بدأ الوهن يدخل إلى نفوس القوات داخل أبها وأصبح كل منهم يريد أن يجد لنفسه طريقاً للخلاص ، والمجأ للنجاة ، ليلوذ بالفرار ، وهذا ما اضطر علي بن مجثل للاستسلام و

أما على الجبهة الثالثة فقد كتب النصر في بداية الأمر للأمير سعيد بن مسلط على الشريف محمد بن عون في معركة جرت بين الطرفين قرب أطلال جرش إلا أنوصول الأنباء إلى الجند العسيري بما حل في بقية الجبهات جعل النفوس تضعف والمعنويات تنهار وكل يفكر بما حل بالأهل والأوطان ، وبخاصة بعد مقتل القائد

حسن بن خالد في كمين نصب له في بلاد شهران يـوم الخميس ٢٣ شعبان ١٢٣٤ ه فانقلب النصر هزيمة وغدا الفرار غنيمة ورجع الأمير سعيد ومن بقي معه إلى الأطوار وأشيع أنه مات مع حسن أبن خالد .

دخلت قبائل عسير في طاعة خليل باشا على مضض في النفوس وكره في القلوب ، ونفي الأمير محمد بن أحمد المتحمي مع ولده مداوي إلى مصر وبعض أقربائه ، وتفرقت القوات التركية بعد ذاك وظنت أن الأمير قد انتهى ، فبعضها عاد إلى الحجاز مع خليل باشا الذي أخذ العهود والمواثيق من أهل عسير وقبائلها بالموالاة للدولة العثمانية ، وبعضها سار إلى اليمن ، واتجه قسم ثالث إلى أبي عريش ، وبقيت حامية في طبب ، وذلك في مطلع عام

أما المخلاف السليماني فقد تولى أمره علي بن حيدر الموالي لقوات محمد علي والذي قاتل معها وذلك بعد القاء القبض على ابن عمه أحمد بن حمود ونفيه إلى مصر •

لم يمض شهر على مغادرة خليل باشا لعسير حتى خرج الأمير سعيد بن مسلط من ملجئه بالأطوار مع من انضم إليه من بني مغيد وعلكم وبعض قبائل عسير الأخرى وانقض على حامية طبب التركية فاعتصمت داخل البلدة فألقى عليها الحصار فاستسلمت لحكمه فسلبها سلاحها وأطلق سراحها ، وشعر بعد هذا بارتفاع

المعنويات ،وزيادة الامكانات،وقد جاءته وفود القبائل معلنة الطاعة ومبدية الاذعان وذلك في مطلع عام ١٢٣٦ ه.

أمام هذا الذي حدث في عسير أسرع جيش مسن الحجاز بإمرة الوالي أحمد باشا والشريف محمد بن عون ومعهما دوسري ابن عبد الوهاب المتحمي ، إلا أن هذا الجيش لم يكد يصل إلى مشارف عسير حتى جابهه الأمير سعيد بن مسلط بقوة تكافئه فانتصرت عليه وأجبرته على العودة إلى الحجاز يجر وراءه ذيول الخيبة والذل وكان من نتيجة ذلك أن ضم الأمير سعيد إليه بلاد رجال الحجر .

أعاد أحمد باشا الكرة فأرسل حملة كبيرة وأوكل إمرتها إلى الشريف محمد بن عون ومعه أخواه راجح وهزاع ، فسارت الحملة عن طريق بلاد غامد وزهران حتى وصلت إلى حدود بلاد رجال الحجر فإذا بالأمير سعيد على رأس قوته يقف لهم بالمرصاد إلا أن كثافة جيش ابن عون قد تغلبت على شجاعة ابن مسلط فدحرته ووالت زحفها إلى طبب بقيادة هنزاع وراجح ومعهما دوسري بن عبد الوهاب ٠٠٠٠ فهزموا على بن مجثل قائد حامية طبب التي كانت مقراً لإمدادات أخيه ابن مسلط ٠

دخل الشريف محمد بن عون عسير واعتصم سعيد بن مسلط وأخوه لأمه علي بن مجثل بالأطوار ، وبايعت قبائل عسير ابن عون على مضض • وتوسط الأمير ابراهيم بن عبد الله بن عبد المتعالي أمير بني قيس من رجال ألمع بين محمد بن عون وسعيد بن مسلط

وتم الصلح بينهما وعفا ابن عون عن ابن مسلط ومن معه ٠٠٠٠

ترك ابن عون حامية في طبب بإمرة أخيه هزاع ومعهدوسري ابن عبد الوهاب المتحمي وتوجه هو إلى بلاد شهران في طريقه إلى بلاد وادي الدواسر ، و م م واستنفر قبائل عسير للقتال معه في وادي الدواسر ، و م كث في بلاد ناهس ينتظر قدوم قبائل عسير وادي الدواسر ، و م كث في بلاد ناهس ينتظر قدوم قبائل عسير وعلكم ، فانتهره الشريف وقسا عليه في التأنيب أمام الجميع فثارت ثائرة سعيد بن مسلط ومن معه فانتظر حتى تحرك الشريف محمد ابن عون بجنده فتراجع هو بقوته من عسير مسرعاً ، والتقى في طريقه بالأمير ابراهيم بن عبد الله بن عبد المتعاني في المجمعة وأخبره بما فعله الشريف محمد بن عون معه فتأثر ومن معه جداً وساءهم مافعله في حق أميرهم فبايعوه على قتال محمد بن عون والترك ،

توجه الأمير سعيد بمن معه مباشرة إلى طبب وهجم علسى حاميتها وأحرق مركز الحكم فيها • وقتل هزاع بن عون وأباد الحامية ، وكلف من يقوم بتدمير القصور التي يعتصم فيها الترك، وسار مسرعاً للقاء ابن عون •

ولما وصل الخبر إلى الشريف محمد بن عون قفل راجعاً إلى عسير وقبل وصوله إليها التقى بالأمير سعيد في وادي عتود فجرت بين الطرفين معركة طاحنة لم تشهد عسير مثلها ••••وانهزم

الشريف محمد بن عون ومعه أخوه راجح ودوسري بن عبد الوهاب المتحمي فتتبعتهم قوة الأمير سعيد فأدركت الشريف راجح ابن عون بالقرب من وادي الجنفور فقتلته ونجا كل من محمد بن عون ودوسري بن عبد الوهاب المتحمي ، وسار الأول إلى الحجاز على حين اتجه الثاني نحو نجد .

وبرز سعید بن مسلط بین وجهاء عسیر وعرف بشجاعتــه واستبساله فی القتال ، وتیامنوا به .

الفصل الرابع

الاستقلال

التفت قبائل عسير _ سراة وتهامة _ حول الأمير سعيد بن مسلط وكذا قبائل رجال الحجر وقحطان وشهران وبايعته بالإمارة لما لأسلاف من السلطة والنفوذ على هذه المنطقة في الماضي والحاضر، فهو من أسرة آل يزيد الأموية التي كانت تتولى إمرة المنطقة على مدار تاريخها تقريباً سوى فترات قصيرة يعصف بها روح الخلاف بين أفرادها على الإمارة والزعامة، أو تصل قوة كبيرة من خارج المنطقة فتبعد الأسرة عن مركزها ولكن لايلبث أن يعود الأمر إليها، وتتسلم المقاليد بزوال السبب، ولما يتمتع به شخصياً من منزلة رفيعة بين رجالات القبائل وسراة القوم •

وعندما انتشرت دعوة محمد بن عبد الوهاب في المنطقة وعمل لها محمد بن عامر أبو نقطة وأخوه عبد الوهاب كانت الإمارة كما ذكرنا _ بيد محمد بن أحمد من آل يزيد فوقف في وجه الدعوة فكان أن قتل ، بينما وقف أبناء عمومته سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل مع الدعوة وأيداها وعملا لها ، وكانا موضع ثقة ودين .

ولما كانت الإمارة في عسير تعتمد وتقوم على الدين، لأن أهلها أهل صلاح وتقوى بشكل عام، فإن الأمير يجب أن يتحلى بهذا ويتصف بالاستقامة، وسعيد من هؤلاء الرجال، إضافة إلى أنهمن الأبطال الافذاذ عرف بالشجاعة واشتهر بالبسالة وامتاز بالدين واتصف بالاستقامة فجدير بهأن يتسلم الإمارة وحري بأهل عسير أن يقدموه على أنفسهم وينصبوه أميراً ويلتفوا حوله م

أرسل الأمير سعيد بن مسلط أخاه علي بن مجثل على رأس قوة إلى بلاد سنحان ووادعة ، فأدخلها في طاعة الأمير سعيد .

ووجه ابنخاله الأمير يحيى بن مرعي بقوة إلى بيشة، فأدخلها في طاعة عسير •

وسار بنفسه على رأس قوة فدخل بلاد غامد وزهران و وأصبح الأمير سعيد بن مسلط سيد هذه البلاد كلها و وهكذا انتقل الحكم في عسير من آل المتحمي إلى آل يزيد ، وانتقل المركز من طبب إلى السقا ، وكانت عسير مرتبطة بالدرعية فأصبحت مستقلة ينتقل الحكم بين أبنائها حسب وصية الأمير القائم بالأمر، ورأي أهل الحل والعقد في البلاد، حيث كانت الدولة السعودية في غياب عن مسرح التاريخ لما أصابها بعد دخول ابراهيم باشا الدرعية و ولكن هناك صلات نسب بين آل المتحمي وآل يزيد وحده فأم عائض بن مرعي هي عائشة بنت عامر بن أحمد المتحمي ، وكذلك زوج أم أولاده عبد الله ويحيى وأحمد هي غامية بنت محمد بن أحمد المتحمي ، ولاغرابة في ذلك فالأسر غامية بنت محمد بن أحمد المتحمي ، ولاغرابة في ذلك فالأسر

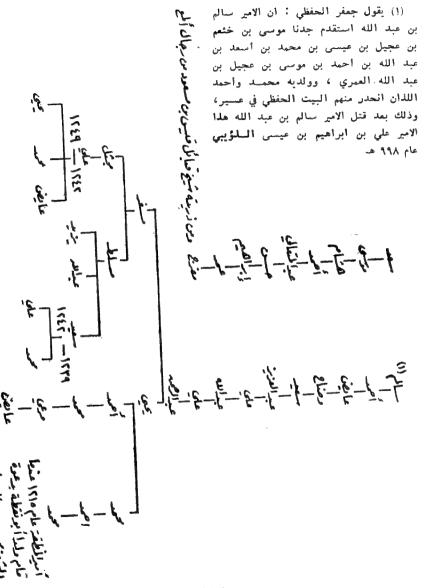
المرموقة تتزاوج فيما بينها ، بل ويحرص الآباء على زواج أبنائهم من بنات يعتقدون أنهن كفء لهم •

وتوالت الأخبار بانتصار الأمير سعيد بن مسلط على الشريف محمد بن عون ثم استقلال عسير وانضمام المناطق إليه منطقة بعد أخرى وزيادة نفوذ الأمير العسيري وتقلص النفوذ المصري والتركي فكان لهذا كله أثر سيء في نفس والي الحجاز أحمد باشا الذي خشي أن تطرق جحافل العسيريين أبواب الحرمين الشريفين مما دفع أحمد باشا أن يعرض الأمر على الباب العالي، ويبين له أهداف عسير، فجاء الرد بأن يتوجه بحملات قويسة إلى عسير ويحيط بها من كل جهة ، ولعل الشريف محمد بن عون كان له اليد الطولى في شن هذه الحملات إذ كان يحرض والي الحجاز من قبل محمد علي وهو أحمد باشا وذلك لتبرير هزيمته ، ولينتقم من الأمير سعيد ، وحتى لا يتحمل مسؤولية الهزيمة وحده من الأمير سعيد ، وحتى لا يتحمل مسؤولية الهزيمة وحده من

تقدمت قوات أحمد باشا ومعه الشريف محمد بن عون عن طريق تهامة ، ووالت زحفها على الرغم من مقاومة العسيريين واستبسالهم لدفعها عن بلادهم وردها من حيث أتت حتى التقت بقوات الأمير سعيد عند عقبة شعار ، فدحرتها واحتلت عسير ، واعتصم الأمير سعيد بالأطوار ، وبقي أحمد باشا في عسير حتى نهاية جمادى الأولى ١٢٣٩ ه ثم عاد إلى الحجاز ، وقد ترك حامية في مدينة أبها إلا أن سعيد بن مسلط خرج من معقله بمن معه وهاجم الحامية في أبها ، واشتبك معها في معركة تراجعت بعدها إلى

مقرها في المدينة واعتصمت فيها ، فضرب عليها الحصار ، ورغم ما أبدته من مقاومة إلا أنها استسلمت في النهاية ، فأخلى سبيلها وسمح لها بالعودة إلى الحجاز ٠٠٠٠ وأثناء عودتها التقت بقوة يقودها محمد بن عون فانضمت إليها وتابعت زحفها نحو عسير حيث التقت مع الأمير سعيد عند عقبة شعار ، فلحقت الهزيمة بالأمير والتجأ إلى الأطوار ، ودخل جيش محمد بن عون طبب وأبها إلا أن جيشه انسحب نتيجة الصلح الذي تم بين الطرفين في ٢٦ شعبان أن جيشه انسحب نتيجة الصلح لنهاية العام ثم نقضه محمد بسن عون ، إذ جاءته قواته عن طريق بلاد شهران ، فالتقت بقوات الأمير سعيد وانتهت المعركة بهزيمة الشريف وانتصار العسيريين ٠٠٠٠ شم سادت فترة من الهدوء بين الطرفين ، وفي مطلع عام ١٣٤٢ هـ توفي الأمير سعيد بن مسلط (يوم الثلاثاء ١١ ربيع الأول) وخلفه الأمير علي بن مجثل ،

(۱) وهو الذي خرج من الشام الى عسير بعد سقوط دولة بني أمية في الشام ، فارا من وجه العباسيين ، وثار ضد الخليفة المهدي ثالث خلفاء بني العباس ، توفي مقتولا عام ١٦٩ هـ على يد الجيش العباسي الذي تكان في طريقه الى اليمسن لاخماد الشورات هناك بقيادة عبد الله بن عبد السرحين الغامدي ، في مكان يعرف باسم « وهلة » بعد انهزام جيشه في موقع يسمى «الريعان» في بلاد غامد .



علي بن مجثتل ۱۲६۲ – ۱۲६۲ ه

تولى على بن مجثل أمر عسير بعد وفاة ابن عمه سعيد بن مسلط ، وهو أخوه لأمه عائشة أخت مرعي بن محمد ، وكان على منزلة رفيعة من الدين والورع ، فكان يقد رالعلماء الذين ساعدوه في فصل الخلافات بين الناس ، وكانت مدة إمارته غرة في تاريخ عسير ، إذ استطاع أن يحررها من السيطرة التركية ، وساعده على ذلك الخلافات التي نشأت بين أشراف مكة ، وانشغال محمد علي في حروبه التي شنها ضد الدولة العثمانية ، وحنكته السياسية ، وتجاربه الكثيرة إذ لعب دوراً بارزاً في تاريخ عسير السياسي والعسكري قبل تسلمه الأمر أيام أخيه سعيد وأيام إمارة آل المتحمي ، وكانت تلك الأيام مليئة بالحروب والمعارك التي ما تكاد ومن المرابطة في مكان إلى منازلة في آخر ،

بعد أن سيطر محمد علي باشا والي مصر على الجزيرة العربية قامت الحركات في وجهه ، فقد ثار عليه شريف مكة يحيى بن سرور عام ١٧٤٤ ه ، فاستصدر محمد علي مرسوماً بعزل الشريف يحيى وتعيين محمد بن عون مكانه شريفاً على مكة .

دخل محمد على حربًا ضد الدولة العثمانية عام ١٣٤٧ هـ،

وتقدمت جيوشه في بلاد الشام ، وانتهز سكان الحجاز الفرصة وأعلنوا الثورة عليه ، وقد أرسل محمد علي حملة إلى الحجاز انتصرت على الوالي العثماني الجديد « تركشه بيلمز » أي :الذي لا يعرف التركية •

وقام علي بن مجثل بأعمال حربية نجملها بمايلي:

غزا عام ١٣٤٦ هـ وادي بيش والقبائل المقيمة فيه من بني عبس لأنها تمردت على حكمه ، فوطد الأمن في تلك الديار وعاد إلى مقره .

غزا عام ١٢٤٣ هـ أمير أبي عريش الذي دخل صبيا وطرد الحامية العسيرية منها ، فأعاد صبيا إلى منطقة نفوذه ، وحاصر مدينة أبي عريش ، ثم وقع صلحاً مع أميرها ، وعادت الأمور إلى ما كانت عليه .

أغار عام ١٣٤٥ ه على قبيلة وادعة ، وأعادها إلى الطاعة . وتقدم إلى جهات مور عام ١٣٤٧ ه فضرب على أيـــدي العابثين وأقر السلام .

وهاجم عام ١٧٤٨ ه أمير أبي عريش علي بن حيدر الذي قاتل حامية عسير في وادي مور ، وقد جاءت مساعدات تركيةإلى أمير أبي عريش فحاصر علي بن مجثل المدينة وإن لم يستطع أن يدخلها حربا فقد دخلها صلحا ، وتم الاتفاق بين الطرفين بحيث أصبح علي بن حيدر يحكم منطقة أبي عريش بالنيابة عن أمير عسير ، ورحلت الحامية التركية في أبي عريش إلى الحجاز •

واستطاع « تركشه بيلمز » أن يفتح الحديدة ومخا وزبيد من أرض تهامة باسم أمير عسير ، وكان نتيجة ذلك أن طلبسكان الجزر في البحر الأحمر الخضوع لأمير عسير ، والأخذ بالدعـوة السلفية ، ومن هذه الجزر جزر دهلك القريبة من ساحل ارتيرية ،

وأرسل محمد علي باشا والي مصر حملــة عــام ١٣٤٩ هـ للسيطرة على عسير وتهامتها وإعادة نفوذه إليهما إلا أن أهلهاتين المنطقتين قد وقفوا في وجهه ودحروا حملته .

استأثر « تركشه بيلمز » بالمناطق التي فتحها وقام بأعمال غريبة ، فحاربه علي بن مجثل ، ودخل تلك المناطق عام ١٣٤٩ هـ، وعندما عاد إلى السقا وافته المنية •

وقد قال فيه أحد مؤرخيه «كان هذا الأمير من المخضرمين الذين أدركوا عصر اتصال آل سعود بالبلاد ، وكان متشبعاً بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، شديد الحرص عليها والتمسك بهأ وحمل الناس عليها ، وكان مع ذلك على شيء من الدهاء وحصافة الرأي ، جمع حوله العلماء وأرباب النفوذ في عسير ، وأغدق عليهم العطاء والصلات ، ولأسلاف الحفاظية القدح المعلى في إمارته ، فقد كان منهم الدعاة والوعاظ ومنهم القضاة ، فأشبهوا في ذلك قد كان منهم الدعاة والوعاظ ومنهم القضاة ، فأشبهوا في ذلك آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب بجانب آل سعود ، ، وواثياً ، اشتد به المرض لم تحمله العاطفة على أن يجعل الحكم وراثياً ،

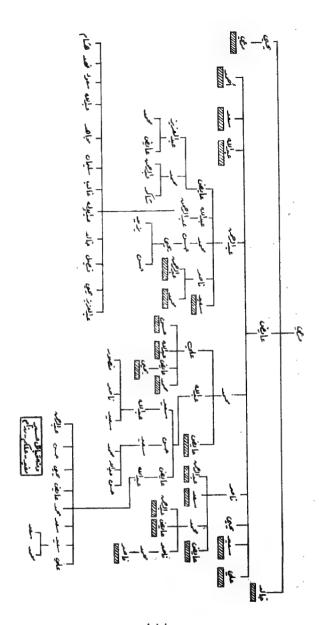
ولكنه جمع أهل الحل والعقد من عسير وأوصى بالامارة إلى عائض بن مرعي لما توسم فيه من الخصال التي تتوفر فيمن يصلح لتولي أمور المسلمين فبايعه الناس واجتمعوا على طاعته وكان ذلك في أواخر عام ١٣٤٩ هـ (١) » •

 ⁽۱) مجلة العرب التي تصدر عن دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ج ۱۱ و ۱۲ السنة التاسعة .

عَا نِفَى بن مرهي

2111 - 4711 a

يلتقي عائض بن مرعي مع سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل في الجد الخامس إضافة إلى كونهما أبناء عمته عائشة بنت محمد [وقد ولد يتيماً في ذي القعدة عام ١٢١٣ هـ وتربى يتيماً مع أخويه خالد ويحيى في بيت ابن عمه محمد بن أحمد بن محمد الذي قتله جيش الإمام محمد بن سعود عام ١٢١٦ ه عند دخوله جهات عسير لعدم دخوله في الطاعة لأنه ومن انضم إليه وقف في وجــه محمد بن عامر أبو نقطة المتحمي ، وكان الإمام محمد بن سعود قد جعله أميراً على عسير ، وكان الأمير محمد بن أحمد قد بيت الإيقاع بالأمير محمد بن عامر وحشد له من والاه من قبائل عسير إِلا أن الأمير محمد بن عامر قد أدرك نواياه فتوجه إلى الدرعية وطلب من الإمام محمد بن سعود قوة تعزز القبائل الموالية لـــه للقضاء على الأمير محمد بن أحمد ، واستولى الجيش على عسير، وقتل الأمير محمد بن أحمد ، وانتقل الأمير عائض وأخويه إلى كفالة الأمير سعيد بن مسلط بن مسفر بن عبد الرحمن وهو أخ الأمير علي بن مجثل لأمه وابن عمه ، ويجتمعون مـــع عائض بن



مرعي في جده الخامس ، وقد تولى الإمارة بالوصاية من علي بن مجثل (١)] •

أما ما يقوله الريحاني وحافظ وهبه من أن عائض بن مرعي كان راعياً، فهذا لايتفق مع الواقع في شيء فهو أولا "سليل الأمراء ، وتربى في كنف الامارة ، وإضافة إلى هذا كان قائد جند مشهور فقد سار على رأس جيش لنجدة على بن مجثل وهو في المخلف السليماني يقاتل أمير أبي عريش ، ثم نرى أن أهل الحل والعقد يبايعون عائضاً قبيل وفاة ابن مجثل وهل يبايع علية القوم راعياً ؟

يقول الزركلي: «كان عائض في مبدأ أمره من أصحاب الإبل واشتهر بالشجاعة ، ولما وصلت الحملة المصرية إلى عسير عام ١٢٤٩ ه استبسل في صدها ، وكانت الإمارة فيها لابن عمه علي بن مجثل فجعل له الإمارة من بعده وتوفي ابن مجثل في شوال من السنة نفسها » •

وقال النعمي «كان عائض من أنبل رجال عسير ذكاء وشجاعة ، وبايعه العسيريون بالإمارة في شهر شوال ١٧٤٩ ه على أثر وفاة ابن مجثل وبقي فيها حتى عام ١٢٧٣ ه حيث توفي وخلفه ابنه محمد » •

وكان أول أمر واجه الأمير الجديد عائض به مرعي انتقاض أمير أبي عريش علي بن حيدر عليه فأرسل له وفداً لأخذ البيعة

⁽١) المصدر السابق.

وفشل الوفد ، إذ أجاب على بن حيدر أن العلاقة مسع عسير قد انتهت بوفاة على بن مجثل ، فسار إليه عائض بن مرعي على رأس جيش قوي إلا أنه لم يستطع دخول أبي عريش على الرغم من وجود حامية عسيرية في إحدى قلاعها ، فاضطر إلى العودة إلى مقره بعد حصار طويل ، ثم انسحبت الحامية العسيرية من أبي عريش ،

وفي شهر صفر عام ١٢٥٠ ه توجه الترك إلى بلاد عسيربقوة كبيرة على رأسها شريف مكة محمد بن عون وكان مجيئهم عن طريق بيشة ، فخرج إليهم الأمير عائض بن مرعي ، والتقى الطرفان بمعركة حامية في وادي عتود من بلاد شهران ، فهزم أهل عسير ودخل الترك أبها وعسكر بعضهم في طبب ، إلا أن بقاءهم لم يطل إذ أعاد الأمير عائض عليهم الكرة وأخرجهم من بلاده •

وعقد محمد علي بأشا حاكم مصر أتفاقا بين إمام اليمين وشريف أبيعريش لقتال قبائل عسير المتمردة على نفوذه المستعصية على حكمه ، والممتنعة عليه حصونها ، والتي تؤيد الدولة السعودية في نجد وذلك في منتصف عام ١٢٥٠٠ ه .

وفي أواخر عام ١٢٥٠ ه شن الجميع هجوماً عاماً على عسير، فقد جاؤوا من كل جهة ، جاؤوا عن طريق بالاد شهران وعن طريق الحجاز وعن طريق تهامة ومن الجنوب، ومالأتهم بعض القبائل وخاف بعضها الآخر واستطاع الأحلاف أن يدخلوا عسير، إلا أن الأمير عائض بقيرابط الجأش ثابت الجنان يغير على العدو الغارة إثر الغارة حتى استطاع إخراجهم

فترت الحملات على عسير بعد هذا الذي حدث عام ١٢٥١ه فتفرغ الأمير عائض للقيام ببعض الإصلاحات وحفر الآبار ،وفرغ بعض الطلبة للتفقه في الدين في المدرسة الحفظية في بلدة رجال وخصص لهم المرتبات •

وغزا بيشة عام ١٢٥٢ هـ ، وأرسل سرية إلى درب بني شعبة لحمايتها من أوباش القبائل الذين عاثوا هناك الفساد .

وسار عام ١٢٥٣ ه إلى بلاد غامد وزهران وأدخلهما في طاعته ، إلا أن أحمد باشا مندوب محمد علي في الحجاز استرجعهما بعد مدة ، وعندما أراد الأمير عائض العودة إليهما هزم جيشه هزيمة قاسية .

انسحب المصريون من الجزيرة العربية عام ١٢٥٥ هـ بعـــد هزيمتهم في بلاد الشام وخروجهم منها وبناء على اتفاق لندن ،وعاد الأمراء في الجزيرة العربية يوسعون دائرة نفوذهم •

وفي عام ١٢٥٦ ه غزا الأمير محمد بن مفرح نائباً عن الأمير عائض تهامة اليمن بالاتفاق مع الأمير حسين بن علي بن حيدر أمير أبي عريش وذلك بغية اخراج الترك منها •

وفي العام نفسه غزا الأمير حسين بن علي بن حيدر مضا بالاتفاق مع الأمير عائض، كذلك قاتل الأمير محمد بن مفرح بلاد بني عمرو في السراة • وخرج مسن الحجاز أحمد باشا سرعسكر الحجاز من قبل محمد علي وعاد محمد بن عون إلى مكة وعقد معاهدة هدنة بينه وبين الأمير عائض ، عاد بموجبها أسرى عسير الذين كانوا في الحجاز ، وبانسحاب المصريين من الجزيرة ، والهدنة مع الحجاز ، وانشغال الدولة العثمانية ،كل هذا فسح المجال للأمير عائض لأن يوطد شؤون إمارته ويتفرغ لإرساء قواعدها •

قام ببعض الغزوات لبعض القبائل التي أرادث معادات. فأعادها للطاعة •

وفي عام ١٢٦٠ ه استغل ضعف شريف مكة محمد بن عون فأغار على بيشة ، وبلاد شهران وبالقرن ، وبلاد غامد ، وأدخلهم في طاعته .

وقاتل عام ١٢٦٣ هـ بني جماعة الذين يقيمون في باقم ، وهي غربي ظهران الجنوب ، وتقع الآن ضمن حدود اليمن • وغزا عام ١٢٦٤ هـ اليمــن •

اتفق مع شريف مكة على تعيين الحدود بين الامارتين وقـــد

أناب عنه الأمير محمد بن مفرح ، ومثل شريف مكة محمد بنعون ابنه عبد الله وذلك عام ١٢٦٥ هـ •

وغزا عام ١٢٦٦ هـ آل حدرة الذين يقيمون غربي درب بني شعبة قريباً من ساحل البحر الأحمر •

وفي عام ١٣٦٧ ه ترك الاتفاق السابق بينه وبين شريف مكة بشأن الحدود وأغار على بيشةوبلاد بالقرن، كما غزا في العام نفسه وادي تثليث •

وفي عام ١٢٦٨ ه بعث سرية إلى بلاد غامد وزهران بقيادة ابنه محمد فانتصرت عليهم ثم عاد فأرسل حملة أخرى في العمام التالي بإمرة أشيه يحيى بن مرعي •

وفي عام ١٣٦٨ هـ سيتر عباس الأول والي مصر عشرة آلأف جندي نظامي إلى جبال عسير فهزمت هزيمة منكرة أمام الأمير عائض بن مرعي •

وفي عام ١٣٦٩ ه حصلت عدة وقائع بين عائض بن مرعي والجيوش المصرية انتصر فيها كلها أهل عسير بقيادة أميرهم ، الذي استأصل خصومه قتلا وأسرأ ، فأرسل الأمير عائض بشارة إلى إمام نجد فيصل بن تركي مع هدية وقصيدة لقاضيهم علي بن الحسين الحفظي التي يقول فيها :

قفي فانظري يا أم عبد معادِكُا

يشبيب لها الولدان من كل أمرد

- ۱۹۳ _ شبه الجزيرة م - ۱۳

وإن كنت عنها في البعاد فسائلي

ففيها أسود من مغيد^(١) بمرصد

وفيها ليوث الأزد (٢) من كل شيعة ٍ

يصالون نار الحرب حرباً لمعتد

وفيها رئيس عايض (٣) حول وجهه

حياض المنايا أصدرت كل مورد

وفي ربوة الشعبين (٤) داهية أتت

عليهم فما أغنى دفاع بعسجد

ويوم المقضى (٥) قد تقضت أمورهم

بفاقرة الظهر التي لم تضمد

ومن قبل ذا يوم العزيزة^(٦) عزهم

ذليل بضرب المشرفي المجسرد

كتائب منها صرعبوا ثم غودروا

بأشلانهم قاني الدماء المكند

⁽١) بنو مفيد : احدى قبائل عسير وأبرزها وحليفة آل يريد

⁽٢) الأزد: قبائل عربية معروفة ينتمي إليها أهل عسير .

⁽٣) عايض : هو عائض بن مرعى أمير عسير آنذاك .

⁽٤) الشعبين : مركز رجال المع وقد جرت فيها معركة يشير إليها الشاعر .

⁽٥) المقضى: اسم معركة جرت بين الطرفين المتقاتلين.

⁽٦) العزيزة : بلدة غربي أبها ، وهي بلدة آل لاحق أبو سراح الزيدانين وقد كانوا وزراء آل عائض .

بأيدي رجال من شنوءة(١) جدهم

وفي عام ١٢٦٩ه بدأت الأوبئة تصل إلى عسير بعدان انتشرت كثيراً في الحجاز، ومنها الطاعون الذي فتك بالكثير من الناس، وقد امتد أثر هذا المرض حتى عام ١٢٧٣ هـ وأصاب الأمير عائض بن مرعي وكانت منيته به وذلك يوم الأربعاء ٨ رجب ١٢٧٣ه و وبهذا امتد حكمه مايقرب من ٢٤ سنة ترك بعده إمارة واسعة تمتد من بلاد زهران في الشمال حتى ظهران الجنوب قرب نجران في الجنوب ومن وادي تثليث في الشرق حتى البحر الأحمر في الغرب، وقد امتدت إلى تهامة اليمن حتى مخا ٠

صفاته: «إن الأمير عائض بن مرعي كان على قسط وافر من رجاحة العقل وسجاحة الخلق وكان محسناً محباً للعلماء ومقدراً لهم ، فقد ذكر في حوادث عام ١٢٥٩ أن العلامة الشيخزين العابدين الحفظي كتب إلى الأمير المشار إليه أن ينزل إلى تهامة لمواجهته ، فامتثل ذلك ونزل إلى أول وادي ثاه من بلاد بني زيد ، واجتمع بالشيخ المشار إليه فبذل له وصايا ونصائح ومسائل هي لثبات الدين والملك من أعظم الوسائل فتلقاها بالرضى والقبول(٢) » .

⁽١) شنوءة : لقب الازد الذين يقيمون في سراة عسير .

⁽٢) في ربوع عسير محمد عمر رفيع ص٢٣٦ طبعة ١٣٧٣ هـ ١٩٥٥ م دار المهد الجديد للطباعة بالقاهرة .

وهذه صفات لاتتوفر إلا لدى قليل من الأمراء ، وهي علامة التواضع والتقوى « نعم الأمراء على أبواب العلماء (١) » •

قال صاحب «الدرالثنين»: «وكان فيما أوصى بهفيما بلغني بالإمارة للأمير عائض بن مرعي لما يعلم فيه من الحزم والبسالة ، وحسن السياسة والنبالة ، فالتفت إلى ضبط المملكة بجأش ثابت، وقدم أرسخ من الجبال الثوابت ، يخضع لسنظوته كل معاند ، وتزهو باسمه الصنكوك في جميع المقاصد ، وهذا كله بعد ما وقع بينة وبين الأتراك من الملاحم الكبار التي تسك المسامع وتعمي بينة وبين الأتراك من الملاحم الكبار التي تسك المسامع وتعمي وأذاق أولئك في حروبهم معه السم الزغاف ، ورقم السيف على صفحات المملكة بالدم المهراق ،

وما تقـــر سيوف في ممالكها 🔻 حتى تقلقل دهراً منه في القلل

والمعروف أنه سار على نهج سلفه الأمير علي بن مجثل في الذود عن حياض الدعوة ، والولاء لآل سعود الذين تقلص ظل نفوذهم في كثير من أنحاء الجزيرة العربية بدليل أنه تولى الحكم في أواخر عام ١٧٤٩ ه في الوقت الذي قتل فيه الإمام تركي بسن عبد الله آل سعود رحمه الله تعالى وفي الفترة التي انقطعت فيها الصلة بين نجد وعسير وكثرت الاضطرابات التي واكبت تقلد الإمام فيصل بن تركي زمام الحكم في نجد ، ومع ذلك فإن الأمير عائض بن مرعي يعتبر حكمه امتداداً لحكم آل سعود في اقليم عسير وإن كان مادون من تاريخ حكمه لايمدنا إلا بذكر بعض

⁽١) المرجع السابق .

الحوادث المفككة الحلقات، فهناك الكثير من الحوادث والوقائع التي سبعتها مين عاصروا أواخر حكمه لم أجد لها ذكراً فيما دو"ن من كتب عن تاريخ عسير وحكامهم ، من ذلك ما سمعته من بعض كبار السن الذين أدركوا حكمه وكان هذا منذ ستين عاماً أذالأمير عائض بن مرعى كان يعزل شيئاً من خمس الغنائـم التي يحصل عليها في غزواته، وشيئاً من الزكاة خصوصاً الابل ويجعل لها رعاة يتنقلون بها في مواقع الغيث في انتظار من تستتب له الأمور مــن آل سعود ليدفعها إليه ، وظلت مدة طويلة بأيدي رعاتها ، وعندما انتصر على الأتراك والمصريين في حملاتهم المتكررة على عسير ، وحصل عندهكثيرًا من الأسلحة والذخيرة والخيل والذهب،أرسل جزءًا كبيرًا من الأسلحة والذخيرة والذهب وبعض الجياد مـــع الإبل إلى الإمام فيصل بن تركى بعد ما استعاد الكثير من مملكة آبائه وأجداده ، وعهد إلى زيد بن شفلوت شيخ باديــة عبيـــدة بإيصالها إليه في الرياض، وبعث معه بشخص من آل الحفظى يحمل رسالة منه إلى الإمام فيصل يزف إليه بشرى الانتصارات التي أحرزها ومعها قصيدة لعلي بن الحسين الحفظي يعدد فيها المواقع التي دارت فيها المعارك والتي كان النصر فيها حليف الأمير عائض ابن مرعي وجنوده(۱) » ومعنى هذا أنه لم يكن حريصاً على الدنيا، ويحرص على البيعة ٠٠٠

 ⁽۱) مجلة العرب التي تصدر عن دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر بالرباض ج ۱۱ و ۱۲ السنة التاسعة جماديان ۱۳۹۵ هـ

أسرته: أمه عائشة بنت عامر بن أحمد المتحمي أخت محمد ابن عامر ابو نقطة فهي من أسرة الوجاهة في قبيلة ربيعة ورفيدة وإضافة إلى أبيه الذي تحدثنا عن أصالته إذ أنه سليل الدولة الأموية

وقد خلف من الأولاد :

علياً ١٢٤٥ هـ .

محمداً ١٢٥١ ه.

سعيداً ١٢٥٦ه.

عبد الرحمن ١٢٦٥ هـ .

عائشة وقد تزوجها فائز بنغرم العسبلي وأنجبت له ابنة اسماها صالحة تزوجها الشريف عبد الله بن محمد بن عون وهي أم أولاده •

صالحة

وأم هؤلاء جميعا سر"ا بنت مشيط بن سالم أحد وجهاء بني شهران القبيلة العربية المعروفة .

كما ولد له سعد ١٢٥٣ هـ ٠

ناصر ۱۲۵۸ ه. •

وأمهما زهرا بنت مغشر بن عرار •

كما رزق عبد الله ١٢٥٨ هـ ٠

یحیی ۱۲۹۳ هـ ٠

أحمد ١٢٦٨ه.

وأمهم غامية بنت محمد بن أحمد المتحمي آخر امراء آل المتحمي • - ١٩٨ –

وبهذا يكون قد تزوج ثلاثة نساء أنجبن كلهن ، وكان له تسعة أولاد ذكوراً وبنتان •

اصلاحاته:

١ اختط عدة حصون منها : حصن شدا بمدينة أبها ،
 وحصون السقا ، وريدة ، وحرملة وكان يطلق على الحصون
 أسماء قبائل لأغراض سياسية واقتصادية تدل على ذكاء متقد .

٢ – أقام عده مساجد منها: في السقا، وريدة، وأبها •
 ٣ – أصلح عدة مناطق زراعية، وأنشأ البساتين في وادي أبها، ومن المزارع ما هو في وادي بيش •

٤ الفقه والتوحيد والتفسير والحديث .

٥ حفر الآبار في وادي أبها ، والفتيحة ، والسقا ، وريدة ، وحرملة ، ومسلية .

المستم القاع قلعة وجعلها رباطاً للقاتلة بيشة و كما اختط أخرى في جاش من وادي تثليث لمقاتلة قبائل قحطان وتثليث و وثالثة في البرك ، ورابعة في بلاد شريف لرباط قحطان تستنفر أيام الحرب ، وخامسة في تبالة احدى أودية بيشة و ولا تزال آثارها باقية و

للفرير محترين جايفي

2 17 A9 - 17 YT

رغم أن علياً كان أكبر أولاد الأمير عايض إلا أنه كان ينوي أن يبايع سعداً ثالث أبنائه إلا أن محمداً كان أقواهم وبيده شيء من السلطة حيث قاد الحملات ٠٠٠ ولم تكن الرغبة هي وحدها الكافية للبيعة وأخذ الطاعة وإنما لابد من موافقة أهل الحل والعقد ٠٠٠٠ وقد دعا الأمير عائض في أواخر حياته كبار القوم وشيوخ القبائل وأهل الرأي لاختيار الأمير من بعده ٠٠٠٠ ويظهر أنهم خافوا محمداً ، أو خشوا سطوته ، كما حذروا أن يطلب الأمر وتنقسم البلاد في وقت هم بأشد الحاجة إلى الاتفاق ووحدة الكلمة لذلك فقد رشجوا للأمير ابنه محمداً ، وماكان له إلا أن يستجيب خاصة وأنه يشعر بدنو أجله واقتراب منيته ، وكان محمد آنذاك يرابط بجيش على حدود الطائف ، وعندما عاد بلغه ماكان من أمر البيعة ،

توفي الأمير عائض يوم الأربعاء ٨ رجب ١٢٧٣ هـ وأصبح ابنه محمد أميراً على عسير منذ اليوم التالي وقد أخذ البيعة من إخوته وأقربائه الأدنيين وشيوخ القبائل وعلية القوم ٠٠٠٠وكانت مدة حكم والده الأمير عائض بن مرعي قد وطدت له دعائم الملك

ووسعيت له رقعته ، فيعمت في عهده عسير بالخير وعمها الرخساء والأمن والاستقرار .

كانت الدولة العثمانية أيام الأمير محمد مشعولة بمشكلاتها الخاصة وماجرته حروب محمد علي وماأفسدته الحركات الداخلية، وقد وجهت همها للقضاء عليه فجردت الحملة تلو الأخرى إلا أنها كلها باءت بالفشل وتحطمت أمام قوة عسير •

وقد استعانت الخديوية والدولة العثمانية بالأمير فيصل بن تركي ضد ثورة عيسير ١٨٦٣ (١٢٨٠ ه) ، وأرسل الخديوي إلى فيصل كتاباً ذكر فيه « أنه لايخفي على حضرتكم ماحل بجهة اليمن من تمرد بعض الأشقياء ٠٠٠٠٠ وأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، وتلك الجهة وإن لم تكن تحت حكومة هذا الطرف (يعني الخديوية) لكن بالنظر لوصلة الارتباط بالدولة العليــة يجب الاجتهاد من كل طرف بقدر مايمكن في تأديب من تعدي ٠٠ والمهم الضروري سيرسل من هذا الطرف مأمور مخصوص وعساكر تقمع هـــــذه الفتنة ٠٠٠٠ ومن القديم مؤكـــد ومثبوت انتساب حضرتكم لمحبة الجهة المصرية والقيام بقضاء مايلزم لهيا من الاشغال ٠٠٠٠ وغاية المأمول أن مايلزم إلى العساكر المرسلة من هذا الطرف من المساعدات منجهة جنابكم سواء كان في تسهيل أمورهم أو قضاء لوازمهم يشبير اجراؤه بوقته ومايبرر من هممكم في هذا المقصد المستحسن (١) • • • • » ويبدو أن فيصل لم يقدم أي مساعدات تذكر لأنه كان على علاقة طيبة مع قبائل عسير ومع زعماء المنطقة من آل عائض ، حتى أنه في أحيان كثيرة كان حكام عسير يرسلون إلى حكام نجد بعض غنائمهم دليلاً على الولاء والطاعة الممتدة عليهم منذ زمن الإمام عبد العزيز بن محمد بسن سعود •

وقدجاءت الحملة المتجهة إلى عسير بالفعل إلا أن الحاميات العسيرية المرابطة في القاع ببلاد بيشة قد تصدت لها وأبادتها .

وفي عام ١٢٨٠ ه تقدم الأمير محمد بجيش نحو مدينة أبي عريش بناء على طلب أهلها الذين ضاقوا ذرعاً بالفتن والخلافات القائمة بين أفراد الأسرة الحاكمة ، كما ضاق الأمير محمد ذرعا بكثرة مراوغة الشريف الحسن بن محمد وبعدم التزامه بعهوده ومواثيقه فقرر ابعاده نهائياً ، وماوصل الأمير محمد إلى مشارف المدينة حتى استقبله أهلها ودخل المدينة دون قتال أما أميرها الحسن بن محمد فقد لاذ بقصره معتصماً فيه معمن معه ثم انسحب في الليل هارباً ، وهكذا ضم المخلاف السليماني إلى عسير ٠٠٠٠

وفي عام ١٢٨١ه جرد العثمانيون في تهامة حملة ضدالحاميات العسيرية في المخلاف السليماني إلا أنهاد حرت أمام الحامية العسيرية بإمرة محمد بن مفرح • كما جاءت حملة أخرى من الشمال بقيادة شريف مكة عبد الله بن محمد بن عون لاحتلال بلاد غامد وزهران

⁽١) الدولة السعودية الثانية _ عبد الفتاح أبو علية ص ١٥٣.

وبيشة إلا أنها فشلت أيضاً أمام مقاومة الأمير سعيد بن عائض وكانت معركة فاصلة تراجع فيها الأتراك وساند الأمير سعيد القوة في بيشة المرابطة في القاع بإمرة أحمد بن ضبعان الزيداني .

وبعد أن توفي الإمام فيصل بن تركي اختلف أبناؤه من بعده وقام بعضهم على الآخر •••• وفي عام ١٢٨٣ه خرج سعود بــن فيصل مغاضباً لأخيه عبد الله وتوجه إلى الأمير محمد بن عائض الذي بلغ من القوة مبلغاً كبيراً حتى عرف باسم « محمد الفاتح» فقدم عليه ، وأقام عنده مدة طالباً منه النصر ضد أخيه ، ولما علم عبد الله بن فيصل باستقرار أخيه سعود عنـــد ابن عائض أرسل إليه بهدية مع الشيخ حسين بن حمد بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ سعد بن ربيعة وكتب إليه بأن خروج أخيه من الرياض من غير سبب يوجب ذلك ، وأن مراده قطيعة الرحم والشقاق ، وكتب إلى أخيه سعود يأمره بالقدوم عليه ، وأنه يعطيه ماطلب • • • • فأبي سعود أن يرجع • • • • وقد زود الأمير محمد الشيخين بهدية قيمة إلى الأمير عبد الله بن فيصل ورسالة يخبره فيها أن سعود قد طلب المساعدة إلا أننا لم نوافقه ، وأشرنا عليـــه بالرجوع فلم يوافق • وهذا يدل على مقدار قوة ابن عائض ، وذكائمه في عدم دخوله في الخلافات التي نشأت بين أبناء فيصل .

ولما تحقق للأمير سعود بن فيصل أنه لن يحصل على مساعدة من ابن عائض خرج من عنده وتوجه إلى نجران حيث حصل هناك على مايريد من مساعدة •

كان محمد رجل حرب أكثر منه رجل علم وسياسة ، ورچل الحرب تشتد بطشته إن وجد فتنة أو لاحظ فساداً أو فوضى • • • أما العلماء الذين رؤوا فرقاً بين أبيه الذي يقرب العلماء ويأخبذ برأيهم ونصائحهم ، وبينه هو الذي يريد أن يعتمد على قوة السلاح وسواعد الأبطال ، فصرخوا في وجهه أن انفراج الزاوية بين الخير والشر يتسع إن استمر في خطته وسيره ، وأن المعروف يذوي تدريجياً ، وثار رجال ألمع عام ١٢٨٥ هـ إلا أنه انتصرعليهم بعد أن أرسل إليهم وفداً برئاسة لاحق بن أحمد الزيداني للتوسط إلا أن الوفد قد فشل في مهمته •

وفي عام ١٢٨٨ ه كانت قوة الأمير محمد بن عائض قدبلغت أوجها، وأطاعه أهل المنطقة جميعاً، والمخلاف السليماني، وتهامة بأسرها وأصبحت قوته مرهوبة الجانب، وتحسب له الدولة ألف حساب لاسيما وأن حملاتها كانت تتحطم أمام قوة عسير ولم تجد الطرق السلمية كما لم تجد الطرق العسكرية لذلك قررت غزوه مهسا كلف الأمر، وفي الوقت نفسه فقد كانت الدولة العثمانية تريد أن تستعيد نفوذها في المناطق الخارجة عنها وأن تقوي مركزها بعدما أصابها من الضعف ٠٠٠٠ لهذا كله أعدت عسدة حملات لهسذه الغايسة ٠٠٠٠

ترامت الأخبار إلى الأمير مجمد من واليه على مخا، وزبيد والحديدة والمخلاف السليماني محمد بن مفرح أن الأتراك قد

زحفوا على جهته بقوات كثيفة وانضم إليها مرتزقة من اليمن ٠٠٠ ثم توالت عليه الأنباء أن الترك قد حاصروا ابن مفرح وحاميت بِغَية اجلائهم عن الحديدة بعد أن أجلوهم عن المخا ٠٠٠٠ فتبرجه الأمير بقوة حتى وصل إلى الحديدة وفك الحصار عن حاميتها وأخرج الترك من المخا وتتبع تراجعهم ، وعزم على مواصلة الزحف لاحتلال صنعاء وطردهم من اليمن بأسره ، إلا أنه ما لبث وهو يواصل زحفه أن جاءته الأخبار باحتــــلال بلاد غامــــد وزهران وبيشة ، وطرد حاميات عسير منها ومواصلة زحفها إلى أبها فتراجع إلى المخا ومنها إلى الحديدة •• ونسط الاتراك في ملاحقته بعد معارك دامية ذهب الكثير فيها منتن الطرفين قتلا مممم وبقيت الترك تحتل كل بلد يرتحل عنه الأمير محمد فدبت الفوضى في صفوف الجيش العسيري وخرج الأمر من يد الأمير محمد ٠٠٠ ويظهر أن الجند أثناء هذا قد ارتكبوا أفعال المنتصرين أو عملوا أعمال المنهزمين الناقمين، وهذا ما كانله أسوأ الأثر على سمعة الأمير خاصة والعسيريين عامة ، خاصـة وأفهم كانوا يسمون عند الدولة العثمانية بالعصاة ٠٠٠٠ هذا من جانب ، ومن جانب آخر فقد نسب للعسيريين ما فعلة الترك عند دخولهم المناطق ••••

وما كاد يصل إلى أطراف أبها حتى فوجى، بطرد أخيه سعيد ابن عائض من بالاد غامد وزهران وبيشة ، وطرد الحامية المتمركزة في القاع في بلاد بيشة بإمرة أحمد بن ضبعان الزيداني ٠٠٠٠ ثم

احتلال بلاد شهران من قبل جيش يقوده شريف مكة والسير للهجوم على أبها من جهة الشرق ٠٠٠

وقد نزلت حملة أخرى في القنفذة بقيادة محمد رديف باشا للتوجه إلى عسير والتمركز في شعار ، وجاءت قوة رابعة نزلت في الشقيق على أن يكون طريقها إلى عسير والتمركز في جبل تهلل ، وطرد والي تهامة من قبل الأمير محمد بن عائض لاحق بن أحمد أبو سراح الزيداني ٠٠٠٠

وصلت حملة القنفذة في ٢٠ شوال إلى المدينة وتقدمت إلى حلي بن يعقوب ٢٠٠٠ واستعد رجال ألمع لمقاومة خصومهم في أول بلادهم ، وتقدم الترك إلى محايل فاحتلوها ، ومنها راسلوا الأمير محمد بن عائض في الطاعة والاستسلام أو القتال ٢٠٠ ثم سار محمد رديف فالتقى برجال ألمع وهزمهم وارتقى بمن معه من الترك إلى السراة عن طريق عقبة شعار ، أما أحمد مختار باشا فقد توغل في أودية تهامة ٠

وعندما وصل الأمير محمد إلى أبها ، عقد اجتماعاً ضم علية القوم وشيوخ القبائل الموالية إليه فتعاهدوا على الحرب والتضحية والبذل في سبيل كسب النصر مهما كان الثمن ٠٠٠ وبدؤوا بالاستعداد لذلك ٠٠٠٠

أما قوة الترك فكانت كبيرة واعتبرت حملاتها هذه انتحارية إما النصر والقضاء على آل عائض وإما الهزيمـــة النكراء وترك

عسير إلى الأبد ، لذلك فقد أرهب الترك القبائل التي رأت أن لاطاقة لها بالحرب أمام هذه الجموع الجرارة فبدأت تلوذ بالفرار أو تعتصم في معاقلها السرية ٠٠٠ حتى ترى النتيجة ولمن تكون الغلبة • وكانت القيادة التركية تضم إليها القبائل التي تسير معها خوفا أو طمعاً لترهب خصمها بها وتكسب لها أنصاراً باسم أنها تقاتل بجنود من عسير ٠٠٠٠ هذا على حين كانت قوة آل عائض آخذة في الضعف بين يوم وآخر ، فإن ما معهم قلة لا ينهض بها نصر، والذخيرة تتناقص مع الأيام أيضاً، وليس هناك من سند أو دعم أو جهة يأتي منها السلاح وإنما الاعتماد على النفس ٠٠٠٠٠

قسم الأمير محمد بن عائض القبائل والجند الذين حول إلى أقسام ووجه كل قسم إلى جهة ٠٠٠٠ فقد وجه أخاه سعيداً إلى السقا ومعه بنو مغيد ٠٠

ووجه أخاه سعداً إلى رجال ألمع ومعه علكم بإمرة حامد بن سليمان وأبي زوعة ٠٠

ووجه أخاه عبد الله إلى بلاد ابن هشبل مع عدد من بني مالك بإمرة معدي بن علي وأبي حشر .

ووجه أخاه يحيى إلى صبيا وبني شعبة مع عدد من بني مالك ومعه أيضاً علي بن سعيد بن مسلط وحمود شيخ بني شعبة ٠

ووجه عبد الوهاب المتحمي ومحمد بن علي بن مجثل إلى باحة ربيعة مع قبيلة ربيعة ورفيدة ٠٠٠٠

وأمر أخاه ناصراً بالمرابطة في أبها • • • ومعه رجال من قحطان وشهران ورجال الحجر وبيشة وتثليث والعجمان وبقية القبائل التي معسه • • • • •

وسار هو على رأس قوة إلى باحة شعار لمقابلة الترك المتجهين نحوها ٠٠٠٠

وتم له النصر في المعارك كلها تقريباً •••

وصل الأمير محمد بن عائض إلى باحة شعار وتمركز فيها بانتظار خروج الاتراك منها وإذ به يفاجأ بوصولهم إلى سفوح جبل تهلل بعد ارتقائهم السراة عن طريق عقبة الصماء ، أي أنهم أصبحوا جنوبي الجيش العسيري •••

ذهل العسيريون بوصول العثمانيين إلى جبل تهلل فأسرعوا إليهم ودار القتال بين الطرفين وكان سجالاً بين الفريقين ، شم اضطر أمير عسير إلى التراجع إلى قرية السقا فلاحقه العثمانيون واشتبكوا معه في معركة دامت خمسة أيام انتهت بهزيمة عسير ودخول الترك السقا • وسار الأمير إلى جهة الحفير غربي السقا فتبعه المهاجمون ، وأخيراً التجأ إلى قرية ريدة وتحصن فيها وهي ذات موقع منيع ومركز خصين يصعب احتلاله ويشق على المهاجم الوصول إليه مهما بلغت قوته •

وَمَنْ جِهَةَ أَخْرَىٰ فَقَدَ هَرْمِ الْأَمْنِيرِ يَحْيَىٰ بَنْ عَائَضُ وَعْلَيِ بَنْ سعيد بن مسلط وحمود الشعبي أمام الترك في درب بني شعبــة في مطلع عام ١٢٨٩ هـ ١٢٨٩/١/٤ ، وبعد هــذه الهزيمة توالت الهزائم على عسير بعد أن كادت تهزم الترك • و إلا أن قلة السلاح ونقص العتاد ووهن الرجال قد لعب دوره أمام الكثرة من القوات وقوة السلاح وزيادة العتاد • • • •

استمال محمد رديف باشا بعض رجالات القبائل وأقامدوا معه بالسقا وصار بواسطتهم يراسل الأمير محمداً ويدعوه إلى الطاعة والتسليم ويعطيه الأمان ، وكاد الأمير يركن إلى الباشالولا سماعه نصيحة بعض من معه بإرسال أخيبه سعيد قبل ذلك يستوضح الأمر ويستجلي الخبر ويتيقن من الوضع ، وسار سعيد إلى السقا مركز الباشا وما أن وصل إليها ووقعت عليه عين رديف باشا حتى أمر بإلقائه في السجن مكبلاً بالحديد ،

واستمر القتال ، وأعيى حصن ريدة رديف باشا ولم يحصل منه على مبتغاه ، ولم تجده المخادعة السياسية فلجأ إلى المناورة العسكرية ، فأمر قسما مسن جنده المسرابط في القنفذة أن يسير بإمرة أحمد مختار باشا ويبحر إلى الشقيق ومن هناك يتوجه إلى السراة عن طريق وادي مربة وكان دليسل الطريق شيخ حلي بن يعقوب عمر بن عبد الله الذويبي ٠٠٠٠

تحرك أحمد مختار باشا ضمن الخطة المرسومة وتوجه نحو السراة سالكاً وادي مربة وبينما كان الأمير محمد يقاتل الترك على الجهة الغربية إذ طلع عليه جند آخرون منجهة الغربفأصبح بين نارين واستعر القتال ودامت الاشتباكات العنيفة خمسة أيام وهنت على إثرها قلوب العسيريين وساور الخوف نفوسهم وهم في

مأمنهم ، فخرج من كان في حصن شهران ٠٠٠٠ واضطرب مسن كان في الحصن وزلزلوا زلزالاً شديداً ،ولم تعد تغن قوة الرجال، ولم يتذكروا ماقطعوا على أنفسهم مسن عهود ومواثيق إذ خارت القوى عندما ذكرهم أميرهم محمم كأنهم لم يسمعوا ٠٠٠٠

توسط شريف مكة عبد الله بن محمد بن عون في الأمروكان ضمن القادة المقاتلين ، وتدخل بين الطرفين واستطاع التوصل إلى اتفاق ، بحيث يطلب الأمير محمد الأمان فيعطاه ، ويسلم البلاد ، وتحفظ له الدولة أملاكه كافة ، ويأخذ وعائلته مرتباً معيناً ، وأصدر السلطان عبد العزيز فرماناً بذلك ، ووصل الفرمان إلى الجهات المختصة ومنها القوات العثمانية المتمركزة في السقا وكذا المحاصرة لريدة ، وبناء عليه أعلن الأمير محمد الاستسلام ، وفتح حصن ريدة للقوات المهاجمة ، وسلم نفسه إلى القائد أحمد مختار باشاه

ولما تمكن الترك من حصن ريدة قبضوا على المستأمنين ، وسيقوا إلى السجن ٠٠٠٠ ونزل رديف باشا من السقا إلى ريدة ودخل مجلس القائد أحمد مختار ، فوقعت عينه على الأمير محمد جالساً بجانبه فغضب وكلتم أحمد مختار بأنه يريد أن يعدمه ٠٠٠ فأجابه أحمد مختار بأنه الأمان والفرمان، فلم يرعو أو يتراجع وكان الشرر يتطاير من عينيه وكان الحديث الذي دار بالتركية إلا أن سعداً فهم بعضه وعلم أنه الموت فوثب على محمد رديف بسكين مسمومة كانت معه فطعنه في بطنه وثار كل من في المجلس على بعضهم بعضاً وانتهت المعركة بقتل محمد وسعد وعبد الله أولاد

عائض ومحمد بن علي بن مجثل واثنى عشر رجلا ً آخر معهم من أعيان عسير وحده أما بقية أبناء عائض وهم سعيد وعبد الرحمن وأحمد وعلي ويحيى فقد حملوا إلى استانبول مع ٢٠٠ رجل من سراة القوم منهم رئيس قضاة عسير الشيخ أحمد بن عبد القادر الحفظي وعلي بن طامي و ناصر بن طامي و وحده

أما ناصر بن عائض فقد بقي مرابطاً في أبها والتي لم تسقط بعد بيد الترك .

وأما القائد محمد رديف باشا فقد نقل إلى الشقيق ليبحر إلى تركيا إلا أن منيته قد أدركته وهو في الشقيق فدفن هناك ٠٠

ودمرت بلدة ريدة وأصبحت أثراً بعد عين بعد أن كانت عروسة في قمتها الشامخة وقصرها المنيف المنيع الذي طالما حطم كبرياء الجبابرة من الغزاة •

الخكم العثماني

2 1444 - 14Vd

بعد الاستيلاء على ريدة وقتل الأمير محمد بن عائض خضعت عسير للحكم العثماني ، وأصبحت متصرفية خاصة إلا أن الوضع لم يستقر فيها إذ سادها الاضطراب وكثرت فيها الانتفاضات ، وانعدم فيها الأمن حتى كان كل إنسان يخاف على ماله وعلى أملاكه وأهله ٠٠٠ وهذا أمر طبيعي فالإسلام بعيد عن الحكم لذا عمت حياة الفوضى ، وأصبحت القوانين تسن حسب المصالح الشخصية ومقتضيات الظروف الخاصة وعندما يأتي الوالي ، يتصرف بالأمور وكأن المنطقة إقطاع له ، فهو مطلق الصلاحية فيها يأمر وينهى ويقطع ويمنع حسب هواه وما تسول له نفسه ٠

جاءت الدولة العثمانية إلى هذه المناطق كما دخلت إلى غيرها من بلاد الاسلام باسم الاسلام ولحماية أرضه من أعدائه الذين طرقوا أبوابه وشنوا حرباً على أهله شعواء وحشية وهدأ السكان مدة من الزمن لهذا الشعار إلا أنهم لاحظوا أن هذا الكلام شعار لاينطوي على شيء فالإسلام بعيد عن كل عمل ٠٠٠٠ اللهم إلا مايتفق ورأي الحاكم فإن وافق فهو الاسلام وإلا فهو الكفر ٠٠٠ ولقد استمرت زاوية الانحراف بالانفراج والاتساع كلما مضت

الأيام وتقادم العهد على الدولة حتى كان أواخر الدولة فعم الفساد واستشرى البلاء ٠٠٠٠٠ وعندما أرادت الدولة العودة إلى ماقامت عليه اصطدمت بالواقع المرير من سوء السرائر وفساد الضمائر فقاوم الأشرار تلك الخطة وهذه المحاولة فذهبت الدولة قبل تنفيذ المحاولة ٠

كانت السلطة في عسير للدولة العثمانية بالإسم ، إذ لم يكن أمر الولاة يمتد لأكثر من المراكز العسكرية والثكنات، وبعض المدن أحياناً وماعدا ذلك فكانت السلطة الحقيقية بيد آل عائض ومشايخ القبائل لذا فإننا سنتكلم عن السلطة الاسمية تحت عنوان الحكم العثماني وفي الوقت نفسه سنذكر الأمراء الذين كان بيدهم الأمر ويحكمون حكماً فعلياً •

تولى القائد أحمد مختار باشا أمر عسير بعد استيلائه عليها وسار مع الأهالي بمنتهى القسوة والعنف وقد جعل مدينة أبها مركزاً للمتصرفية وتتبعها ستة أقضية هي:

- ١ ــ بنو شهر ومركزها النماص ٠
- ٧ ــ بلاد غامد وتتبعها أيضاً زهران ومركزها رغدان ٠
 - ٣ ــ رجال ألمع ومقرها الشعبين •
 - ٤ _ محايل وحاضرتها بلدة محايل •
 - القنفذة ومركزها ميناء القنفذة
 - ٦ ــ صبيا ومقرها مدينة صبيا ٠

وجعل قاعدة عسكرية في كل من السقا وريدة ، واتخذ من

القنفذة ثغراً للمتصرفية ، وتوجه إلى صنعاء فاحتلها دون مقاومة .

وكان الامير ناصر بن عائض مرابطاً في أبها أثناء دخول الترك إلى بلدة ريدة واستمر يقاوم ثمانية أيام ، ثم انسحب إلى بلاد شهران إلا أنه عاد فدخلها بعد شهرين من احتلال عسير وحصنها بمن التف حوله من القبائل العربية وعجز أحمد مختار عن دخولها فأحاط بها من كل الجهات وشن عليها هجوماً عاملًا من ناحية الشرف (۱) ومشيع (۲) ورضف (۳) وحصن أسلم (۵) واستمر القتال حتى عام ۱۲۹۱ ه حيث شدد الأتراك وطأتهم وتمركزوا برؤوس الجبال المشرفة على أبها ، وصوبوا مدافعهم على المواقع الهامة ، واستمر القصف ليلا ونهاراً ، فاضطر الأمير ناصر إلى الانسحاب من أبها لنفاد الذخيرة بعد أن وحد قوت على الجهة التي تمركزت فيها القوة التركية القادمة من جهدة الشرف ، وقد استطاع أن يخلص بمن معه وكان ذلك في مطلع عام ۱۲۹۲ ه ه

وتوالى المتصرفون الأتراك على عسير وكانت أيامهم ضربأ

⁽١) الشرف: بلدة تطل على تهامة من ناحية جنوبي أبها.

⁽٢) مشيع: إحدى قرى بني جعفر أحلاف بني مفيد وأصلهم من جعفر بن الحارث بن عبيدة وقد نزحوا من وادي تثليث .

⁽٣) رضف: قرية لبني جعفر أيضاً وتقع شمالي أبها.

⁽٤) حصن أسلم : كان في السابق سوقاً تجتمع فيه بنو مفيد وعلكم ، وأسلم هو أسلم بن عمرو بن ثمالة الأزدي .

من الفوضى والغارات المتكررة من رجال القبائل على مراكــز الدولة ودورياتها وكانت مهماتهم صـــد المغيرين وبناء المعاقــل والحصون ليعتصموا بهــا •

كان المخلاف السليماني تابعاً لمتصرفية عسير بما في ذلك مدينتي صبيا وجيزان ، وكانت هذه التبعية إسمية خاصة بعد أن قويت شوكة الادريسي في تلك المنطقة _ والتي سنتكلم عنها بالتفصيل إن شاء الله _ •

للكامرناهِريب حَائِف

PA71 - 0971 a

يعتبر الأمير ناصر بن عائض أمير عسير بعد قتل أخيه الأمير محمد بن عائض إذ أنه أثناء حصار أخيه محمد في ريدة كان هو مرابطاً في مدينة أبها بقبائل قحطان وشهران وتثليث وبيشة ورجال الحجر لحمايتها من الأتراك ، وقد عرض على أخيه محمد الامتناع في أبها وعدم التحصن في ريدة التي يمكن تطويقها وفوق هذا فليس لها من منفذ إلا من وادي «مربة» فإن احتل الوادي فمعنى ذلك الاستسلام بلاشك بينما يرى الأمير محمد أن الاحتماء في ريدة أفضل لوعورة طرقها وضيق مسالكها وصعوبة مرتقاها ومناعة أفضل لوعورة طرقها وضيق مسالكها وصعوبة مرتقاها ومناعة فيها يستخفون بالحصار مهما طالت مدته مده وأن منفذها الغربي إلى وادي مربة يجعل الأمير ينسحب منها إلى الجهة التي يريدها إذا اضطر إلى ذلك ، خاصة لوجود قبائل رجال ألمع ذات البأس الشديد والمنعة القوية تحيط بذلك المنفذ مهه والمنعة القوية تحيط بذلك المنفذ ووود

بقي الأمير ناصر مرابطاً في أبها على حين تحصن أخوه الأمير محمد في ريدة و بيدة واستسلم الأمير محمد ٠٠٠٠ وفوجيء ناصر بالصلح فتوجه بقوة من رجاله لقتال من بالسقا

من الترك ٠٠٠٠ واحرز الانتصار عليهم وعادوا إلى الاعتصام بالسقا ٠٠٠٠ وركز الأمير ناصر قواته في بعض المناطق القريبة من أبها إلا أن الترك قد استطاعوا أن يزيلوهم عن مواقعهم وأطبقت القوات التركية على أبهاوأخذت المدافع تدكها من الجنوب والغرب ٠٠٠٠٠ وجرد الترك حملة على قلعة شميسان مجتازة حصن أسلم إلا أن القوات المرابطة في سفوحه لم تمكنها من الوصول إليه وردتها على أعقابها خاسرة ٠٠٠٠

في هذا الوقت وصلت الأخبار إلى أبها أن الترك قدتمركزوا في بلدة النماص في بلاد رجال الحجر وهي توالي زحفها نحو أبها ووود فتركرجال الحجر الموجودين فيأبها مراكزهم وتوجهوا إلى بلادهم لصد المعتدين عنها ووود واستطاعوا التخلص من الحصار وساروا عن طريق وادي مشيع، فالعرين، فبلاد بني مالك حتى وصلوا إلى النماص، واستبسلوا في الدفاع عن بلادهم وقضوا على القوة التركية ووجود وكانت قبائل غامد وزهران قد تركت مواقعها من قبل أيضاً للحفاظ على مواطنها من عرب الحجاز والترك وولد الحجاز

أما الأمير ناصر فإنه قد رأى عدم الجدوى من مقاتلة الأتراك فبقي حتى اليوم السابع لدخول الترك لحصن ريدة ثمم انسحب إلى بلاد شهران وترك أبها فدخلها الاتراك وبقيت فيها حامية منهم وانسحب القائد محمد رديف إلى السقا ٠٠٠٠٠

وعندما وصلت أخبار مجزرة ريدة إلى الأمير ناصر عادفاحتل أبها وبقي الاتراك مربطين في السقا ، والتناوش بين الطرفين على أشده ، وفي إحدى المعارك أصيب الأمير ناصر برصاصة لقي بعدها حتفه في ١٠ المحرم ١٢٩٥ه .



للأمروعند للرحن بربي يعايض

217.0-179V

كان الأمير عبد الرحمن بن عائض من الرجال الذين ساقهم الترك بعد انتصارهم على الأمير محمد بن عائض في ريدة إلى استانبول من آل عائض وآل الحفظي وأعيان ومشايخ عسير ٠٠٠ فمنهم من قضى نحبه هناك ومنهم من قدرت له الحياة حتى عاد إلى وطنه يشارك في أحداثه ٠٠٠٠ ومن هؤلاء الذين رجعوا الأمير عبد الرحمن بن عائض وأخوه سعيد بعفو من السلطان ٠٠٠٠٠ وما أن علم أعيان عسير بقدوم المبعدين حتى اتصلوا بهم وشرحوا لهم الوضع الذي يقاسونه من الترك والحالة التي يكابدونها وعرضوا على الأمير سعيد رغبتهم في بيعته إلا أنه رفض وحذرهم من مغبة قيامهم بأي عمل حربي إلا أنهم لم يقتنعوا برأيه وبايعوا من مغبة قيامهم بأي عمل حربي إلا أنهم لم يقتنعوا برأيه وبايعوا وجماً لوجه مع الأتراك و

استعد الأمير عبد الرحمن لتأليف قوة من قبائل عسير وقحطان ورجال الحجر ، لقتال الترك وإخراجهم من عسير ، وشن هجوماً على الحامية في شعار وأبادها ، وما أن وصلت أخبار هذه

الأحداث إلى أبها ، وبلغت مسامع متصرف عسير عثمان باشا حتى المجهز حملة نهبت بلاد بني مالك وبالأحمر وبالأسمر عقوبة لهم حيث اشتركوا في الهجوم على حامية شعار ٠٠٠٠٠ إلا أن قبائل هذه المناطق قد تصدت لتلك الحملة وتمكنت من دحرها وهزيمتها ، وبعد هذين الانتصارين نشطت قبائل عسير في تهامة والسراة لقاومة الترك وقامت بأعمال حربية عدة بقيادة الأمير عبد الرحمن كان من أهمها الهجوم على القوات التركية في السقا وتمركزها مكانها ٠٠٠٠ وكان مقر الأمير عبد الرحمن قبل ذلك في شعفه الله يزيد ٠٠٠٠

أما الأمير سعيد فقد اتجه إلى شهران واعتزل الأمر ، وطلب من حسين بن مشيط شيخ شهران عدم الاشتراك مع الأمير عبد الرحمن وكان آل الغمر وآل سرحان قد انضموا إلى قوات عسير في القتال ضد الترك ٠٠٠٠

وقامت رجال ألمع بطرد الحامية التركية من ميناء الشقيق. بالاشتراك مع بني شعبة وبقيادة حسن بن عبد المتعالي •

وفي أواخر عام ١٢٩٩ ه استنفر الأمير عبد الرحمن القبائل الموالية له بقيادة مشايخها وضرب الحصار على مدينة أبها بعد أن هزم الترك في عدة معارك واستطاع بعض العسيريين التسلل إلى داخل المدينة عن طريق الموادي واستمر الحصار مدة شهرين متتابعين وأصيب الأتراك داخلها بمجاعة شديدة وكانوايزاولون أعمالهم ليلاً وكادت أبها أن تستسلم لولا وصول نجدة تركية

وفي أواخر عام ١٣٠٠ ه عززت القوة التركية المرابطة في أبها يحملة كبيرة جاءت من مكة بقيادة عمر باشا وشريف مكة عبد الله ٥٠٠ وقد واصلت زحفها عن طريق بلاد غامد وزهران فاستعدت لها مقاتلة غامد وزهران وبني شهر المشتركة في حصار أبها ٥٠٠٠ وواصلت الحملة السير حتى التقت بهم في بلاد خثعم وشهران وبالقرن، وعاد الشريف من بداية بلاد رجال الحجر، أماعمر باشا فقد واصل سيره فاصطدم بقوة رجال الحجر الذين تركوا ماكنهم في حصار أبها وأسرعوا لملاقاة خصمهم فهزموه واعتصم بلدة النماص ٥٠٠٠٠

وصلت أخبار هزيمة عمر باشا إلى حيدر باشا فشعر بالموقف الحسرج ٠٠٠٠

توسط الأمير سعد بن عائض في الصلح بين الطرفين ، وفكت مهمته وتم الصلح في بلدة آل يزيد الشعف ، وفكت القبائل حصارها لأبها وذلك في مطلع عام ١٣٠١ ٠

قدر حيدر باشا هذه الوساطة وكتب إلى الباب العالمي بذلك فصدر فرمان بتعيين الأمير سعيد قائمقام على بلاد غامد وزهران وبيشة فسكن الظفير ، وبقي في عمله هذا حتى عام ١٣١٥ ه ثم

اعتزل العمل وسكن مكة المكرمة في شعب عامر حيث وافته منيته في أواخر عام ١٣١٦ ه • وعين بعده ابن أخيه الأمير عائض بن محمد وبقي في منصبه حتى ثورة أخيه على بن محمد •

وفي الوقت نفسه فقد عين الأمير عبد الرحمن معاوناً لمتصرف عسير حيدر باشا وبقي في مركزه حتى جاء أجله عام ١٣٠٥ ه .

أما الأمير علي بن محمد فقد نزل إلى الحرملة ولم يرض عملاً حدث من صلح ٠٠٠٠

* * *

لللاميره لي بن محمّدين حَالِفَى

A1778 - 1711

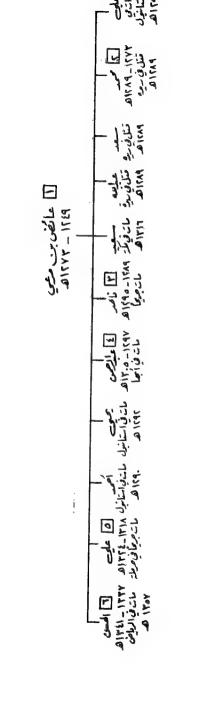
رفض الأمير علي بن محمد الصلح الذي تم "بين الاتراك وآل عائض ونزل إلى حرملة مغاضباً ، وفي عام ١٣١٨ ه قام بثورة ضد الاتراك ، وحاصر مدينة أبها ٥٠٠٠ وجاءت نجدة تركية إلى حامية أبها مما حدا بالأمير عائض بن محمد أن يترك عمله كقائمقام بلاد غامد وزهران وبيشة وأن يسير بقوة من هذه القبائل لمساعدة أخيه المحاصر لمدينة أبها ٥٠٠ وعندما تجدد القتال هزم الأمير على ابن محمد والقبائل الموالية له ٠

ثم قام الأمير علي بن محمد بعد مدة بثورة أخرى مستفيداً من سوء الاوضاع الداخلية في عسير والخارجية أيضاً، ففي الداخل لم يكن للولاة الذين تولوا أمر عسير من القوة ما يضبط أمر المنطقة ويجعل الطمأنينة تخيم على ربوعها فانقطاع حبل الأمن والظلم وكثرة الضرائب كلها تساعد على قيام الثورة ٥٠٠٠٠ إضافة إلى الفقر وعدم إمكانية العمل في المزارع ٥٠٠٠٠ أما بالنسبة إلى الأوضاع الخارجية فقد كانت الدولة العثمانية تلفظ أنفاسها الأخيرة، وجمعية الاتحاد والترقي تحاول السيطرة على الوضع، وقد انضم إليها معظم رجالات الدولة ٥٠٠٠٠ فاستانبول في شغل شاغل

بما يجري فيها ٠٠٠٠ ثم هناك ثورة أخرى في اليمن على مقربة من عسير بقيادة الإمام يحيى حميد الدين وكان هناك اتصال بين الإمام يحيى حميد الدين والأمير علي بن محمد للعمل معا من أجل اخراج الترك •

بدأ الأمير على الاتصال بزعماء القبائل عام ١٣٢٢ ه للاستعداد للقيام بانتفاضة ضد الترك ٠٠٠ وعندما قام بحركت طو"ق مدينة أبها واستمر فيحصارها شهرين كاملين ويئس الأتراك من الخلاص وكادت المدينة تسقط بيد أهلها إلا أن قوة جاءت من اليمن بقيادة تحسين باشا ٠٠٠٠٠ الذي تقدم نحو أبها ٠٠٠٠٠ فانقسم أهل عسير حيئذ إلى قسمين : قسم أسرع لملاقاة تحسين باشا في جهات محايل وكان هذا الفريق بإمرة عبد الله بن محمد بن عائض والتقى الجمعان في تهلل وكان النصر حليف تحسين باشا الذي تابع زحفه ٠٠٠٠٠٠ما الفريق الآخر فقد بقي محاصراً لمدينة أيها واستطاع أفراد منه دخولها بإمرة عايض بن محمد بن عايض وعايض بن عبد الرحمن بن عايض ، وعايض بن علي بن محمد بن عايض، وعايض بن ناصر وأحمد بن لاحق بن أحمد أبو سراح الزيداني وعلي بن مشيبة وغيرهم ، وقد وزعوا رجالهم في بعض الأحياء الأخرى بعد أن تمركزوا فيحي البديع والمناظر ••••• ولكن ذلك لم يفدهم شيئًا إذ لم يلبث أن وصلهم خبر هزيمة إخوانهم في تهلل ، وتقدم تحسين باشا نحو المدينة ٠٠٠٠٠ وهذا ما أضعف من معنوياتهم على حين قويت معنويات خصومهم ٠٠٠٠ وهزم أهل عسير مرة

أخرى على مشارف مدينة أبها ٠٠٠٠ وقطع الأتراك خط الرجعة على الداخلين إلى المدينة فألقي القبض عليهم ٥٠٠٠ فأرسلوا تحت حماية مفرزة يقودها علي عبشان إلى محايل ، ومنها إلى الشقيق حيث أبحر بهم إلى ميناء الحديدة ومنها نقلوا إلى صنعاء حيث كانت تحت إمرة أحمد فيضي باشا (متصرف عسير سابقاً) وصل الأسرى في منتصف عام ١٣٢٤ ه فأكرم والي صنعاء مثواهم مدة ثمانية أشهر، ثم استصدر لهم عفواً من الباب العالي واقترح تعيينهم في مناصب حكومية ، وبالفعل فقد أعيدوا إلى أبها ، وعين الأمير عبد الله بن محمد بن عائض معاوناً لمتصرف عسير حقي باشا كما عين الأمير محمد بن عبد الرحمن محافظاً لمدينة أبها ٥٠٠٠ عين الأمير علي بن محمد بن عائض زعيم الحركة فكان قد جرح في أما الأمير علي بن محمد بن عائض زعيم الحركة فكان قد جرح في حصار أبها ، ونقل إثر ذلك إلى بلدة الحرملة حيث قضى نحبه هناك ودفن فيها عام ١٣٢٤ ه ٠



الأدارسكة

حل" بمدينة صبيا عام ١٧٤٦ ه رجل من متصوفة المغرب اسمه «أحمد بن ادريس » يرفع نسبه إلى الإمام ادريس بن عبد الله المحض من نسل الحسين بن علي بن أبي طالب ، وهو مس أهل فاس ، ولد في احدى قراها ميسور عام ١١٧٦ ه (١٧٥٨ م) ، وجاور بمكة نحو ٣٠ عاماً (١) ، وذهب إلى تهامة اليمن ، وطاب له المقام بمدينة صبيا فحل" فيها ، وبدأ يدعو فيها إلى الطريقة الادريسية ، وكثر اتباعه ٠٠٠ وكانت صبيا يومذاك تتبع عسير التي يحكمها علي بن مجثل وقد سمح له بالإقامة فيها رغم التباين بين الطرفين فعلي بسن مجثل يعمل للدعوة السلفية ويتبناها والادريسي رجل صوفي ٠٠٠ كما أنه قد خصص له مقرراً شهرياً من واردات جيزان(٢) ٠٠٠٠

اعترض بعض الطلبة على الادريسي ، ورفع الأمر إلى الأمير علي بن مجثل ••• فكتب الأمير إلى عامله على صبيا وكان يومذاك

 ⁽١) شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز ، خيرالدين الزركلي الجزء الثاني ص ٢٩ الطبعة الأولى ١٣٩٠ ه بيروت .

⁽٢) تأريخ عسير في الماضي والحاضر هاشم بن سعيد النعمي ص ١٨٢ .

محمد بن علي بن خالد الحازمي مستفسراً عما ينسب إلى الادريسي من دعوى الكرامات و ٠٠ فأجابه بالسلب وعندما مر علي بن مجثل بمدينة صبيا في طريقه لحصار أبي عريش عقد مجلساً للمناظرة بين يديه ضم الادريسي وخصومه وكبار أنصاره ٠٠٠٠٠

لم تطل حياة الادريسي فقد توفي عام ١٢٥٣ ه في صبيا ، وخلفه ابنه محمد واستفاد من مركز أبيه فاستمال إليه بعض رجالات القبائل ٠٠٠٠ وتزوج محمد بامرأة من السودان فولدت له ولدا سماه عليا ٠٠٠ فلما شب علي تزوج بامرأة هندية فأنجبت له عام ١٢٩٣ ه ولدا سماه محمداً ، وهو الذي لعبدوراً كبيرا في المنطقة في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري ٠

رحل محمد بن علي الادريسي من صبيا الى مكة مجاوراً وعمره لم يتجاوز العشرين ،ثم انتقل إلى القاهرة ودرس في الأزهر مدة ست سنوات ١٣١٤ – ١٣٢٠ هـ ، ثم سافر إلى واحة الكفرة في ليبيا مركز الدعوة السنوسية ، وانتقل منها إلى السودان إلى بلدة « ارجو » من قرى دنقلة وتزوج من هناك ٠٠٠٠ ثم سافر إلى مسقط رأسه صبيا فوجد له مركزاً تركه له جده وجد أبيه ، ووجد البلاد في حالة من الفوضى فاستغل ذلك لمصلحته ٥٠٠٠

كان محمد بن علي الادريسي داهية ذكياً عالماً جمع بين الحديث والتفسير ٠٠٠

بدأ يعظ الناس في المجتمعات ويأمر بالمعروف وينهى عــن

المنكر فأحبه الناس الذين هم بأشد الحاجة إلى مثل هذا وإلى من يأخذ بأيديهم نحو الحق في وقت تعم فيه الفوضى ، ويضيع الحق إن لم تدعمه قوة ، هذا بالنسبة إلى العمل الشعبي ، أما بالنسبة إلى العمل الرسمي فقد أظهر للدولة العثمانية وممثليها قوته ورضاه، وكانت فكرة الدعوة إلى الجامعة الاسلامية قائمة فغذاها فعينته الدولة قائمقاماً على صبيا وأبي عريش •

قويت شوكة الادريسي في تهامة ، وأراد أن يسد نفوذه خارجها ، ولما كان يعطي نفسه أبهة ويريد أن يجعل حوله هالة بحيث يأتيه الكبار ويجتمع عنده الوجهاء ، فقد تفاوض مع الدولة التركية فأرسلت له وفدا إلى صبيا ، وفي الوقت نفسه طلبت الحكومة من متصرف عسير سليمان شفيق الكمالي الذهاب إلى الادريسي ، فنفذ المتصرف ، واستقبله الادريسي بحشود كبيرة تزيد على ٠٠٠٠ مسلح ليزيد من قوته في نظر الضيف ٠٠٠٠

كانت القوة الموجودة في أبها لاتزيد عن ٢٠٠٠ رجل ، مما جعل القبائل تستخف بهذه القوة ، وتغير عليها كلما سنحت لها الفرص أو وجدت حاجة من قبل الوالي وتريد أن تتخلص منها ٠٠٠ وقد طلب المتصرف سليمان شفيق الكمالي قوة من استانبول ٠٠٠ وبالفعل فقد وصلت قوة إلى القنفذة قوامها ٣٠٠٠ رجل بينما كان طلب المتصرف أن تكون في جيزان لإخافة الإدريسي ، ووضعه بين نارين إن هو فكر في الثورة ، أو أراد التطاول على الدولة ٠

استطاع الادريسي أن يقنع الأتراك أنه لافائدة من الحملة التي نزلت في القنفذة عود الله حتى يبقي شأن متصرف عسير ضعيفا وبالفعل فقد انسحبت الحملة من القنفذة وعادت إلى تركيا ٠٠٠

وعندما جاءه متصرف عسير ذكر للأهالي في المنطقة أن المتصرف قد جاء إليه لمبايعته ، ولكنه هو رفض ، بحجة أنه لايريد شيئاً من الرئاسة أو الوجاهة ، وفي الحقيقة كان يسعى حثيثاً وراء ذلك بل لا يطلب غيرها ••••

اتفق مع المتصرف أن تحل مشكلات الخلاف بين القبائل في صبيا عند الادريسي على أن يرأس الاجتماع مندوب من قبل متصرف عسير ، وهذا التساهل من قبل المتصرف ما هو إلا محاولة لتثبيت دعائم الأمن في المنطقة ، إلا أن الإدريسي لم يتقيد بهذا فكان يحاول حل الخلاف دون اعلام السلطات بما جرى .

اقترح متصرف عسير أن تكون الشقيق ثغر أبها بدلاً من القنفذة البعيدة عنها إضافة إلى طول طريقها والتوائه ، ولكن هذا لايناسب الإدريسي لأن الحملات في هذه الحالة تمر من منطقة نفوذه لذا فقد رفض الإدريسي هذا الاقتراح وطلب الغاءه بحجة أن رجال القبائل لا يقبلون نزول الجند في الشقيق ، ونحن الآن بحاجة إلى إرضاء السكان والقبائل وعدم إثارتها ١٠٠٠٠ وهذا كله في سبيل تقوية مركزه ، ورغبته في الاستقلال ، وإضعاف شأن متصرف عسير حيث يريد أن يوسع نفوذه ٠

بدأ الادريسي يتصل بالطليان بواسطة ابن عمه في القاهرة، ويشتري الأسلحة من هذه الجهة ويزود بها الجند ، خاصة وأن الطالية في ارتيرية على الطرف الثاني من البحر الأحمر .

قلب ظهر المجن للدولة التركية عندما قوي أمره ، وأعلن عن قيام حكومة خاصة به عام ١٣٢٦ هـ ، وبايعه أهل صبيا ماعدا أحمد شريف الخواجي الناقم عليه ، واتجهت وفود القبائل نحو مركزه تعلن الطاعـة .

لقيت دعوة الإدريسي آذاناً صاغية في عسير أيضاً بسبب دعواه في إعادة النظام وحفظ الأمن وتطبيق الشرع ، وقد ظهر قوياً فعلا والناس قد ملوا الفوضى التي كانت تنتشر في المنطقة إضافة إلى خوف السكانمن الشريف حسين بن علي شريف مكة الذي يظمع في توسعة نفوذه ومده إلى عسير ، وأعلن لرجال القبائل أيضاً أنه يريد إخراج الترك من المنطقة فوافق هذا هواهم وما في نفوسهم ، خاصة وأن بعضهم ظن أنه لإذا خرج الأتراك من المنطقة وتمادى الإدريسي في غيه ، فبإمكانهم إخراجه بسرعة ما دام غريباً ضعيفاً لاعصبية له ولاسند .

جاءت إلى الادريسي وفود القبائل من عسير كلها: رجال ألمع جميعهم ، ورجال الحجر كلهم ، وقبائل عسير (بنو مغيد علكم بنو مالك بربيعة ورفيدة) عقبائل قناو البحر ، آلموسي، آلمريش ، بارق ، الدريب ، حلي بن يعقوب ، غامد وزهران ، يشة ، شهران ، نجران ، قحظان ، وكان ابن دليم مديراً لمناحية يشته ، شهران ، نجران ، قحظان ، وكان ابن دليم مديراً لمناحية

في قحطان وعمل مع الحكومة مدةمن الزمن ثم ساند بقبائل قحطان جميعها الادريسي وتولى قيادتها في حصار أبها •

حاول متصرف عسير أن يقف في وجه الادريسي إذ بث الدعاية ضده وأرسل حملة عسكرية للهجوم على صبيا إلا أنها فشلت ، وأشيع أن المتصرف نزل لتسليم الأمر إلى الادريسي ، ولم يقف الأمر عند فشل الحملة ، بل هجمت عليها رجال القبائل الموالية للادريسي ، ولم ينقذها من التهلكة إلا ادعاء قائدها بأنه في طريقه إلى ميناء جيزان ولافكرة عنده للقتال أو الاعتداء •

ولما عجز متصرف عسير كتب إلى استانبول يوضح خطر الإدريسي وسوء عاقبة صلته بإيطالية ، فاستدعت استانبول الادريسي للتحقيق معه بشأن أحمد شريف الخواجي الذي اختلف معه فرفض الحضور لذلك طلبت من عزت باشا قائد قواتها في اليمن ومن معاونه عضمت اينونو تجهيز حملة بحرية للقبض على الادريسي وارساله إلى تركية ٠٠٠٠٠

انطلقت الحملة التركية ونزلت في مرفأ جيزان بقيادة محمد راغب وكان تعدادها يزيد على أربعة آلاف جندي ولما بدأ القتال هزم الاتراك هزيمة منكرة بسبب قلمة المياه وتركوا في ميدان المعركة أكثر من ثلاثمائة قتيل ٠٠٠٠ وكان لايطالية دور عملي من جهة البحر ٠٠٠٠ وانسحب الاتراك من ميناء جيزان إلى جزيرة فرسان ، ودخل الإدريسي جيزان واستولى على كل مافيها من ذخيرة وبقي الأتراك في جزيرة فرسان ثم ساروا بعد ثلاثة أشهر

إلى القنفذة تحت ضغط ايطالية أيضاً ، ولاحقتهم إلى القنفذة أيضاً لمساعدة جيش الادريسي الذي كان يحاصرها برا وورغم تدمير السفن التركية الراسية في ميناء القنفذة إلا أن الحامية لم تستسلم وبقيت محاصرة برا وبحرا و

وترامت الأخبار بعزل متصرف عسير كاظم باشا واستبداله بسليمان شفيق (۱) باشا الكمالي فقام آل عائض بوداع كاظم واستقبال المتصرف الجديد من ميناء الشقيق في أواخر عام ١٣٢٦ه وبعد وداع كاظم عاد الجميع يحفون بالمتصرف الجديد معمر المجديد من آخر عام ١٣٢٨ ه بدأ المتصرف الجديد سليمان بن باشا يتبرم من آل عائض الذين لمسوا فيه سوء نية ، ذلك أن الأدريسي قد أدرك أن الوفاق بين آل عائض والمتصرف التركي ليسمن مصلحته في شيء بل يرى في ذلك خطراً عليه يهدده ويقضي على مخططاته فرغب في ابعاد آل عائض ، وجنح إلى استعمال الحيلة وإيجاد مايفرق بين الطرفين وقد تمكن من ذلك فارتاب آل عائض في أمر المتصرف وفكروا في التخلص منه لذلك عقدوا اجتماعاً سرياً في بلدة حرملة لدراسة الموقف وتبادل وجهات النظر في الثورة ضد سليمان باشا موقف الادريسي

⁽۱) سليمان شفيق الكمالي: متصرف عسير وقائد حاميتها ١٣٢٦ – ١٣٣١ ه وانتقل بعدها إلى سورية ، ثم أصبح والي البصرة وقائد الفيلق العثماني فيها عام ١٣٣٢ ه ، وأخيراً تسلم وزارة الحربية .

الذي يرقب أحداث عسير ، وموقف شريف مكة الحسين بن علي الذي يهتم بأمور عسير أيضاً ، لذلك قرروا التلويح بالثورة ضد المترك ليجسوا نبضه ويعرفوا حقيقته . • وتم ذلك ففي الوقت الذي نصحهم الشريف حسين بالتريث والانتظار لأن الوقت غير مناسب كان الادريسي قد شجعهم وحثهم ووعدهم بالمساندة والمساعدة ووضع كل امكاناته تحت تصرفهم وحرضهم طالبا السرعة . • • •

بدأ التنسيق بين آل عائض والادريسي للثورة ٠٠٠٠ وشعر سليمان باشا ببوادر الحركة فأعد العدة لها واحاط الباب العالي بالخبر لإرسال مايحتاجه من أقوات وعتاد ٠٠٠٠٠ وبدأت المناوشات ٠٠٠٠ وقرر سليمان باشا الدفاع والاستماتة ٠

تقدمت رجال القبائل نحو أبها وألقت الحصار عليها وأمسر الادريسي قائد قواته في تهامة السيد مصطفى النعمي بالتوجه إلى أبها ومساعدة عسير في انقاذ المدينة من الاتراك ، فنف النعمي الأمر وسار على رأس قواته إلى أبها بينما بعث فرقة منهم لمساعدة رجال الحجر الذين يحاصرون الحامية التركية في شعار والقضاء تمكن رجال الحجر ومن جاءهم من تهامة من دخول شعار والقضاء على الأتراك الذين كانوا فيها ثم توجهوا إلى أبها لمعاونة إخوانهم في حصارها الذي استمر من شهر ذي القعدة عام ١٣٢٨ إلى شهر رجب عام ١٣٢٩ ه ، وكانت أيام قاسية على الحامية التركية شهر رجب عام ١٣٢٩ ه ، وكانت أيام قاسية على الحامية التركية

من شدة الجوع والخوف والنقص في العدد وكاد الأمريتم المهاجمين ، وأوشك الاستسلام أن يقع لولا خبر تقدم شريف مكة الحسين بن علي بالنجدة ٠٠٠٠٠

أدرك سليمان باشا لعبة الادريسي عندما بلغه نبأ اشتراكه هذا لم يكن مع آل عائض في الثورة ضد الترك • كما أن اشتراكه هذا لم يكن حبا في آل عائض وإنما مرحلة لتنفيذ مخططاته إذ استغل ظروف الحرب ضد الترك مع آل عائض في محاصرة أبها واتصال اعوانه والقبائل واتصال دعاته بالاعيان فكانوا يبثون آراءه بكل أمسن وحرية مما جعل آل عائض يدركون نواياه ويبتعدون عنه ويسرع للأمير محمد بن عبد الرحمن لمقابلة الشريف حسين في القنفذة والسير معه إلى أبها • • • • وكذا الأمير حسن بن على الذي كان على رأس المحاصرين لأبها أصبح على رأس المساعدين •

لما علمت الدولة التركية بوضع حاميتها السيء في أبها كلفت أمير مكة الشريف حسين بن علي للعمل على انقاذها ، وطلبت من قائد حاميتها في القنفذة نشأت بك أن ينضم وجنده إلى حملة الشريف عندما تصل إليه ، وأمدته بالذخيرة والجند .

ولم يكن أمير مكة على وفاق مع الدولة التركية ولكنسه يريد أن يقوم بالدعاية لنفسه في عسير تمهيداً لما يكنه من أمر يزمع عمله في المستقبل ، كما أنه يريد أن يثبت وجوده في المنطقسة التي عمله فيها الأحداث كأمواج البحر ، وامتداد نفوذ الزعماء بسين

مد وجزر ، ومن جهة ثانية يريد أن يخفي بعمله هذا على الدولة مايشيع من اتصالات تتم بينه وبين الحلفاء .

سار الحسين بن علي على رأس جيش كبير نحو تهامة وعندما وصل إلى القنفذة انضم إليه نشأت باشا بمن معه من الجند و وصل إليه الأمير محمد بن عبد الرحمن - كما ذكرنا - والتقى الجيش الزاحف بجيش الإدريسي في الجنوب الشرقي مسن القنفذة ووود فاندحرت قوات الادريسي ووود ثم أعقبتها معركة حامية لم تختلف عن سابقتها ووود ثم خرج الشريف حسين بجيشه إلى سراة بني شهر عبر عقبة «ساقين» ومن هناك اتجه إلى بلاد بالأسمر وبالأحمر فعقبة شعار حيث التقى شدماليها بجيش الإدريسي وعسير فهزمه ، ووالى زحفه نحو أبها ووود

ونستطيع هنا أن تتوقف قليد لا لنلاحظ نقطتين اثنتين : أولاهما أن الهزائم التي توالت على القوات المناهضة للترك قد أضعفت معنوياتهم على حين قويت معنويات جيش الشريف خاصة وأن الاسطول التركي كان في البحر الأحمر يضرب موانى الادريسي ٠٠٠ لذا فقد انسحب الجيش المحاصر لمدينة أبها إلى مراكزه ، وثانيتهما : أن رجال القبائل الذين كانوا يظنون أن الادريسي ضعيف وأنهم يستطيعون إخراجه فيما إذا خرج الترك قد غيرا رأيهم عندما رؤوا دهاءه، وعلموا أطماعه ، وعرفوا صلته بالطليان و ٠٠٠٠٠٠٠ لذا ماكادت تصل طلائع الشريف إلى بلادهم حتى تركوا جيش الادريسي وانضموا إلى الشريف وعلى رأسهم

الأمير حسن بن علي آل عائض • أما رجال ألمع وقبائل تهامة فقد بقوا على ولائهم للادريسي •

بقي الشريف حسين بن علي شهراً كاملاً في أبها استقبل فيه. وفود القبائل وبذل لها المال بسخاء وعاد إلى الحجاز عن طريق بلاد شهران _ بيشة _ الطائف ٠٠٠٠٠ ولكنه لم يخرج من أيا لا والأمير حسن بن علي آل عائض معاوناً لمتصرف عسير سليمان شفيق الكمالي ، والأمير محمد بن عبد الرحمن محافظاً لمدينة أبها ، كما عين بقية آل عائض برتب فخرية ووافقت الدولة على ذلك .

ضعف الادريسي وعاد لمتصرف عسير مركزه وبدا يغير على المناطق التي يسيطر عليها الادريسي ، ولكن الأمر لم يطل إذ لم تلبث ايطالية أن أعلنت الحرب ضد تركية ونزلت في بلاد ليبيا وأخذ اسطولها الحربي يقصف الموانىء التركية ومنها المنتشرة على شواطىء البحر الأحمر ، فنشط الادريسي وجرد حملات عسكرية ضد القبائل الخارجة على طاعته ، خاصة في تهامة ، وعاد الأمر إليه في شمالي عسير والقنفذة وهذا ما أقض مضاجع شريف مكة لذا أسرع فأرسل ابنه فيصلاً على رأس حملة إلى تلك الجهات فالتقى مع قوات الادريسي قريباً من القنفذة ورغم مساندة الطليان للادريسي وقصفهم جيش الحجازين ، وهم فيصل بدخول عسير عن النصر كان بجانب الحجازين ، وهم فيصل بدخول عسير عن طريق بلاد رجال ألمع إلا أن رسالة جاءته من أبيه تدعوه للعودة

للعمل ضد الأتراك في الحجاز • وكان مما زاد قوة الادريسي أن. ايطالية بعد أن اتفقت مع تركية التي انسحبت من ليبيا قد طلبت دعم الادريسي وأصبح الخلاف بين شريف مكة والادريسي خلافاً شخصياً على التوسع وزيادة النفوذ ، وكل منهما يعمل ضد الترك •

هدأ الوضع في عسير فقد أصبح متصرف عسير يعاونه الأمير حسن بن علي آل عائض وهو من قادة البلاد كما أن تصرف سليمان باشا كان واعياً إذ عهد بالتموين إلى المتعهد محمد سعيد باحيدرة وهو رجل من حضرموت ، له صلة بالسكان ، وهو ثقة عندهم ، وقدم له المساعدات إذ كانت عليه ديون نتيجة توليه هذا العمل في السابق وعدم توفيقه للاحداث التي مرت على البلاد مدندا بعات الأوضاع تتحسن وتسير في طريقها الطبيعي .

نقل سليمان باشا من عمله في عسير وجاء محله علي حيدر بك الذي لم تطل مدة ولايته إذ أحيل على التقاعد ووقف محي الدين باشا واندلعت نار الحرب العالمية الأولى ، ووقفت تركيا بجانب ألمانيا ضد الحلفاء ووقف الادريسي بجانب الحلفاء ضد الاتراك ، ومن جهة ثانية فقد لاحظ بدء زيادة نفوذ انكلترا وقوة مركزها في البحر الأحمر فعقد معها معاهدة صداقة عام ١٣٣٤ ه حيث اعترفت له بالسيطرة التامة على تهامة من اللحية جنوباً وحتى القنفذة شمالا ، وكان للعثمانيين جنوبي إمارت بعض المراكز ومنها اللحية فساعدته على احتلالها ، وجددت المعاهدة عام ١٣٣٦ ه وتعهدت انكلترا بحمايته كما تعهد بعدم

اجراء أي اتصال سواء كان سياسياً أم تجارياً دون علمها ، وكذلك ضم الحديدة إليه بعد الحرب .

وجد الادريسي نفسه بين نارين ، إهام صنعاء الذي يريد ضم تهامة إليه ويعتبرها جزءاً من اليمن ، وشريف مكة الذي يعتبر تهامة من أرض الحجاز إضافة إلى آل عائض الذين يفكرون بالثورة ضد الاتراك ولابد من الصدام في المستقبل وتشرئب أعناقهم إلى تهامة أيضاً من قمم السراة ويعتبرونها تتبع عسيراً ، أمام كل هذا كاتب أمير نجد عبد العزيز آل سعود ، وبقي مرهوب الجانب حتى توفي عام ١٣٤١ ه ، وتولى الأمر بعده ابنه على ،

استولى إمام اليمن يحيى حميد الدين على القسم الجنوبي من تهامة ، إذ أخذ الحديدة وضم إليه المنطقة الساحلية حتى بلدة ميدي .

ثار سكان تهامة على علي الادريسي وبايعوا عمه الحسن ، فلجأ علي إلى آل سعود في نجد وأقام في الرياض .

أعطى حسن الادريسي انكلتراحق التنقيب عن النفط في جزر فرسان ، كما فاوض السعوديين وإمام اليمن والايطاليين ، ولكن سفارته إلى آل سعود هي التي نجحت إذ ابرم ابن عمله ميرغني معاهدة في مكة بينه وبين الملك عبد العزيز آل سعود عام ١٣٤٥ ه وضعت بعدها تهامة ضمن المملكة العربية السعودية .

نهاكية الأتراك

قوي التعاون بين تركية وأهل عسير أثناء الحرب العالمية الأولى وكان الاتفاق قائماً بين محي الدين باشا متصرف عسير والأمير حسن بن علي آل عائض ، وكان المتصرف رجل حنكة وخبرة ودهاء وسياسة وقد أقام القلاع في منطقته وفتح الطرق ، وقد عانى أهل عسير أيام الحرب ماعانوا من مصائب وصعوبات بسبب عزلة بلادهم ، وانحصار أرضهم بين مناطق ثائرة على الدولة سبواء من ناحية الغرب حيث ثورة الادريسي على الاتراك وهو يتعاون مع الانكليز أم من ناحية الشمال حيث أعلن الشريف حسين ابن على الاتورة على الاتراك أيضاً بعد عامين من بدء الحرب وبعد أن ساعد أهل عسير ضد الادريسي أم من ناحية الجنوب حيث أملاك آل سعود و منعاء على خلاف مع الاتراك وكذا في الشرق حيث تمتد أملاك آل سعود و

انتهت الحرب العالمية الأولى ، وهزم الاتسراك ، واضطروا للانسحاب من منطقة عسير والبلاد التي تخضع لهم ، ووصلت الأوامر السلطانية في شهر ربيع عام ١٣٣٧ ه عن طريق الانكليز والادريسي تطلب من المتصرف مغادرة عسير وتسليم أمرها وذخيرتها إلى آل عائض •

زل محي الدين باشا وهبط من السراة إلى الشقيق على الساحل ومعه أفراد الجالية التركية من موظفين إداريين والقوة النظامية التركية وعددهم لا يتجاوز ثلاثة آلاف جندي ، وقد نقلتهم إلى تركية بواخر انكليزية حسب الاتفاقية التي تمت بين الاتراك والانكليز ٠٠٠٠٠ وهكذا انتهت آخر سيطرة للاتراك في بلاد العرب ٠

* * *

الاستقلال

قبل رحيل محي الدين باشا آخر متصرفية الأتراك في عسير جمع آل عائض ومعهم أهل الحل والعقد وأخبرهم بوصولالأوامر إليه بالانسحاب من عسير وتسليم الأمر إليهم مع مخلفات الدولة جميعها من معدات ومنشآت ، من ضمنها ثمانون قلعة متفرقة في البلاد ، وتسلم منهم وثيقة موقعة من الأمير حسن بن علي ومحمد ابن عبد الرحمن ومحمد بن ناصر وعائض بن علي آل عائض وغيرهم ٠٠٠ كما بقي في عسير عدد من الحامية التركية رغبوا في البقاء ٠٠٠٠ ثم قال لهم : أريد قبل الذهاب أن أنصح لكم فإن بلادكم واقعة بين عدة نيران وكل يريد التهامها فالادريسي في الغرب وهو صاحب نفوذ وصلة معروفة ، وأكبر أمله أن يضم إليه عسير •••• وفي الشمال الشريف ورغبته في عسير لاتقلءن رغبة الادريسي ، وفي الشرق آل سعود وأملهم في التوسع كبير ••• وفي الجنوب إمام اليمن ٠٠٠٠ وأقدم لكم بعض الحلول لتأخذوا بأحسنها عندكم حتى تستطيعوا البقاء وتضمنوا لبلادكم القوة و الاستقلال •

١ ـ أن تتفقوا مع الانكليز ٠٠٠٠ فإنهم أصحاب النفوذ
 الحالي والسيطرة الحقيقية وتمتد أيديهم إلى الكثير من المناطق

فصلتهم مع الادريسي معروفة ، وعلاقتهم مع الشريف لاتخفى على أحد ، كما اتفقوا مع الوهابي (عبد العزيز آل سعود) وقدموا له ١٥٠ ألف بندقية أم تاج و ٠٠٠٠٠ وليس كلامي هذا محبة لهؤلاء الانكليز الملاعين ، فهم أعدائي وسبب القضاء على دولتي و ٠٠٠٠ ولكن اتكلم الواقع ٠٠٠٠٠ وهذا ما أريده لكم ٠

رفض آل عائض هذا الرأي وأبدوا أنهم لايمكن أن يتعاونوا مع أجنبي مهما كان ••••

قال: فإن رفضتم فإليكم رأياً آخر •

٢ – الاتفاق مع الملك عبد العزيز آل سعود ، فإن ملك سيمتد ونفوذه سيتسع وقوته كثيرة ومعنوية الشعب عنده كبيرة،
 وله محبة عندهم ورهبة وإن أخوف ما أخافه عليكم هو ٠٠٠٠٠

تداول آل عائض الرأي ، ووجدوا أن بلاد نجد بعيدة عنهم ولا يزال القتال قائماً بين الملك عبد العزيز آل سعود وآل الرشيد في الشمال ، والخلاف واقع بينه وبين الشريف حسين ، ولابد من صدام في المستقبل بينه وبين إمام صنعاء ، فماهي الضرورة للارتباط معه والعداوة لإمام اليمن وشريف مكة و ٠٠٠٠ ؟

ولذا فلم يوافقوا على ذلك ، وأبدوا رفضهم أيضاً للرأي الثاني •

فأجاب محي الــدين باشا إذن لكم الــرأي الثالث •••• والأخير ••• ولاسبواه وهو •

٣ ـ الاستقلال: وهو إذا حصنتم بلادكم واستفدتم من المعدات الموجودة عندكم وفي قلاعكم فلن يستطيع أحد اقتحام أرضكم بشرط أن ترابطوا فيها ولاتخرجوا لغيرها ٠٠٠ فإنطلبات الانحياز ستصل إليكم من مختلف الأطراف التي ذكرناها والتي هي في خلاف دائم مع بعضها بعضاً ٠٠٠

وبعد هــذا تداول آل عائض الأمر ٠٠٠٠ ارتؤوا أن هذا الحل هو المقبول عندهم ولاغيره وتم الاتفاق والدعوة بالتيسير والنجاح ٠٠٠٠ وانتهى الاجتماع ٠

وهذا ماتم في السراة بين محي الدين باشا الذي سيرحل عنها وبين آل عائض الحكام الجدد ، أما في تهامة فقد خشي الإدريسي كثيراً و « لعب الفار بعبه » كما يقولون ، خاف الادريسي أن يتسلم آل عائض عتاد الحامية التركية في عسير وعندها يقوى أمرهم ويستطيعون الذود عن حياض عسير التي يرغب الادريسي في ضمها إلى ملكه وهي من أولى أمانيه بل ويستطيعون عندها العودة إلى صبيا وتهامة وهي التي كانت ضمن حدود إمارتهم ، فرأى أن يكتب إلى الطرفين بشكل سري يوقع ما بينهما ويستفيد بالحصول على العتاد ، ، ، ،

كتب إلى محي الدين باشا بأن آل عائض يريدون الوقيعة به وبمن معه من الاتراك عندما يرحلون عن بلادهم وليس معهم شيء من السلاح ٠٠٠٠٠ وأن الأمير حسن بن علي آل عائض سيكون بعيداً عن أبها يوم سفره ولن يكون في وداعه ٠٠٠٠ لذا

عليه أن يأخذ الحذر والحيطة ويسير بكامل السلاح مع القوة التركية ٠٠٠٠ وليكن في الطريق حذراً حتى يصل إلى درب بني شعبة وعندها سيكون في مأمنه وبحمايته هو (الادريسي) بل على استعداد لارسال قوة تحميه من رجال القبائل التي يمكن أن تهاجمه ٠٠٠٠٠ وأن هذا ما وصل إليه من جهات موثوق بها تماماً٠

وكتب إلى الأمير حسن أنه قد بلغه من جهة ثقة أن محي الدين باشا يريد أن تسير معه مودعاً وكبار أهلك وأنه سيقبض عليكم وسيحملكم معه أسرى إلى تركيا ٠٠٠٠ لذا فأرى أن تبتعد عن أبها يوم الرحيل على الأقل ٠٠٠٠ وإن طلبك فإياك والحضور٠٠

وقع أثر رسالتي الإدريسي في نفسي اللذين تلقياهما بشيء من الحذر فقد بقي الأمير حسن بعيداً عن أبها في بلدة حرملة إلا أنه قد أمد" الحامية بالجمال لتنتقل عليها وكتب إلى كبير الجمالة يوصيه بالجند ويقول له: هؤلاء أمانة لدينا ماداموا في حدود بلادنا حتى يتسلمهم الادريسي وبخاصة المتصرف الباشا وأعوانه وكذلك فمحي الدين قد أخذ معه ما أمكنه من سلاح حذراً وحيطة وتأهباً لكل حادث •

وصل محي الدين باشا إلى درب بني شعبة فاتجه إلى كبير الجمالة وقال له: لماذا حسن في ضلع ؟ إنه جبان! فأجابه قائلاً: لم يكن في نية حسن فكرة الهجوم، وقد أوصانا خيراً خاصة بالنسبة لكم وهذا كتابه لي، وأعطاه فقرأه وعلم أنه حَدع ••••

أما الادريسي فقد استقبلهم في درب بني شعبة بجيش قوامه ستة اللف مسلح وأخذ السلاح منهم ، واعتبرهم اسسارى حرب ، وساقهم مباشرة في طريقهم إلى شقيق حيث تنتظرهم البواخسر الانكليزية ••• وبهذا حصل الادريسي على كمية من السلاح وإن لم يكن السلاح الثقيل من ضمنها •

واستمرت الكتب تتوالى على الأمير حسن من الادريسي ٠ شكل الأمير حسن حكومة محلية ، وأقام نواة جيش صغير كان يضم عدداً من الضباط الترك الذين تخلفوا في عسير ، وقبض على زمام الأمر بشكل جيد ، ولكن كان ينقصه شيء كثير كان بحاجة إلى المال فالبلاد تدخل عهداً جديداً وتخرج من فترة فوضى فهي بحاجة إلى مشروعات كثيرة، وإعادة ما خرب أثناء عهد الحروب والزمن المرير الذي مرت فيه ، وبحاجة إلى الرجال الأكفاء الذين يديرون الشئوون ويتعهدون الأمور ، وإن وجدت فئة قليلة منهم تمرست أثناء الحكم التركي بما أوكل إليها من وظائف ولكنها لا تكفي ، وبحاجة إلى الجند الكثير الذي يحمي البلاد من أطماع الطامعينوما أكثرهم وهم على مقربة ، وبحاجة إلى النشاط الزراعي بعد أنمله الناس بسبب مامر عليهممن خوفوما وجدوه من انعدام أمن ، والآن وقد حصرت البلاد وانقطعت مع الخارج علاقاتها ، وتوقفت المساعدات من الدولة التركية ، وذهب ماكان يصرف الموظفون والاداريون ٠٠٠٠ وأصبحت تعتمه على الانتاج المحلي بالدرجة الأولى لأنالاستثيراد بحاجة إلى مال، والمال مفقود ٠٠٠٠

نظر رجال هذه الدولة الناشئة إلى وضعهم الذي هم فيه ورؤوا التعاون مع الجوار الذين هم على صلة بالخارج بشكل أوسع، والذين تمرسوا على ادارة البلاده إلا أنهم اختلفوا حول الجهة التي يتعاونون معها ٠٠٠٠ فقد رأت مجموعة التعاون مع الادريسي ومنهم القاضي عبد الله بن مرعي وعبد العزيز المتحمي وابن حامد وابن معدي وابن دليم وابن مشيط وقد استطاعت هذه المجموعة كسب الأمير حسن بن علي نفسه ٠٠٠٠٠

ورأت مجموعة أخرى التعاون مع الشريف حسين ومنهم الأمير محمد بن عبد الرحمن آلعائض والشريف الحسني وشيوخ بني شهر وغيرهم ٠٠٠٠٠

وكانت أموال تتدفق من الإدريسي إلى رجالات عسير كما أن أعداداً يفدون عليه وينالون من أعطياته ويرون من كرمه ٠٠٠ واتفق أهل الرأي فيالبلاد أن يذهب وفدان من البلاد كل وفد إلى جهة من الجهتين التي يتجه نحوها نظر بعض الأفراد٠٠٠ وتكون اتصالات واجتماعات وعندما يعود الوفدان ينظر بما رجع به المخبرون ٠٠٠

سسافر الأمير محمد بن عبد الرحمن وابن عمه ناصر إلى مكة ٠٠٠ والتقوا بشريف مكة ٠٠٠

وسافر الأمير حسن بن علي ومعه رؤساء عسير وشهران وقطان إلى المخلاف السليماني ومكث يومين في الدرب ومثلها

في صبيا، وثلاثة أيام في جيزان ، ويظهر أن هذا الانتقال كانيحمل، طيه هدفا سياسيا يريد أن يستجلي فيه رأي القبائل والقوة الحقيقية التي يملكها الادريسي وحده وقد حدث لهذا الوفد أن التقي بالادريسي وتمت اتفاقية بين الطرفين ووجد بحيث توحد القوتان اللتان في عسير وتهامة وتعملان معا ضد الشريف في مكة وإمام اليمن في صنعاء ووجه وأن يكون الادريسي في صبيا المسؤول الأول ونائبه الأمير حسن في أبها وله الحق في مرتب شهري قدره خمسة آلاف ريال ووجه ولكن الادريسي بما عرف من سياسة وذكاء قد استطاع أن يتصل بكل عضو من أعضاء الوفد ووعطيه مبلغاً من المال شهريا يجعله مرتبطاً به وبخاصة ابن دليم فيخ مشايخ قحطان ووجه

وعاد الوفد إلى أبها ينتظر عودة الوفد الذي سافر إلى مكة ••••• وبعد مدة وصل الأمير محمد بن عبد الرحمن ويحمل في جعبته اتفاقاً مع الشريف ينص على ارتباط عسير اسمياً بمكة مع موافقة الأمير حسن •

اجتمع أهل الرأي للتنسيق بين الاتفاقين وتوصلوا إلى رأي موحد وهو الاستقلال فإنه الحل الأمثل والطريق الصحيحة للخلاص من التنافس على عسير ٠٠٠٠

جاء طلب الادريسي إلى عسير يقتضي بتحقيق اتفاقية صبيا وارسال السلاح اللازم من مخلفات الاتراك الثقيلة لحرب الإمام

أمام هذا التصرف الادريسي كان لابد من التوجه نحو الشريف حسين وميناء القنفذة الذي يعتبر حجازياً ٠٠٠٠ وشعر الادريسي بمغبة الأمر وسوء تصرفه الذي أعقبه دعاية لخصمه شريف مكة ٠٠٠٠ ورأى أن عليه القيام بعمل عسكري لينهي كل وضع في غير صالحه ٠٠٠٠

بدأ الادريسي بالاتصال بمشايخ عسير ممن يثق بهم ، ويوضح لهم أنه عازم على دخول أبها بعد أن أخل آل عائض بوعودهم ومواثيقهم ، ويطلب منهم مناصرته في دخول أبها ٠٠٠٠ وأرسل جيشين الأول عن طريق رجال ألمع والثاني عن طريق بلاد قحطان ٠٠٠٠ كان قداتصل بإمام اليمن وطلب منه السلاح والرجال

لحاربة عسير الذين يعملون لحرب الطرفين (الادريسي _ إمام اليمن) ، إلا أن إمام اليمن قد رفض اعطاءه السلاح ولكن أمده بعشرة آلاف جندي •••• وكان الإمام يتتبع حوادث القتال بشكل دائم •

أما الأمير حسن فقد اتصل بالشريف حسين بمكة وأعلمه حقيقة الوضع وطلب منه النجدة ••• وأعلن النفير بين القبائل الموالية له ، وطلب من ابن دليم ترك الادريسي والانضمام إليه فأبى •••

 وكذلك هزم الجيش الأول الادريسي بعد أن وصل لقوات الأمير حسن نجدات وبخاصة وصول الجيش الذي انتصر في البطحاء ضد قوات الادريسي ٠٠٠٠٠ وهكذا علت راية آل عائض فوق ربوع عسير وخرجوا منتصرين في معركة كانت أكبر من طاقتهم وأقوى من قوتهم حيث كانت جموعهم متفرقة وقبائلهم مشتتة ، وقلوب مشايخها موزعة ، والأموال تغدق على الأفراد والكيار ٠٠٠٠٠

وكانت أثناء تلك المعارك وفود في أبها لاستمالة آلعائض٠٠ وفود من جهات ثلاث من السعوديين والادارسة والهاشميين وربما كان الهاشميون أقرب الوفود إلى النفوس ولكن دون عهود أو مواثيق ٠٠٠٠٠

استقل ابن دليم وابن مشيط في بلاد شهران وقحطان وكانت الدعوة السلفية قد انتشرت في بلديهما وكانا من جنودها هما أيضاً ٠٠٠٠

أما الادريسي فقد رأى أنه هزم عسكرياً وفشل سياسياً وفده أيضاً في أبها فرأى أن يسلك طريقاً أخرى هي طريق السياسة مع الخداع وبخاصة بعد أن طلب آل عائض الاستعداد للهجوم عليه ٠٠

نظر الإدريسي إلى فشل الوفد السعودي سياسياً في أبها فهو شريكه من هذا الجانب وأن المؤثر عليه إنما هو الجانب الديني فكتب إلى الملك عبد العزيز آل سعود ١٠٠٠٠ يوضح له خطس آل عائض وضرورة الاتفاق ضدهم ٠٠٠٠ وادعى أنهم ينتهكون حرمات السدين وأن الأمير حسن قد عقد على الاختين ٠٠٠٠٠ (الواقع أن الأخت الأولى كانت قد ماتت ٠٠٠٠٠ فعقد على أختها)٠

كتب ابن سعود كتاباً إلى آل عائض وأرسله مع ابن مشيط يذكرهم فيه بالروابط السابقة بين أسرتهم وأسلافه السعوديين •• أجاب الأمير حسن أنه لاخلاف بين السعوديين وآل عائض أبداً وأن هذا سيبدو جلياً بعد الانتصار على الشريف الادريسي وإمام صنعاء فإنهم سبب مايحدث في المنطقة وما يتم بين القبائل من حقد وضغائن •••

جاءت رسالة ثانية من الملك عبد العزيز إلى الأمير حسن وفيها نوع من التهديد وإن كانت من النوع السياسي بحيث تفسر على أنها نوع من التقريع والتهديد. وكان جواب الأمير حسن مشطاً من الرصاص •

فأرسل الملك عبد العز جيشاً بقيادة عبدالعزيز بن مساعدتمركز في بيشة مدة شهرين يتصل خلالها بالقبائل ومعه ابن دليم شيخ قحطان وابن مشيط شيخ شهران ٠٠٠ وسارت سرية من بني شهر لمباغتة جيش ابن مساعد وكان عددها ٤٠٠ مقاتل إلا أنها فنيت بكاملها في موقع يقال له « العين » إذ فاجأها بدلا من أن تباغته إذ أدركها النوم بعد أن أعياها التعب وإذا بالجند يذبحون فيها ٠

وتقدم ابن مساعد إلى بلاد شهران الشرقية فمكث في القاعة مدة من الزمن ثم سار فتمركز في بلدة خميس مشيط .

وجد آل عائض أن موقفهم في حرج وبـــــلادهم في خطر إذ بينما يتقدم إليهم جيش ابن مساعد من ناحية الشرق ويريدون ملاقاته إلا أنهم يخافون أن يوجهوا كامل قوتهم إليمه فيتقدم الادريسي من الغرب وهم يعلمونأطماع الأخير في عسير ويعرفون الاتصال والمراسلة بين الطرفين لذا فقد وجهوا قسماً من قوتهــم رابطت في الجهة الغربية خوفاً من أي حادث يقع فيجعلهم في حيرة من أمرهم ٠٠٠٠ وقد خبروا هذا من تاريخهم ، وتعلموا درساً من ماضيهم • • • • • ووجهوا القسم الثاني من القوة إلى الجيش المهاجم وكان قائدهم الأمير محمد بن عبد الرحمن آل عائض وكان عليهم أن يرابطوا في حصونهم المنيعة ويتحصنوا في قلاعهم المنيعة التي طالما حمتهم وقت الشدة ومنعتهم من خصومهم زمن المصائب والنكبات ٠٠٠٠٠ إلا أنه على مايظهر صعب عليهم رميهم بالجبن ولم يهزموا بعد أمام آل سعود ٠٠٠٠ والله هو المدبر ، وهـو يحكم مايريد ٠

خرج الأمير محمد بقوته من أبها واتجه نحو الشرق لملاقاة ابن مساعد والتقى الطرفان عند حجلة و٠٠٠٠ ودخل الجيش السعودي بمعظمه عسير عن طريق بلاد بني مالك فوصلوا ولايزال محمد بن عبد الرحمن آل عائض في حجلة ووصل الخبر له أن

أبها قد اجتيحت ٥٠٠٠ فدبت الفوضى والذعر وهام الناس على وجوههم ٥٠٠٠ وتبعهم من بقي من الجيش السعودي في حجلة في وجههم فأصيب من أصيب وقتل من قتل ونجا من نجا وكان محمد جرح وفر الأمير عبد الله بن عبد الرحمن وسار إلى القوات المرابطة من جهة الغرب ٥٠٠ حيث أسعف أما الأمير عبد العزيز مساعد فقد تقدم نحو أبها ودخلها دون مقاومة ، وكان الأمير حسن بن علي آل عائض في بلدة السقا واستمر القتال بينه وبين الجيش السعودي مايقرب من عشرين يوماً ٥٠٠٠ ورغم ماحدث من استسلام بعض الجند والقبائل إلا أن الأمير ظل مع ٥٠٠ من رجاله معتصماً في حصنه ٠

بدأت المراسلات السلمية بين الأميرين ابن عائض وابن مساعد انتهت بنزول الأول إلى أبها واستسلامه وعندها اعلن بن مساعد العفو العام، واستقبل وفود القبائل، وأرسل وفداً إلى الادريسي لتحديد الحدود بينه وبين عسير ٠٠٠

عاد ابن مساعد إلى الرياض ومعه الأمير حسن وبنو عمه٠٠٠ وبقيت أبها تحت اشراف عبد الله بن أحمد بن مفرح ٠

جرى اتفاق في الرياض بين الملك عبد العزيز وآل عائض على أن تكون المساعدة على أن تكون المساعدة والتجنيد وقت الضرورة وحين يطلبها ابن سعود ٠٠٠٠٠ ولم يكن الملك عبد العزيز يطمع آنذاك في ضم عسير لوجود ابن رشيد في

حائل والشريف في مكة يناوئانه ٠٠٠٠٠ ولهذا كانت معاملته آل عائض معاملة طيبة ٠٠٠٠

عاد الأمير حسن بن علي آل عائض إلى أبها ومعه ابن عمه الأمير محمد بن عبد الرحمن على ما اتفقوا عليه مع الملك عبد العزيز آل سعود ٠٠

كانت السلطة في أبها بيد آل عائض ، والسعوديون الموجودون في أبها ومنهم الأمير شويش يقدمون الاحترام للأمير حسن ٠٠٠٠ وبقي الأمر كذلك ما يقرب من ثمانية أشهر حتى شعبان ١٣٣٩ ه حيث نقل الأمير شبويش وجاء الأمير عبد الله بن سويلم من الرياض ولم يطل الوضع إذ اختلف ابن سويلم مــع الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ لسياسة القسوة التي اتبعها ابن سويلم مما جعل الشبيخ يغادر أبها فعزل ابن سويلم واستبدل بالأمير فهد بن عبد الكريم العقيلي • • وتغيرت معاملة الأمير السعودي للأمير حسن فواجههم آل عائض فما تغير الوضع فاتجه الأمير حسن إلى حصن حرملة ولم تلبث مدة حتى شعــر الأمير فهد بالقبائل تحيط بمدينة أبها وتحاصرها وكان على رأس الحركة الأمير محمد بن عبد الرحمن آل عائض وسعيد البطاط ، ونزل الأمير حسن من حصنه في حرملة لقيادة الحركة واستمسر الحصار عشرة أيام ثم تم الصلح على أن تغادر الحامية السعودية أبها وتنتقل إلى بلاد شهران وأن يتعهد الأمير حسن بعدم مس

أحد من أفرادها بأذى ضمن حدود عسير وألا تتعدى هي منجهتها على أحد من الرعايا التابعة لأمارة عسير •

غادرت الحامية أبها وانتقلت إلى بلاد شهران وعندماوصلت إلى خميس مشيط استقبلها شيخ شهران سعيد بن مشيطورؤساء قبائل بيشة وشيخ قحطان ابن دليم ٠٠٠٠ ورفع الأمر إلى الملك عبد العزيز يطلبون منه النجدة ٠

علم الأمير حسن ببقاء الحامية في خميس مشيط فاعتبر أنها لاتزال ضمن حدود إمارته فتتبعها على رأس جيش من عسير واشتبك الطرفان في معركة حامية وكانت النتيجة وقوع الحامية في يد الأمير حسن واستسلام سعيد بن مشيط وفرار رؤساء بيشة فعفا عنهم الأمير حسن وعاد إلى أبها ٠٠٠٠ أما الحملة التي جاءت من نجد مدداً فقد لاذت بالفرار ، مما جعل الملك عبد العزيز يتأثر كثيراً ويعاقب أفرادها م٠٠٠٠ ثم سارع بارسال جيش كثيف على رأسه ابنه فيصل فوصل إلى بيشة٠٠٠٠ وتقدم نحو بلادشهران٠٠ وسارع أهل عسير بإمرة محمد بن عبد الرحمن الذي رابط في حجلة وأرسل قوة لمساندة حامية بيشة • وكانت قوات عسير قد وزعت في جهات عدة وبخاصة في الغرب خوفاً من كل طارىء يحدث أو من حركة يقوم بها الادريسي •

تقدم الأمير فيصل بن عبد العزيز والتقى في جنوب غربي بيشة بقوة من بني شهر وغيرهم وجههم الأمير حسن فبدد الأمير فيصل شملهم في موقع العين وتابع زحف حتى إذا وصل إلى

خميس مشيط التقى بالقوة التي تريد بيشة فانتصر عليها وسار نحو الغرب فالتقى في حجلة بقوة عسير •

خافت إحدى القبائل على أوطانها ففضلت مغادرة حجلة والدفاع عن مواطنها من القوة السعودية التي ارسلت من تلك الجهات وعندها رأى الأمير محمد أن ينسحب بقية المرابطين إلى مواطنهم ٠٠٠٠ وعاد هو إلى أبها بدون رجال ومنها سار إلى الحجاز يطلب النجدة ٠

جرت معركة بسيطة في حجلة سار بعدها الأمير فيصل إلى أبها ودخلها عام ١٣٤٠ ه من غير قتال ٠

اعتصم الأمير حسن بحصن حرملة ٠٠٠٠ وجرت مراسلات بينه وبين الأمير فيصل إلا أنها لم تصل إلى نتيجة فتقدمت سرية سعودية نحو حرملة واستطاعت دخولها بعد عدة معارك إلا أن الأمير حسن قد نجا بنفسه وأهله واتجه نحو الغرب ٠٠٠٠٠

علم الإدريسي بخبر الأمير حسن فطلب من عامله على رجال ألمع مصطفى النعمي أن يتعقب الأمير حسن ويقبض عليه ويرسله إليه إلى صبيا أو يسلمه إلى الأمير فيصل ٠٠٠٠ إلا أن ابن عائض استطاع الإفلات من مصطفى النعمي ، والإنضمام إلى جيش الشريف حسين الذي كان قد وصل من مكة وعلى رأسه الشريف راجح والأمير محمد بن عبد الرحمن الذي سار إلى الحجاز - كما ذكرنا - بعد دخول الأمير فيصل أبها ٠

أما الأمير فيصل فبعد دخوله أبها نصب عليها الأمير سعد بن عفيصان وعاد إلى الرياض •

تمركز الجيش الحجازي في بارق واتجه نحو السراة عـن طريق عقبة « ساقين » حيث تمركز في باحة تنومة ، فأرسل ابسن عفيصان سرية بقيادة ابنه سليمان فالتقى بالجيش الحجازى الزاحف نحو أبها في بلاد بالأسمر في موقسع « مسفرة » فانهزم الجيش السعودي وقتل قائده سليمان بن سعد بن عفيصان ومحمد بن سعيد بن مشيط ٠٠٠٠٠٠٠ وتقدم الجيش الحجازي نحو أبها وعلى مقدمته الأمير حسن وابن عمه محمد بن عبدالرحمن فحاصر الجيش أبها ، واستسلمت المدينة واعتصمت الحامية السعودية في قصر شدامدة عشرين يوماً، وكادت أن تستسلم إلا أن النجدة جاءتها من نجد ، وفي الوقت نفسه طلب الشريف حسين من جيشه الانسحاب من أبها والتوجه نحو الطائف لمعاونة لقية قواته التي تصطدم هناك بالقوات السعودية ٠٠٠٠ وانسحب أل عائض إلى حرمكة •

توفي سعد بن عفيصان عام ١٣٤١ ه وتولى إمرة أبها مكانه محمد بن جيفان واستمر في امارته مدة ثلاثة أشهر حيث أبدل بالأمير عبد العزيز بن ابراهيم الذي استطاع أن ينزل الأميرحسن من حرملة إلى أبها ، وأن يزوره في قصره في السقا ، وتفاوض معه

واتنهى الاتفاق بارسال الأمير حسن إلى الرياض (١) حيث بقي فيها حتى وافاه أجله عام ١٣٥٧ هو باستسلام الأمير حسن أصبحت عسير جزءاً من المملكة العربية السعودية .

* * *

⁽۱) وصل إلى الرياض في يوم كان جلالة الملك عبد العزيز يعرس فيه على زوجه ابنة طلال بن رشيد وربما كان هذا السبب في خفة النقمة عليه.

مؤجَزتاريج عَسِير

| | | | | الله عليه وسلم | أيام الرسول صلح |
|----------|-----|-------------|--------------|--|-----------------|
| A | 11 | _ | ١٠ | الصرد بن عبد الله الازدي | |
| ۵ | ٣٤ | _ | 11 | عبد الله بن ثور ضمن ولاية مكة المكرمة • | - |
| | | | | تتبع ولاية مكة المكرمة • | |
| | | | | خروج علي بن محمد بن | |
| | | B | 179 | عبد الرحمن | |
| A | 794 | | 708 | الطولونيبون | |
| A | 44. | _ | 794 | العباسيون | |
| A | 417 | | ~ | الاخشسديون | |
| A | ٤٦٣ | _ | 414 | الفاطميـون | |
| ه | ٥٦٧ | _ | 574 | السلاجقة | |
| ۵ | 777 | _ | 977 | الايوبيــون | |
| A | ٠٥٠ | - | 778 | بنو رسول وبنو طاهر | **** |
| | | | | المماليك (أحياناً بنو طاهر | |
| . | 974 | | 70+ | باسم المماليك) | . (|

| A1.4X - 974 | ولاة عثمانيــون | العثمانيــون |
|--------------------|----------------------------|---------------|
| A1710 - 1.47 | أمراء محليون | |
| | | |
| نحمي ١٢١٥ - ١٢١٨ | محمد بنعامر أبو نقطة المنا | السعوديــون |
| أبو | عبد الوهاب بن عامر | |
| N171 - 37714 | نقطة المتحمي | |
| ۵۱۲۳۰ - ۱۲۲۰ | طامي بن شعيب المتحم | |
| ي ١٢٣١ ـ ١٢٣١ ه | محمد بن أحمد المتحم | |
| عريش عدة أشهر | الشريفحمود حاكمأبي | |
| صر ۱۲۲۳ - ۱۲۲۹ | محمد علي باشا والي ه | المصريدون |
| P771 - 7371a | سعید بن مسلط | الاستقلال |
| 7371 - 93714 | علي بن مجثل | |
| P371 - 4771a | عايض بن مرعي | |
| A1714 - 1774 | محمد بن عايض | |
| AA71 - V7714 | | العثما نيــون |
| عايض ١٣٣٧ ـ ١٣٤١ ـ | حسن بنعلي بن محمد بن | الاستقلال |
| من | أصبحت عسسير جزءأ | |
| و د نه ۱۳٤۱ ه | المملكة العربية السع | |

الخاتمة

وأخيراً فإن هذه البقعة الخيرة من الأرض إذا ما وجهت إليها الأنظار ، ومدت فيها المواصلات ، وأقيمت فيها المشروعات، وأعدت فيها وسائل الراحة كانت مركز خير وسعادة لأهلها ، ولمن يأتيها بسبب ما وهبها الله من مناخ عذب ، وما منحها من مناظر أخاذة ، وما أعطى أهلها من صفات طيبة وما هداهم إليه من عقيدة سمحة ، فهم للضيوف أهل، يجيدون استقبال الزوار، ويحرصون على خدمتهم وتأمين راحتهم ، وهذا مالاحظناه في عاداتهم الاجتماعية .

وبهذه الصفات فلن تكون بلادهم كالمصايف الأخرى مجالاً للكثير من الأعمال التي تأبى أخلاقنا أن تكون ٠٠٠٠

وعندما تصبح عسير مصايف الجزيرة ، فإن المنطقة ستسعد ، وسنحفظ على أبنائنا أخلاقهم، ويحفظون أموالهم لأنفسهم ٠٠٠٠ وهذا مانرجو ٠٠٠٠ بل هذا ماننظره في المستقبل وننظر إليه في الخيال ٠٠٠٠ والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ٠

ألمسرَاجع

| ابن کثیر | البداية والنهاية |
|-------------------------------|------------------------------------|
| ستانلی لین بول ه | الدول الاسلامية |
| ے دوافعهامحمود شاکر . | الكشوف الجغرافية ــ حقيقتها ـ |
| | امكانية التنمية الزراعية |
| عبد الفتاح أبو علية . | الدولة السعودية الثانية |
| هاشم بن سعید النعمی ه | تاريــخ عسير |
| حمد بن أحمد عيسى العقيلي . | تاريخ المخلاف السليمانيم |
| محمود شكري الألوسى . | تاريخ نجـد |
| منير العجلاني . | تاريخ البلاد العربية السعودية |
| الهمداني . | صفة الجزيرة العربيــة |
| <u></u> موادث | عقد الدرر فيما وقع في نجد من الـ |
| ابراهیم بن صالح بن عیسی . | |
| يحيى ابراهيم الألمعي . | رحلات في عسير للمسلم |
| زيزخير الدين الزركلي . | شبه الجزيرة في عهد الملك عبد الع |
| رب الجزيرة (البرق اليماني في | غزوات الجراكسة والأتراك في جنو |
| مد بن أحمد النهروالي المكي . | الفتح العثماني)قطب الدين مح |
| فؤاد حمزة • | في بـــلاد عسير |

| فؤاد حمزة • | قلب الجزيرة العربيــة |
|-------------------------------|---------------------------------|
| الإمام أحمد ٠ | مسند الإمام أحمد |
| ياقـوت الحموي • | معجم البلدان |
| محمد عمر رفيع ٠ | في ربوع عسير |
| حمد الجاسر ٠ | في سراة غامد وزهران |
| محمد بن أحمدالعقيلي • | مقاطعة جازان ــ المعجم الجغرافي |
| سليمان شفيق الكمالي ٠ | مذكرات سليمان شفيق الكمالي |
| جعفر الحفظي • | مذكرات جعفر الحفظي |
| أمين الريحاني • | نجـد وملحقاته |
| اليمامة للبحث والترجمة والنشر | مجلة العرب التي تصدر عن دار |
| | باشراف حمد الجاسر |
| 16 11 .11 | |
| | الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز |
| بد الوهاب | لمع الشهاب في سيرة محمد بن ع |
| يق أحمد مصطفى أبو حاكمة • | تحا |
| محمود طه أبو العلا • | جغرافية شبه جزيرة العرب |
| عثمان بن بشر ٠ | عنوان المجد في تاريخ نجد |
| حافظ وهبه ٠ | جزيرة العرب في القرن العشرين |
| حافظ وهبة ٠ | خمسون عاماً في جزيرة العرب |
| من قصائد أسلاف آل الحفظي • | نفحات من شعر عسير |
| بولس سلامـــة ٠ | ملحمة عيد الرياض |